
حاضر العالم الإسلامي
تأليف
د. محمد جمعان الغامدي - د. سعد الحلواني
الطبعة الأولى
القاهرة
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠٠٣/١٤٦٢٥

الزهراء كمبيو سنتر
طباعة - نشر - إعلان
تليفـون : ٢٦٢٧٣٥٣



إهــــداء

إلـى كريم الشيم عالي الهمم صاحب السمـو الملكي

الأمير الدكتور : فيصل بن محمد بن سعود بن عبدالعزيز

(نائب أمير منطقة الباحة)

اقتداءً بعلمـــه وفكره واعترافاً بفضله وجـــوده

وترسماً لخطاه في وفائــه العظيــم لهذا الوطـــن

دكتور / محمد جمعان دادا


إهــــداء
إلى روح والدتي ووالدي
غفر الله لهما وعفا عنهما
وأسكنهما الفردوس الأعلى
اللهم آمين
د. سعد الحلواني

المقدمة

الحمـــد لله خلـــق الخلق فأحسن خلقه، وأبدع شأنه فمن اهتدى فقد نجا ، ومن ضل فعليها – وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واشهد أن محمداً (ﷺ) عبده ورسوله بلغ رسالة ربه فأحسن تبليغها ونشرها وعمّت الكرة الأرضية أدناها وأقصاها على مدى القرون الماضية – كما سنرى في هذه الدراسة .

وبـــعـــد

فقـــد شـــاء الله أن تسبق هذه الدراسة العديد من الدراسات : (كتب وأبحاث) أغلـــبها في العلاقات العربية العربية، وبعضها عن اليهود، وعن الأحباش ، وكثير مـــنها عن أحب أرض الله وأهل الله إلى أنفسنا : **أرض المملكة العربية السعودية وأهلهـــا** (أرض الإسلام ، وأهل الإيمان) ، ندعو الله العلي القدير أن تظل أرضاً وأهـــلاً ذخـــراً ومـــلاذاً وحفظـــاً للمسلمين في كل أنحاء المعمورة، وقاها الله شر الخطوب، وما يحاك ضدها اللهم آمين.

إن الإســـلام والمســـلمين قـــد عمّ نورهم أغلب أنحاء الدنيا شرقها وغربها، جنوبها وشمالها منذ أوقات مبكرة جداً من صدر الإسلام فيالها من روعة لم يعرفها الكثيـــرون. دول عظيمة وأمم كثيرة الأجناس وافرة العدد والعُدة قد آمنت وأسلمت، وحفـــرت فـــي التاريخ تاريخاً مشرفاً في الهند الكبرى ، وفيما عُرف بجمهوريات الاتحـــاد الســـوفيتي السابق، وفي الصين ، وفي أوربا وحتى في الولايات المتحدة، وبقية الأمريكتين حيث وصلهم الإسلام والمسلمون قبل غيرهم فارتفعت المنارات ، وقامت المنابر شامخة تعلن شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وعالمية الإسلام.

وقــد حرصـــنا في هذه الدراسة أن تكون الإحصائيات دقيقة وحديثة على أن تشـــمل أكبـــر قدر من دول العالم الإسلامي، والعديد من الأقليات في أوربا وآسيا والـــولايات المـــتحدة الأمريكية، وأن لا تقتصر على بعض المشكلات التي يتناقلها الكتاب (والتي لم نغفلها) بل تعدى الأمر إلى عشرات المناطق ، وقد دعانا إلى ذلك أن غالبـــية الـــناس يجهلـــون قضـــايا إسلامية غاية في الأهمية ، فربما لا يعرف الكثيـــرون أن الحبشـــة (أثيوبيا) بها أغلبية مسلمة الآن، وأقلية غير إسلامية ذكرنا بمســـلميهم زميل فاضل هو الدكتور / محمد علي فوزي ، كما أن الصين يعيش بها أمـــم إســـلامية متكاملة في تجمعات كبيرة بالملايين، ولها عدة قوميات مستقلة بها مـــثل: قومية التاجيك، والقرغيز، والقازاق، والتتر ، والأوزبك ، وهوى، والقومية الأخيرة يزيد عددها عن ثمانية ملايين نسمة.

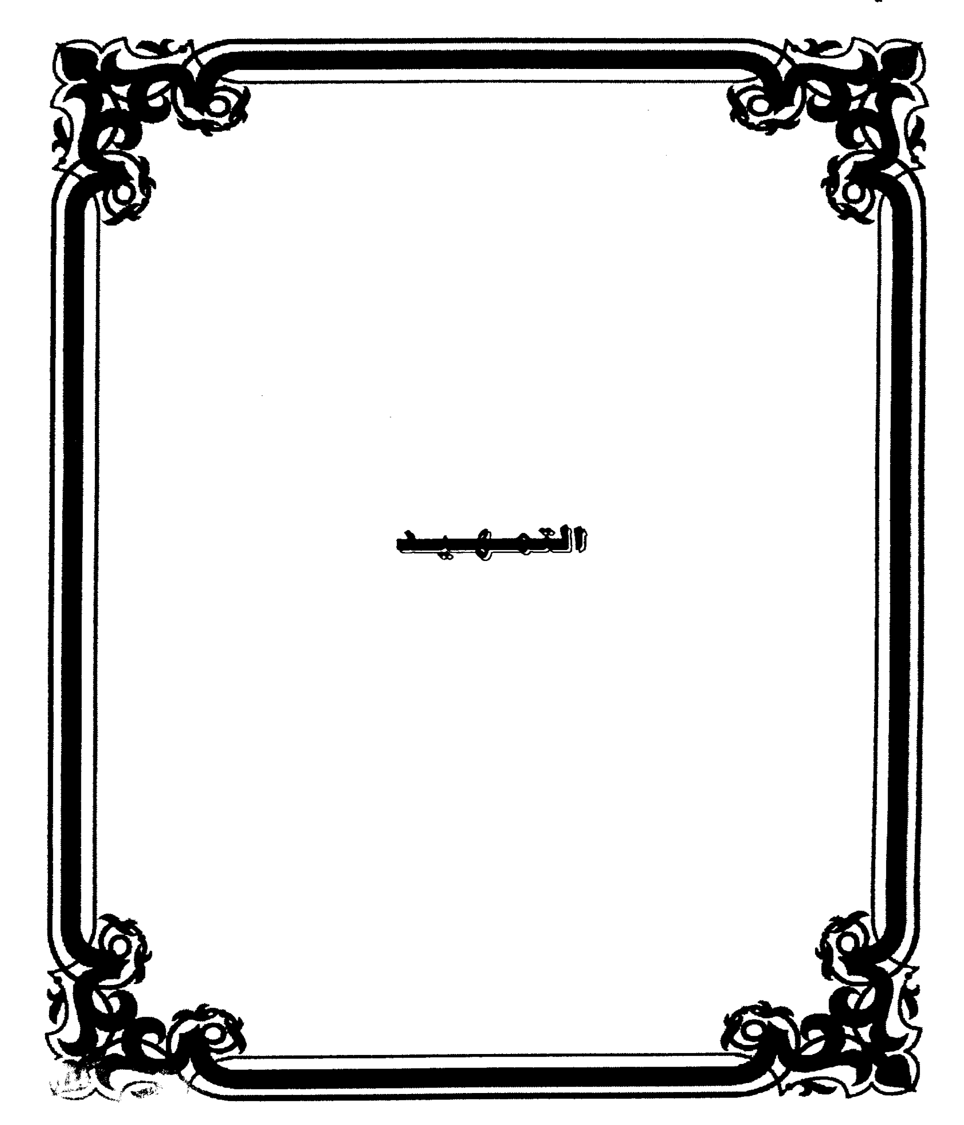
كما أن الهند وحدها يعيش الآن بها أكثر من ١٤٠ مليون مسلم بما يقرب من ١٤% من السكان، في حين يعمد أغلب الكتاب دراسة مشكلة كشمير والحديث عنها وحـــدها دون الإشارة إلى مسلمي الهند، كما أن المسلمين في الفلبين كانوا هم سادة الـــبلاد وحكامه وأغلب سكانه الذين كانوا ينضوون تحت إمارات إسلامية مزدهرة (قـــبل وصول الاستعمار الأوربي والأمريكي إلى بلادهم) ، وغير ذلك من القضايا التـــي آثرنا دراستها وتناولها في حدود دفتي هذا الكتاب . مع تلمس بعض الحلول للمشكلات القائمة.

والله من وراء القصد يهدي وينير

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د. محمد الغامدي ـ د. سعد الحلواني

الباحة والقاهرة في ٢٠٠٣م



التمهيد

مفهوم العالم الإسلامي :-

لـــم تعـــد حدود العالم الإسلامي ممثلة في منطقة بعينها أو حدود مرسومة تقتصـــر الحـــياة فـــيها علـــي جموع المسلمين ، بل تخطي الإسلام حدود المنطقة الإســـلامية القديمة المعروفة لينتشر في شتي أقطار الدنيا ليصل الي كل بقاع العالم في العصر الحديث والمعاصر .

ويـــندرج تحت هذا المفهوم المناطق التي تشمل الأقليات المسلمة التي تسكن دولاً غيـــر إســـلامية علـــي اختلاف البيئات وتباين الثقافات وكذلك تعدد السلالات البشرية .

أما الدول الإسلامية فهي التي يغلب علي سكانها الإسلام كعقيدة رسمية ويزيد عـــدد المسلمين فيها عن ٥٠% من مجموع السكان ، وتزداد هذه الدول تفاوتاً من وقت لآخر حسب الظروف التي تمر بها بلدان العالم ككل خاصة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي حيث زادت أعداد الدول الإسلامية ، وظهرت جمهورية البوسنة والهرسك في أوروبا عندما تفككت يوغسلافيا الاتحادية.

أمـــا العـــالم الإسلامي بالتحديد الفقهي فهو دار الإسلام لأن الفقهاء قد قسّموا العالم ككل إلى قسمين دار السلام ودار الحرب .

موقف غير المسلمين من انتشار الإسلام عبر التاريخ :

ظلـــت القـــوى المعاديـــة للإسلام على موقف لم يتغير طوال فترات التاريخ المتعاقبة منذ ظهور الإسلام في أم القرى " **مكة** " إلى يوم الله هذا ابتداءً من موقف كفار قريش ومعاداتهم لهذا الدين الجديد الذي جاء به " محمد صلى الله عليه وسلم" ومحاولـــتهم وأده في مهده بشتى السبل والطرق، واتجاه الدين الجديد على الهجرة لمكـــان أرحـــب فينتشـــر فـــي **المدينة المنورة** ليعود ويعم علي جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية ولينطلق منها إلي آفاق ارحب و أوسع في آسيا وأفريقيا.

ووقفــت الدولــتان الكبريتان العظميتان في ذلك الوقت : دولة الروم ودولة الفــرس كسد قوي في وجه انتشار هذا الدين الجديد ، ويأبي الله إلا أن يتم نوره ، ففــتحت الــبلدان وترنحت قوي الدولتين لينتشر فيها الإسلام ويعم في أغلب بلدانها ويتوالى انتشاره في بلاد المغرب ليقف البربر في مواجهته عشرات السنين إلا انهم ســرعان مــا يدخلون في هذا الدين الحنيف أفرادا أو أفواجا وجماعات لتكون بلاد المغــرب بعد ذلك كرأس جسر ينطلق منه الإسلام الي شبه الجزيرة الأيبيرية التي أطلق عليها المسلمون اسم الأندلس .

ومــن هــناك من المغرب أيضا تنطلق حملات الانتشار والتوسع لتصل الي الجــنوب الإيطالي، وتسيطر علي منطقة سيشليا وما حولها في إيطاليا التي أطلق علــيها المســلمون صقلية، ومن شبه الجزيرة الايبيرية ينطلق الإسلام محمولاً في قلوب رجاله إلي بلدان فرنسا الحالية ليصل إلي العديد من بلدان الفرنسيين، إلا انه يتعثــر فــي المنطقة الأخيرة نظراً لاتساع المساحات التي وصل إليها المسلمون فــيعودون إلي شبه الجزيرة الأيبيرية "الأندلس" بعد موقعة بلاط الشهداء ، ليكوّنوا هناك حضارة زاهرة متقدمة في شتي العلوم والنواحي الحضارية .

ويــنقل الغرب من هذا المعبر الحضاري إلي بلدانهم الأوربية عبر الترجمة ورحلات العلماء والمؤلفات التي نسجها علماء المسلمين في بلاد الأندلس ، وكذلك [illegible] خاصة منطقة صقلية التي انتشر منها الإسلام ، وانتشرت منها الحضارة الإسلامية الجديدة إلى بلدان أوربا وما حولها.[١]

---

[1] يذكر الفيلسوف الإنجليزي والكاتب الشهير ويلز : أن المدارس الجامعة في البصرة ، والكوفة ، وبغداد ، والقاهرة ، وقرطبة قد بثت أنوارها في العالم كله ، وقصدها الطلاب من المشرق والمغرب ، وكان كثير من طلبة العلم في قرطبة من النصارى ، ولم يعرف رقم الصفر إلا في القرن الثاني عشر الميلادي عندما أخترعه العربي / محمد بن موسى ، وهو أول من استعمل الكسور بإشارات ، كما انفرد العرب بعلم الجبر فوضعوه ، وتوسعوا في علم مساحة المثلثات الكروية ، واخترعوا الجيب ، والخط المماس للدائرة ، ورقاص الساعة ، وعلم المرائي ، وتقدموا في علم الفلك فبنوا المراصد الفلكية ، وأحدثوا الآلات اللازمة لهذا العلم ، وأما في الطب فقد بلغوا فيه شأوا تفوقوا فيه علي اليونانيين ، ولا تزال تستعمل كثيراً من أدواتهم ، فعرف جراحوهم التخدير ، وإجراء الجراحات الصعبة ، بينما الغرب كان يعتمد علي الطقوس الدينية فقط ، وفي الكيمياء كشفوا كثيراً من مواده كالكحول ، والبوتاس ، ونيترات الفضة ، والحوامض ...الخ.

- أنظر التفاصيل في كتاب : لوثروب ستودارد الأمريكي – حاضر العالم الإسلامي – ترجمة عجاج نويهض – تعليق شكيب أرسلان – جـ١ – دار الفكر – ط١ – ١٣٥١ هـ - ص ١٣٧ وما بعدها.

لـم يشأ غير المسلمين أن يتركوا هذا الدين يعم نوره علي أبناء وبلدان أوربا فأخـذوا يتحينون الفرص لزحزحة هذا الدين ورجاله وأبنائه من بلدان أوربا حتى تمكـنوا في النهاية من إسقاط المدن الأندلسية الواحدة تلوا الأخرى في أيديهم حتي سقطت **غرناطة** آخر معاقل المسلمين في يد نصارى الأندلس سنة "١٤٩٢"م.

كمـا كـان للقـوي الغيـر إسلامية دور آخر في مرحلة سابقة في الحروب الصليبية التي حاول فيها صليبيو الغرب الأوربي تجميع صفوفهم في حملات متتالية للهجـوم الكاسـح علي بلدان الشرق الإسلامي في محاولات للسيطرة علي مناطق الشام ومصر والعراق ومحاولة أخرى للهجوم علي المدن المقدسة في الحجاز.

إلا انهـم قد فشلوا في النهاية بظهور قائد مغوار مسلم ألا وهو "صلاح الدين الأيوبي " الذي تمكن من لم شمل الأمة الإسلامية وطبق أعظم الآيات القرآنية فأعدَ ما استطاع من رجال وسلاح وانطلق يحرر بلاد الشام من سيطرة الصليبيين حتى تمكـن فـي الـنهاية مـن استعادة أغلب بلدان المسلمين التي سيطر عليها هؤلاء النصـارى بعد انتصار صلاح الدين في موقعة " حطين" وهي من المواقع الحاسمة في التاريخ الإسلامي .

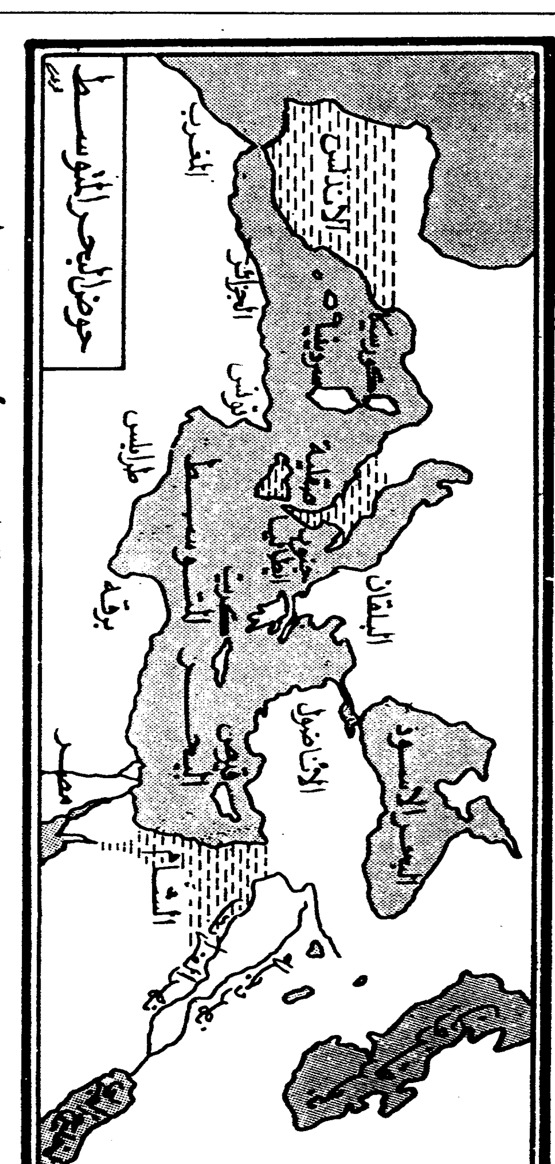
واسـتمر حـال أعـداء الأمة الإسلامية علي المنوال نفسه في فترة التوسع الأوربي الأول ، ومحاولة الالتفاف حول العالم الإسلامي فيما سموه بعصر الكشوف الجغـرافية تلـك الفتـرة التي بدأت في القرن الخامس عشر الميلادي لينطلقوا من المـناطق التي اخرجوا منها المسلمين في الأندلس والتي أخذت تقوي وتُعرف ببلاد البـرتغال وأسبانيا ليعبروا مضيق جبل طارق إلي رأس العواصف ثم إلي الشرق الأفريقي ، واتجهوا بعد ذلك إلي بلاد الهند ، ومناطق جنوب شرق آسيا حيث تأتي مـنها التجارة الشرقية التي يعم خيرها علي بلدان المشرق الإسلامي علي ضفاف البحـر الأحمـر، وعلي ضفاف الخليج العربي من خلال الكؤوس والرسوم التي تحصل عليها هذه البلدان ، ورواج التجارة أيضا فيها.

وحاول الأوربيون قطع الطرق التجارية الشرقية عن البلدان الإسلامية بجلبها إلـــي الــبلدان الأوربية مباشرة دون أن تمر علي بلدان المسلمين ، الأمر الذي أضعفها اقتصادياً وبالتالي سياسياً وعسكرياً .

فقـــد ظهر تأثير ذلك علي إمكاناتهم العسكرية ، وبدأ الغرب يتنفس الصعداء بعـــد أن قـــويت إمكاناتهم من جراء سيطرتهم علي هذه التجارة الشرقية الرابحة ، ولاسيما أنهم استولوا في هذه الفترة علي العديد من المناطق الأفريقية والآسيوية التي تسيطر علي التجارة الغنية التي تخرج من قلب القارتين أفريقيا وآسيا لتنطلق إلي العالم الخارجي عبر المراكز الاستعمارية الأوربية التي استعادت كثيراً من هذه الـــتجارة، وباتت لهم بعض السيطرة علي هذه البلدان وهذا الاقتصاد ، الأمر الذي أضعف المسلمين إلي حد كبير .

وبقـــيام الدولـــة العثمانـــية ونشاطها الواسع في نشر الإسلام والسيطرة علي الـــبلدان الأوربـــية حـــاول الأوربيون الاتحاد مرات ومرات ليقفوا صفاً واحداً في مـــواجهة هـــذه الدولـــة الغنية المنتصرة التي باتت تهدد الأوربيين في عقر دارهم وســـيطرة هـــذه الدولـــة الإسلامية علي العديد من العواصم الأوربية وبلدانها في استمرارية دامت عدة قرون إلي أن نفذ فيها حكمة الخالق سنةَ الله في خلقه ولن نجد لسنة الله تبديلاً:

أن تقوي أمة وتظل فترة " تطول أو تقصر " ثم تجنح إلي الضعف لتظهر أمة جديـــدة تقـــوى علي حسابها ويعظم أمرها ، ويستمر هذا الحال ليظهر الاستعمار الجديـــد الأوربـــي الغربـــي وتتضح معالمه، ويزداد خطره في القرن التاسع عشر ليســـيطر علـــي العديـــد من بلدان العالم الإسلامي وتبدأ مرحلة جديدة من مراحل الصـــراع بين المسلمين وغير المسلمين في الفترة التي وصل فيها العالم الإسلامي إلـــي مـــرحلة الضعف والتفكك في مقابل القوي الغير إسلامية التي بدأت تقوي في الفترات الحديثة ثم المعاصرة .



مراكز انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا

جغرافية العالم الإسلامي في الوقت الحاضر :-

يمـــثل المسلمون في جميع أنحاء العالم نسبة كبيرة من عدد سكان المعمورة حيث بلغ تعداد المسلمين في عام ١٩٦٨ م :-

" ٤٧٤ ملـــيون نسمة " بنسبة تتخطى ١٤ % من مجموع سكان العالم ليرتفع هذا الرقم في عام ١٩٩٥ م إلي مليار مسلم بنسبة ١٨ % من سكان العالم" .

وفي سنة ١٩٩٧ م بلغ تعداد المسلمين ١٣٠٠ مليون مسلم بنسبة تصل إلي ٢٢ % مـــن سكان المعمورة، وربما يزيد هذا العدد نظراً لأن هناك مجموعة من الـــدول يصـــعب التعداد الحقيقي فيها ، وربما كان من أسباب هذه الزيادة في عدد ســـكان المســـلمين ظهور مجموعة من الدول الإسلامية خرجت من عباءة المارد السوفيتي الكبير.

ويتجمع المسلمون في مناطق وقارات وبلدان تجمعهم دول فيها أغلبية مسلمة وأخري تشتمل علي أقليات.

تفصـــيل ذلك : أن الدول ذات الأغلبية في آسيا يعيش فيها ٦٥٤ مليون مسلم بنسبة تزيد عن ٥٠ % من جملة المسلمين فيها، أما الدول التي فيها الأقلية المسلمة فـــي القـــارة نفســـها فيبلغ تعدادهم ٢٠٥ مليون نسمة بنسبة تزيد ١٥ % من تعداد المســـلمين فـــيها، وفي جمهوريات آسيا الوسطي الإسلامية يبلغ عدد المسلمين ٤٩ مليون نسمة بنسبة تزيد عن ٣% من تعداد المسلمين.

أمـــا أفريقيا فتحتوي دول الأغلبية المسلمة فيها علي ٢٩٢ مليون نسمة بنسبة ٢٢ % مـــن عدد المسلمين فيها ، وفي دول الأقليات الإسلامية يبلغ عدد المسلمين فيها ٦٣ مليون بنسبة ربما تصل إلي ٥ % ويبلغ عدد المسلمين في أوربا ١٣,٥٠ ملـــيون نســـمة بنسبة ١ % [١] ، أما المسلمون في أمريكا الشمالية فهم ٥ ملٰيون ،

---

[1] ربما يزيد هذا العدد بسبب الأول : الأعداد الكبيرة التي تعلن إسلامها من الأوربيين في السنوات الأخيرة – الثاني : في الأعداد الكبيرة الأخرى المسلمة التي لم تسجل تسجيلاً شرعياً حكومياً.

وفـــي أمـــريكا اللاتينـــية ١,٢٥ مليون نسمة، وفيما يلي جدول يبين أعداد ونسب المسلمين في دول العالم وتوزيعاتهم . وهي كالآتي :-

أعداد ونسب المسلمين في دول الأغلبيات المسلمة في آسيا

الدولة	عدد السكان بالمليون(١٩٩٧)	نسبة المسلمين ٪	عدد المسلمين بالمليون
إندونيسيا	٢٠٤,٣	٩٠	١٨٤,٠
باكستان	١٣٧,٨	٨٨	١٢١,٢
بنجلاديش	١٢٢,٢	٨٨	١٠٧,٥
إيران	٦٧,٥٠	٩٨	٦٦,١
تركيا	٦٣,٧	٩٨	٦٢,٤
العراق	٢١,٢	٩٧	٢٠,٦
أفغانستان	٢٢,١	٩٠	١٩,٩
السعودية	١٩,٥٠	١٠٠	١٩,٥٠
اليمن	١٥,٢٠	١٠٠	١٥,٢
سورية	١٥.	٨٧	١٣,٠
ماليزيا	٢١.	٥٣	١١,١
الأردن	٤,٤	٩٣	٤,٠
لبنان	٣,٩	٧٥	٢,٩
عمان	٢,٣	٩٩	٢,٢
الإمارات العربية	٢,٣	٩٠	٢,٠
الكويت	١,٨	٩٤	١,٧
البحرين	٠,٦	٩٩	٠,٦
قطر	٠,٦	٩٥	٠,٥
بروناي	٠,٣	٦٤	٠,٢
قبرص	٠,٧	٥٠	٠,٣

المسلمون في دول آسيا الوسطي الإسلامية

الجمهورية	عدد السكان بالمليون (١٩٩٧)	عدد المسلمين بالآلف
أذربيجان	٧,٦	٦,٩٥٦
كازاخستان	١٦,٤	٨,٥٨٢
قرغيزستان	٤,٦	٣,٣٨١
طاجيكستان	٦,٠	٥,٣١٩
تركمينستان	٤,٦	٣,٧٩٠
أوزبكستان	٢٣,٧	٢,٣١٤

المسلمون في دول الأقليات الإسلامية الآسيوية

الدول	عدد السكان بالمليون (١٩٩٧)	نسبة المسلمين ٪	عدد المسلمين بالمليون
الهند	٩٦٩,٧	١٢	١١٦,٣
الصين الشعبية	١,٢٣٦,٧	٥	٦١,٨٠
الفلبين	٧٣,٤	١١	٨,٠
تايلاند	٦٠,١	١١	٦,٦
بورما	٤٦,٨	١١	٥,١
الصين الوطنية	٢١,٥	١١	٢,٣
فيتنام	٧٥,١	٣	٢,٢
سرى لانكا	١٨,٧	٧	١,٣
نيبال	٢٢,٦	٣	٠,٧
سنغافورة	٣,٦	١٦	٠,٦
جورجيا	٥,٤	١١	٠,٦
فيجي	٠,٨	٢٠	٠,٢

المسلمون في الأمريكتين واستراليا

أمريكا الشمالية.	٥,٥٠٠,٠٠٠
أمريكا اللاتينية.	١,٣٩٥,٠٠٠
الافيانوسية "استراليا"	١٠٧,٠٠٠

توزيع المسلمين في دول الأغلبيات الإسلامية في أفريقيا .

الدولة	عدد السكان بالمليون (١٩٩٧)	نسبة المسلمين ٪	عدد المسلمين بالمليون
مصر	٦٤,٨	٩٤	٦٠,٩
نيجيريا	١٠٧,١	٥٠	٥٣,٥
الجزائر	٢٩,٨	٩٩	٢٩,٥٠
المغرب	٢٨,٢	٩٩	٢٧,٩
السودان	٢٧,٩	٨٢	٢٢,٨
تونس	٩,٣	٩٩	٩,٢
تشاد	٧,٠	٦٠	٤,٢
النيجر	٩,٨	٨٧	٨,٥
مالي	٩,٩	٨٠	٧,٩
السنغال	٨,٨	٩٢	٨,٠
الصومال	١٠,٢	٩٩	١٠,٠
غينيا	٧,٥	٨٥	٦,٣

موريتانيا	٢,٤	١٠٠	٢,٤
ليبيا	٥,٦	٩٨	٥,٥
نمبيا	١,٥٠	٩٠	١,٠
اثيوبيا	٥٨,٧	٥٠	٢٩,٣
جيبوتي	٠,٦	٩٤	٠,٥
سيراليون	٤,٤	٥٠	٢,٢
جزر القمر	٠,٦	٩٠	٠,٥
المالديف	٠,٢	١٠٠	٠,٢
الصحراء الغربية	٠,٢	١٠٠	٠,١
إريتريا	٣,٦	٥٠	١,٨

المسلمون في دول الأقليات الأفريقية

الدولة	عدد السكان بالمليون(١٩٩٧)	نسبة المسلمين ٪	عدد المسلمين بالمليون
تنزانيا	٢٩,٥٠	٤٠,٠٠	١١,٨
كينيا	٢٨,٨	٢٢,٠	٦,٣
بركينا فاسو	١٠,٩	٤٤,٠	٤,٨
مالاوي	٩,٦	٤٥,٠	٤,٣
الكميرون	١٣,٩	٣٥,٠	٤,٨

ساحل العاج	١٥,٠	٣٥,٠	٥,٢
مدغشقر	١٤,١	٢٠,٠	٢,٨
اوغندا	٢٠,٦	١٦,٠	٣,٣
زامبيا	٩,٤	٢٠,٠	١,٩
افريقيا الوسطي	٣,٣	٢٠,٠	٠,٧
ليبريا	٢,٣	٢٦,٠	٠,٦
غانا	١٨,١	٣٠,٠	٥,٤
بنين	٥,٩	١٦,٠	١,١
موريشيوس	١,١	١٧,٠	٠,٢
غينيا بيساو	١,١	٣٨,٠	٠,٤
توجو	٤,٧	١٦,٠	٠,٧
بوروندي	٦,١	١,٠	٠,١
رواندا	٧,٧	٨,٦	٠,٧
جابون	١,٢	١,٠	٠,١
الكونجو	٢,٦	٢,٠	٠,١
موزمبيق	١٨,٤	١٣,٠	٢,٤
زائير الكونجو	٤٧,٤	١٠,٠	٤,٧
جنوب أفريقيا	٤٢,٥	١,١	٠,٥

أعداد المسلمين في دول أوربا الغربية

ألمانيا	٢,٠٠٠,٠٠٠
فرنسا	١,٩٠٠,٠٠٠
المملكة المتحدة	١,٣٠٠,٠٠٠
إيطاليا	٨٣٠,٠٠٠
أسبانيا	٤٥٠,٠٠٠
هولندا	٣٨٠,٠٠٠
بلجيكا	٢٨٥,٠٠٠
الدنمارك	٧٥,٠٠٠
سويسرا	٨٠,٠٠٠
السويد	٧٥,٠٠٠
البرتغال	٦٠,٠٠٠
النمسا	٦٠,٠٠٠
ايرلندا	٢٥,٠٠٠

المسلمون في دول شرق أوربا

البانيا	٢,١٩٠,٠٠٠ مسلم
يوغوسلافيا	٢,٠٠٠,٠٠٠ مسلم
البوسنة والهرسك	١,٣٨٠,٠٠٠ مسلم
بلغاريا	٨٩٠,٠٠٠ مسلم
مقدونيا	٥٤٠,٠٠٠ مسلم
اليونان	١٦٠,٠٠٠ مسلم
كرواتيا	٦٠,٠٠٠ مسلم[1].

[1] هذه الإحصائيات السابقة منقولة عن : د/أحمد علي إسماعيل – العالم الإسلامي – دار الثقافة – القاهرة – ١٩٩٩ – ص ٣٢ وما بعدها.

إمكانيات العالم الإسلامي وأهميته :

تميزت تكتلات الدول الإسلامية بامتلاكها العديد من الإمكانيات وأسباب القوة التـــي لـــو اســـتخدمت ، واســـتغلت اســـتغلالاً حسناً لأصبحت قوة لا يستهان بها ولأصبحت فاعلة مؤثرة في مواجهة التكتلات الأخرى كبيرها و صغيرها.

وفيما يلي نستعرض أسباب القوة عند المسلمين :

أولاً : العوامل الروحية :

حيث امتاز الإسلام بدفع معتنقيه إلى الاجتهاد في العمل مع الجدية و الصدق و الأمانة في ظل دستور احتوى كل مناحي الحياة المادية و الروحية (القرآن).

ثانيا : الموقع الإستراتيجي :

فقـــد احـــتل مكانة استراتيجية في قلب العالم القديم (أفريقيا ـــ أسيا ـــ أوربا) ممـــتداً مســـافة ٢٠ ألف كم من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب تبلغ المســـافة بيـــنهما ما يزيد عن سبعة آلاف كم ، و يشرف على العديد من البحار و المحـــيطات ويشـــرف كذلك على مضايق ومنافذ هامة وضرورية لصالح المجتمع البشـــري ككـــل **والبحار الهامة هي :** البحر الأبيض المتوسط ـــ البحر الأحمر ـــ الخليج العربي ـــ البحر الأسود ـــ بحر البنغال ـــ بحر الصين الجنوبي

كما يطل العالم الإسلامي علي المحيطات الهامة التالية :

المحيط الأطلسي ـــ المحيط الهندي ـــ المحيط الهادي.

ويتحكم هذا العالم في العديد من المنافذ المائية التالية وهي :

مضيق جبل طارق ـــ مضيق بنزرت ـــ مضيق الدردنيل و البوسفور ـــ قناة الســـويس ـــ مضـــيق باب المندب وخليج عدن ـــ مضيق هرمز وخليج عمان ـــ مضيق ملقا وسنغافورة.

هذا الموقع الاستراتيجي للعالم الإسلامي والأهمية العظيمة للمنافذ الذي يطل علـــيها و يمـــتلكها جعل التكالب الاستعماري يزداد و يستعر أواره علي بلدان هذا العالم ويدور الصراع بين المستعمرين لاقتسام ممتلكاته والسيطرة علي منافذه بشتى الطرق السياسية والعسكرية والاقتصادية ، وإثارة المنازعات والشقاق بين بعضهم الـــبعض لإضـــعاف شأن الجميع كما حدث في إقامة النزاعات بين بلدان المغرب العربـــي ، ومشـــكلة جـــنوب الســـودان ، و تشـــاد ، و نزاعات أثيوبيا وأرتيريا والصومال، وبين اليمن شماله وجنوبه ، ونزاعات عراقية إيرانية و كويتية ، وبين إندونيســـيا وماليـــزيا، والعمل علي فصل الجسد الواحد في بنجلاديش وباكستان ، والســـيطرة علـــي أفغانستان من جانب الانجليز ثم الروس ثم الأمريكان ، وزرع اليهود في فلسطين وهي محاولات استعمارية دائمة لفصل أجزاء العالم الإسلامي ، وإبقائـــه ضـــعيفاً دون وحـــدة تجمع شمله وشتاته هذا الشتات الذي كان من صنع المستعمر وأذنابه من المحليين .

ثالثاً : تنوع الثروات ووفرتها :

فقد حبا الله العالم الإسلامي بمقومات اقتصادية من ثروات زراعية و حيوانية و معدنية و أنهار عذبة ، وأراضي خصبة نجملها فيما يلي : ـــ

أ - الثروة الزراعية :

فقد ساعدت الأنهار العظيمة التي تجري بسخاء في أراضي البلدان الإسلامية الخصـــبة علـــي تنوع منتجات و محاصيل هذه البلدان حيث يجري نهر النيل في مصر والسودان وغيرها من بلدان أفريقيا ، و كذلك نهر النيجر و الملوية والسوس، أما آسيا فتجري فيها أنهار : دجلة والفرات والسند وسيحون ، وجيحون، والعاصي والليطاني والأردن بالإضافة إلى المياه الجوفية الكثيرة في البلدان الإسلامية.

و تتنوع الثروات الزراعية تبعاً لتنوع الأقاليم المناخية التي تشمل :-

المناخ الاستوائي في الجزر الإندونيسية والسودان.	المناخ الموسمي في اليمن ، وعمان ، ونيجريا ، وبنجالاديش.	والسوداني في السودان ، وتشاد والنيجر ، ومالي ، السنغال.	والمعتدل الدافئ علي سواحل المتوسط

والمـــناخ القـــاري في شبه الجزيرة العربية وجنوب إيران باكستان وهضبة الأناضول والتركستان.

و قد أدى هذا التنوع في المناخ إلى تعدد و تنوع الغلات الزراعية في العالم الإسلامي كما يلي :-

١- **الأرز** : كما هو الحال في ماليزيا ، وبنجالاديش ، وباكستان ، وإندونيسيا.

٢- **القمـــح**: في كل من إيران وأفغانستان وتركيا والشام ومصر والمملكة العربية السعودية.

٣- **الخضـــراوات و الفـــواكه** : وتكثر في إقليم البحر المتوسط والصومال وتركيا والشام.

٤- **القطـــن** : بأنـــواعه المخـــتلفة فـــي مصر والسودان طويل التيلة ، وفي تركيا وباكســـتان وأفغانستان وإيران متوسط التيلة ، وفي المغرب العربي وباكستان قصـــير التيلة ، كما يزرع القطن في إقليم تركستان ، وأذربيجان ، وداغستان حيث ينتج العالم الإسلامي وحده أكثر من ٤٠% من الإنتاج العالمي للقطن.

٥- **الحبوب الزيتية** : في مصر والسودان وأندونسيا وتركيا ونيجريا.

٦- **الأشجار الزيتية** : في إندونيسيا وماليزيا وبنجلاديش وإقليم البحر المتوسط.

٧- **قصب السكر** : في إندونيسيا وباكستان وبنجلاديش ومصر.

٨ - **بنجر السكر** : في تركيا و سوريا و إيران و أفغانستان و مصر.

ب - الثروة الحيوانية :

وهي تكثر في البلدان الإسلامية نظراً لكثرة المراعي الطبيعية الواسعة في إقليم السافانا ، والاستبس ، والكلأ الصحراوي ولذلك فقد انتشرت هذه المراعي في العالم الإسلامي ، ويتربى فيها الإبل والماعز والأغنام والخيول والجمل ذو السنامين والبقر وخلافه .

جـ - الثروة البحرية و النهرية :

وهي ثروة عظيمة يجب استغلالها لأن العالم الإسلامي يطل بجبهات ساحلية و نهرية علي بحار و أنهار واسعة التغلغل و الانتشار في وحول أراضيه فضلاً عن تعدد و توفر الخلجان و البحار الداخلية و البحيرات ، وجعلت كل هذه المقومات المسطحات المائية مصدر عظيم لو أحسن استغلاله لكفى العالم الإسلامي أماناً غذائياً، ولأصبح مصدراً ثرياً للتصدير إلى البلدان الداخلية الغير ساحلية وتحقيق أرباح طائلة من خلال هذه المسطحات.

ليس هذا فحسب بل هناك بالإضافة إلى الأمان الغذائي الذي يمكن تحقيقه ثروات أخرى مثل : الإسفنج ، واللؤلؤ .

د - الثروة المعدنية :

تتوافر المعادن بكثرة في العالم الإسلامي أمكن استغلال البعض منها ،ولم يستغل البعض الأخرى حتى الآن ، ومن أهم هذه الثروات المعدنية : ــ

١- **البترول و الغاز الطبيعي** : حيث يستأثر العالم الإسلامي بأكثر من ٧٥% من احتياطي العالم وإنتاجه منهما و يتركز في : الخليج العربي ، وجنوب شرق آسيا ، وخليج السويس، وشمال أفريقيا وغربها.

٢- **الفوسفات** : وينتج في المغرب والجزائر ، ومصر ، الأردن وسوريا وتونس والسنغال .

٣- **الكــوبلت** : وهــو مــن المعــادن الهامة التي تستخدم سبائكه في صنع آلات الطائـــرات وآلات صناعة الأسلحة الذرية ، وتعد المغرب رابع دولة إنتاجاً له في العالم.

٤- **الكروم** : و ينتج العالم الإسلامي منه ما يربو على ٤٥% من الإنتاج العالمي ، ويكثر في تركيا ، والسودان ، وباكستان ، وإيران .

٥- **الحديــد** : وهو يتواجد بكثرة في باكستان و مصر ، وغينيا ، وإيران ، وتركيا وبلاد المغرب العربي وموريتانيا .

كمـــا تـــوجد معادن أخرى عديدة مثل : القصدير ، والمنجنيز ، والرصاص ، وأملاح الصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والمغنيسيوم .

هـ - الثروات الصناعية :

وهـــي تـــتعلق بكل ما تقدم إذ لو أحسن استغلال المعادن وثروات البحار والأنهار ومنتجات ومحاصيل ما تجود به أراضي العالم الإسلامي لحقق المسلمون نهضـــة صناعية عظيمة يتقوى بها هذا العالم وينهض بما يحتاجه دون اللجوء إلى أعداء الأمة والمتربصين بها.

ففي هذا العالم تتوافر مقومات صناعية لا غني عنها مثل :

١- **المواد الخام** : معدنية و حيوانية و زراعية وغابية.

٢- **مصادر الطاقة** : وهي القوى المحركة للآلات و الأجهزة و المصانع بشكل عام

ومـــن هـــذه المصـــادر : الشمس الساطعة باستمرار ودوام ، وبترول وغاز طبيعـــي، ومساقط المياه الأزمة لتوليد الكهرباء و الفحم الحجري ...الخ .

٣- **توفر رؤوس الأموال:** ولاسيما في البلدان البترولية .

٤- **كثــرة الأيــدي العاملــة المدربــة** : فــي مصر ، وباكستان ، وبنجالاديش ، وإندونيسيا وسوريا ، وتونس وغيرها .

٥- **اتساع الأسواق الاستهلاكية** : وتوافرها في البلدان الإسلامية وما حولها وكثرة عدد السكان المستخدمين للأسواق مع سهولة المواصلات والاتصالات .

وإذا كانــت كــل هذه الإمكانيات قد حبى الله بها أمة بعينها وتوافرت لديها عقول عظيمة رأيناها تنتشر في بلاد الدنيا و تحقق مجداً وسمعة وشرفاً، فمن باب أولى أن نفسح المجال لها ولغيرها من أبناء الأوطان الإسلامية عن طريق التكامل والــتعامل البيني فربما تكون الخسارة مع الأخ عندما أتنازل له عن بعض المكسب هــو مكســب وربح في حد ذاته لأنه سيكون درعاً و حائط سد (من نهب و طمع وجشع المستعمر الذي يتربص بنا الدوائر)، و أكون له كذلك .

و صدق الصادق الأمين إذ قال :

((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً))

ꕤꕤꕤꕤꕤꕤ



الفصل الأول

الاستعمار و إضعاف العالم الإسلامي

(من الداخل)

أولاً : حركة أحمد خان .

ثانياً : القاديانية .

ثالثاً : البابية .

رابعاً : البهائية .

خامساً : النزعات القومية و العنصرية .

سادساً : تقسيم العالم الإسلامي إلى دويلات بحدود مصطنعة .

١- منطقة الشام

٢- سوريا و تركيا

٣- جنوب السودان

٤- المشكلة الكردية

سابعاً : دور المستعمرين في سقوط الخلافة العثمانية .

عمد المستعمرون على مختلف أشكالهم إلى السيطرة على العديد من المواقع الاستراتيجية في العالم الإسلامي والسيطرة كذلك على بلدانه الغنية وشعوبه وإنتاجه الاقتصادي في محاولة للالتفاف والسيطرة على هذا العالم بعد إضعافه .

فقــد اتجــه المســتعمرون إلى شبه الجزيرة الهندية التي كانت تعد درَّة بلاد المســلمين فــي الإنــتاج الزراعي ، و تنوع المحاصيل التي تنقل رأساً إلى البلاد الأوربــية فتثــري الأسواق هناك، ويعم الرخاء في تلك البلدان ، وفي المقابل كان الضــعف يستشــري ويــزيد في العديد من البلدان الإسلامية كما أسلفنا في التمهيد السابق.

واتجــه المستعمرون : البرتغال والانجليز والفرنسيون والهولنديون للسيطرة على مــناطق الخلــيج العربي حيث استولوا هناك على مملكة ومضيق هرمز ومن هذه المملكة تم لهم السيطرة على مسقط والبحرين وبعض المناطق الأخرى في المحيط الهــندي والخلــيج العربــي ، وأصبحت لهم بعض التحركات على سواحل البحر الأحمــر وإقامة مراكز نصرانية على شواطئ الشرق الأفريقي ، وعمدوا بعد ذلك إلــى فــتح محــاور جديــدة لإضعاف المسلمين حيث جاءت هذه المحاور و هذه المحاولات كالآتي:

أولاً : خلق طبقة من أبناء المسلمين تتبنى مذاهب هدامة تخدمهم وتخدم أهدافهم، فقد وضع بعض مفكري الغرب وآخرين من قادتهم سياسة اتبعوها لاحتواء العالم الإســلامي ليس فقط للسيطرة الاستعمارية العسكرية بل للسيطرة عليهم بعد تعريتهم من مصادر القوى الإسلامية .

وأخــذ أعداء الأمة يدفعون بأفكارهم عن طريق بعض المسلمين الذين خلطوا لهــم أدياناً ومذاهب متعددة لتنخر في عظام الدين الإسلامي (**ويأبى الله إلا أن يتم نــوره**) وحاولوا بذلك تكوين خليط من الأديان السماوية الأخرى ، وبعض الأفكار

الوثنية التي خلطوها معاً لتخرج مذاهب هدامة تحقق أهداف المستعمر علي وجه الخصوص **كان من بين هذه الاتجاهات:**

أ – حركة السيد أحمد خان.

ب– القاديانية.

ج – البابية و البهائية.

أولاً . حركة السيد أحمد خان :

اعتنى الانجليز منذ أن سيطروا علي بلاد الهند المترامية الأطراف أن يستنفذوا كل خيرات هذه البلاد الواسعة بكل ما أوتوا من قوة و عمدوا في سبيل ذلك إلى إضعاف المجتمع الهندي حتى لا يقوم بثورات أو تمردات تثقل من كاهل المستعمر أو تضعف من تحقيق الأهداف التي ينشدها فجاء بواحد ممن تربوا علي يد هذا الاستعمار يدعى "أحمد خان"[1] و مدوا له كل عون في محاولة لتدمير الأساس الذي يمكن أن يقوي عليه أهل الهند المسلمون ، وأخذ ينادي بمذهب الدهريين الطبيعيين الذي ينكر وجود أي قوى سوى قوة الطبيعة، و ينكر وجود إله حكيم وادعى أن كل الأنبياء كانوا يعتنقون هذا المذهب.

ونظراً لوقوف المستعمرين بجانب **"أحمد خان"** فقد تمكن من إغواء بعض الأثرياء في الهند بضلالته حيث أن هؤلاء الأثرياء كانوا يعملون في خدمة المستعمرين ، و في الوقت نفسه وجد فيه الانجليز خير معين لهم علي أهدافهم ومشاربهم ، فساعدوه علي إقامة وكرٍ لهم كمدرسة في مدينة **عليكرة** أطلقوا عليها اسماً يساعد علي هذا الضلال الذي جاء به أحمد خان "مدرسة المحمديين"، وجعلوها لأبناء المسلمين حيث يشبون علي الفكر الضال **"لأحمد خان"** .

---

(1) ولد أحمد خان بمدينة قاديان و هي إحدى قرى البنجاب في ١٢٥٥ هـ/١٨٣٩ م و ادعى أنه المسيح المنتظر، ثم ادعى النبوة. انظر د/ داود الفاعوري مرجع سابق – ص. ٣٥٠.

وتتضـــح معـــالم هذه الدعوة الإلحادية إذا علمنا أنه بدأ يبث في عقول أبناء المسلمين أراء فاسدة هناك حيث دعاهم إلى نبذ الأديان كدعوة علمانية لا يعتنقها إلا المسلمين فيحقق بذلك ما جاء به و ما أراده المستعمرون، وهذا الرجل "**أحمد خان**" قـــد استطاع بمساعدة الانجليز أن يحقق تفرداً سياسياً و سيطرة فكرية ساعدته علي جمـــع أعـــداد كبيرة من الناس تبنوا فكره الضال نظراً لكونه صحفي و مؤلف أي كاتب ، ومدرس فضلاً عن تمتعه برضى المستعمرين عنه، فأدت هذه الحركة إلى ظهور فرقة ضالة أخرى نسجت على منواله أفكاراً مشابهة و متقاربة مع أفكازه ألا وهي القاديانية التي استخدمت بعض أفكار "أحمد خان" و زادت عليها في مجالات أخرى(١). وكانت وفاة أحمد خان في ١٨٩٨م(٢).

ثانياً: القاديانية :

كـــان الحكـــام المسلمون يشكلون أغلب حكام المناطق بشبه القارة الهندية ، واســتمر الحـــال تقـــريباً حتـــى سيطرة الانجليز بالقوة علي السلطة في آخر عهد الأباطرة المسلمين " بهادر شاه ظفر" ، وعلم الانجليز أن مسلمي شبه القارة الهندية يتمســكون بعـــروة عقـــيدتهم، فحاولوا تشتيت وحدتهم و شملهم بالتفريق الديني و المذهبـــي فيما بينهم حتى يسهل حكمهم ، و قد وجدوا ضالتهم في ضال عميل لهم يدعـــى **ميـــرزا غلام أحمد** الذي يؤثر عنه قوله :((إني منذ الصغر إلى أن بلغت ســتين ســنة مـــن عمري ، كنت أحاول في محاضراتي ومقالاتي أن أخلق الحب والـــولاء للإنجليـــز في قلوب المسلمين ، وأن أحملهم علي التخلي عن الجهاد ضد المحتلين الانجليز)).

---

(١) فقد انقسمت طائفته إلى قسمين هما : الأحمدية ، والقاديانية الأولى في لاهور، و يعتبرون أحمد خان مصلحا ، والثانية سيأتي الحديث عنها.

(٢) ورغم ما قيل في مصادر عديدة و عن أثره السلبي في المجتمعات الإسلامية إلا ان أحمد أمين يذكره بلفظ المصلح والمجدد ، و يصف منتقديه بالرجعيين و الملتزمين من رجال الدين ، و يمدحه أمين في العديد من صفحات كتابه.
- أنظر أحمد أمين - زعماء الإصلاح في العصر الحديث - النهضة المصرية - ط٤-١٩٧٩م-القاهرة-ص ١٣٠ وما بعدها.

وكانــت منطقة البنجاب مرتعاً وخيماً حيث ظهرت فيه العديد من الدعوات الموبــوءة التي ادعى فيها أصحابها النبوة بجهل و ولاء للمستعمرين ، ومن هؤلاء كــان ميــرزا غــلام أحمد الذي ولد بقرية : قاديان في مديرية جوردا سبورا سنة ١٨٣٥ فتعلم اللغات الأردية والفارسية والعربية و لكنه فشل في دراسته الجامعية .

و نظــراً لضــلاله فقد ادعى النبوة ، أخذ يعلن فتواه و فكره للمسلمين بأن يخضــعوا للإنجليــز ، فتلقفه هؤلاء المستعمــرون ، و ساعدوه ، و قربوا أتباعه عندهم بالمناصب ، والحماية لهم ولفكرهم الضال ، و ظل الحال على هذا المنوال حتى وفاته في مايو ١٩٠٨م / ١٣٢٦هـــ حيث نقل من لاهور إلى قاديان التي دفن بها [١] وعلي الرغم من ظهور الميزرا غلام أحمد هذا في الربع الأخير من القرن التاســع عشر الميلادي وهو يلبس عباءة الداعي إلى الإسلام ويقف بحرارة يناضل غيــر المسلمين مختصاً بهم في مناظراته ، إلا أنه بعد عدة سنوات ظهرت أفكاره على حقيقتها وتحدث كثيراً في أمور تخص " المسيح عليه السلام " محاولاً أن يتشبه به ، ثم ما لبث أن أعلن أنه حي وأن المسيح قد مات إلى أن تجرأ باعتباره كأنه في المسيح.

ومــا أن بــدأ القرن العشرين حتى أخذ إخوانه يلقبونه بالنبي والرسول وأن يســمى نفســه بمسميات عديدة وأنه يوحي إليه ، ولابد أن يبلغ ما جاء به إلى أمته التي أطلق عليها الأمة القديانية ومن لم يؤمن بها فهو كافر على حد قوله.

وبذلك حاول القديانيون أن يجعلوا من ضلالهم ديناً له نبي وتاريخ ، ويبعدون أهلــه عن التراث الإسلامي والمصادر الإسلامية الأصيلة ليس هذا فحسب بل إنهم عمــدوا إلــى المســميات التــي كانت تطلق علي المسلمين الأول و أطلقوها علي

(١) د / محمد حسن الأعظمي - البهائية و القاديانية - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - ص٨٨ و ما بعدها.

أصحابهم ، ومن ذلك نجد أن الزعيم قد ربط اسمه و قرنه بـــ : عليه السلام وأطلق علـــي امـــرأته " أم المؤمنين" وعلى رجالهم "رضي الله عنهم" فجعل من بلده هذه "قديان" مركزاً وعاصمة لدعوته الضالة حتى أنه قد شبهها بالمدينة المنورة.

لم يرحب علماء الإسلام وقادة الفكر في الهند بهذه الدعوة وهذه الفئة الضالة ، بل اتجهوا إلى محاربة القاديان بخطبهم وأقلامهم وعلمهم واعتبروها بدعة خارجة عــن أصـــالة الإسلام ، في الوقت الذي رحب بها زعماء الهندوس وعلمائهم ،كما رحب بها أيضاً الانجليز الذين اعتبروها أداة سهلة لتحقيق أغراضهم الاستعمارية ، وإضعاف المسلمين ، والتحكم والسيطرة أكثر فأكثر علي البلاد الهندية حتى تضعف المقاومة الإسلامية لهذا المستعمر في بلاد الهند درّة المستعمرات الانجليزية ، وليس هــذا وحســب بل سجلت الإدارة البريطانية بالهند هذه الفئة الضالة ابتداء من سنة ١٩٠٠م وشـــجعت قادتها ورجالها علي ارتياد المناصب الرفيعة مما حدا بالمسلمين أن يقاوموا فكر هذه الفئة.

وقامت المعارك والمنازعات بين الطرفين كان الانجليز والهندوس يتحيزون فـــيها إلـــى أتباع القديانية التي ما لبثت أن بدأت تنتقل إلى دولة باكستان المسلمة، وتجـــد مكانـــة لها تحميها الحكومة الباكستانية ، وتفسح المجال لبعض معتنقي هذه النحلة في تولي المناصب الكبيرة مثل وزير الخارجيـــة ظفر الله خان الذي كان مـــن المتحمسين إلى القديانية ، وهو بالتالي قد مكن لها حيث دفع ببعض المعتنقين لهـــذا الفكـــر إلـــى العديد من المناصب في السفارات والمفوضيات التابعة لوزارة الخارجية.

وقــد راح العديــد مــن المعارضين لهذة الفئة ضحية الاشتباكات التي كانت تحــدث في باكستان ، واستشهد المئات من المعارضين لها بالرصاص الحكومي ، وكــان من بين الذين استشهدوا الشيخ أبو الأعلى المودودي الذي كان قد حكم عليه بالإعــدام ثم استبدل بالسجن أربعة عشر عاماً من الأشغال الشاقة بسبب معارضته للقديانــية و كتابه الذي جاء بعنوان ((المسألة القديانية)) ، وفي كتابه هذا أوضح أباطــيل القديانيــين ، وفند دعواهم فيما جاء به ولذلك لا نتعجب أن تكون القديانية إحــدى ابــتكارات الاستعمار وولدت علي فراشه لمساعدته على الطريقة المعروفة <<فــرق تسد>> وهي طريقة لاضعاف المسلمين وإنشاء أمة هزيلة كبديل عن أمة الإسلام حتى يسهل احتواء الجميع.

والدليل علي أنها فكرة استعمارية أن من بين البلدان التي رحبت بهذه الفكرة وهذه الفئة بلاد الصهاينة الذين أسسوا لهم مركزاً في حيفا بحماية بريطانية ، ومن حــيفا أخذوا يبثون دعاتهم في البلاد العربية وهم يحتمون بالإسرائيليين الصهاينة ، وكذلك الانجليز.

ظهــرت فــرقة أخرى انشقت عن القديانية أطلق عليها اللاهورية أو جماعة لاهور حيث أن الأولى (القديانية) تعتقد أن الميرزا غلام أحمد النبي المرسل من الله تعالى وأنه المسيح المولود و يطلق عليهم القديانيون نسبة إلى قديان التي نشأت فيها الحركة و يسمون أنفسهم أيضاً أحمديين نسبة إلى غلام أحمد الذي ادعى النبوة وضــلل الناس ، أما الفرقة الثانية اللاهوريين ، فقد تزعمها رجلان هما <<خواجه كمــال الدين ومولاي محمد علي>> ولهما رؤية تختلف عن القاديانيين بأن الميرزا غــلام أحمــد هــو مصلح مجدد وليس بنبي وهذه الطائفة جماعة اللاهور ، انتشر فكرهم في آسيا وأوروبا، وتسمى نفسها أيضاً بالأحمدية ، ومما يؤسف له أن العديد من المسلمين لا يدركون مساوئ ومخاطر هاتين الفئتين فكلاهما ضال وليس له من ملة الإسلام نصيب.

ثالثاً : البابية:

تُعـــد حركة المرزا على إحدى نتائج الفوضى الفكرية الدينية التي نتجت عن الاضطرابات السياسية داخل الأمة العربية الإسلامية، ولا سيما في إيران علي وجه الخصـــوص ، فقد شهد القرن التاسع عشر الميلادي أحداثاً جسيمة عصفت بالعديد مـــن بلـــدان هذا العالم وأدت إلى اضطرابات سياسية وفوضى فكرية ساعدت على ظهـــور مصـــلحين فـــي جانب ومفسدين في جانب آخر كان على رأس المفسدين شخصية << علي محمد الشيرازي >> سنة ١٢٦٠م / ١٨٤٤هـ[1].

هـــذا الذي عرف باسم المرزا علي وأعلن نفسه << الباب >> الذي يوصل إلـــى صـــاحب الزمان هذه الشخصية الشيعية التي يرى فيها الشيعة الإمام المنتظر إمـــام الشيعة الإثنى عشرية ، وأعلن الباب أنه يريد إصلاح أمر المسلمين وإصلاح أمور القرآن بالعودة إليه إلا أنه رغم دعوته بالإمام المنتظر فوجئ تابعوه بأنه يعلن نفســـه الإمام المنتظر بعينه متجاوزاً الأمر إلى إعلان نفسه الإمام وأنه نبي مرسل وبـــدأ يذكر بعض المقولات التي جاء بها في كتابه << البيان >> هذا الكتاب الذي وضـــعه <<والعـــياذ بالله>> مكان القرآن ، وأطلق على دعوته اسم البابية ، وأنها تنسخ الشريعة الإسلامية و أنه هو نفسه خاتم النبيين بعد << محمد صلى الله عليه وسلم>>.

---

(١) ولد على محمد (مؤسس الفرقة الثانية) في شيراز سنة ١٢٣٥هـ / ١٨٠٩م ، ودرس في مدرسة قهوة الأنبياء والأولياء ، ثم التحق بصفوف المتصوفين ، ونهل كثيراً من أفكر المتصوفة ، ثم اعتكف بالمسجد ، ولما انتهى أعلن أنه الباب الموصل إلى صاحب الزمان أو الإمام المنتظر.
أنظر : د/محمد حسن الأعظمي- البهائية و القاديانية - ص١٣.

وقــد اتجه هذا (الباب) إلى إلغاء الصلوات إلا صلاة الجنازة و جعل القبلة البــيت الذي ولد فيه في مدينة شيراز بإيران و يذكر : أنه أيضاً عقد مقارنة بينه وبين << محمد صلى الله عليه و سلم >> و مقارنة أخرى بين << كتابه و القرآن الكريم >> و تجرأ على أن يفضل ما عنده على ما جاء به الإسلام من نبي و كتاب وتعاليم وغير ذلك مما يسير عليه المسلمون.

لــم يترك علماء المسلمون هذه الدعوة لتنتشر بل اعتبروها خارجة عن فكر المجتمعات الإسلامية وارتداد عنه، وأن هذه الدعوة دعوة إلحادية خارجة تماماً عن ملة الإسلام فقام حاكم شيراز بالقبض على الباب وأمر بتعذيبه وتعليقه وضربه حتى اضـــطر إلى إعلان توبته ، ومع ذلك فقد عاد الباب إلى كفره وضلاله مما اضطر الحاكم إلى القبض عليه وإعدامه في حوالي سنة ١٢٦٥م ، وبذلك أغلق الباب على الفصل الأول من هذا الضلال ليبدأ فصل جديد تحت اسم البهائية.

رابعاً : البهائية :

التقط أحد أتباع الباب و يدعى المرزا حسين على المازندراني الذي كان يلقب بالبهاء أو ببهاء الله الفرصة التي سنحت له بإعدام الباب ، وقام بإعلان دعوة جديدة بنــيت علـــى دعـــوة الـــباب السابق ، وأعلن نفسه أنه الموعود الحقيقي (المسيح المنتظـــر) وتجـــرأ إلى اعتبار نفسه النبي والرسول وأن الباب كان مبشراً به فقط كيوحـــنا المعمداني عندما بشر ودعى للمسيح عليه السلام وأخذ البهاء ينشر أباطيله فـــي << مديـــنة طهران الإيرانية >>، إلا أنه ما لبث أن أودع في السجن لاتهامه بالتورط في محاولة قتل شاه إيران فتدخلت السياسة الخارجية التي تمثلت في نفوذ الســـفارتين الروســـية والبريطانية عند شاه إيران للإفراج عن البهاء ، وبالفعل تم الإفراج عنه ونفيه إلى العراق، إلا أنه وقع في يد مجموعة من اليهود ساعدته على نشر دعوته بل ووضع الخطط له في كيفية نشرها والتفاف الناس حوله.

وقد وجد هؤلاء اليهود فيه ضالتهم وضلالهم لأنهم يريدون تفريق المسلمين و إضـــعاف شأنهم، فوجهوا البهاء إلى فكرة وحدة الأديان وبما تسعى إليه من توحيد دين عالمي جديد أتوا به من عندهم، وإبعاد تعاليم الأديان التي نزلت من السماء من رب العالمين.

ولـــم يلبث أمر البهاء أن تم نفيه إلى عكا بعد أن علمت به وبخطره السلطات العثمانـــية، كما نفي أخوه << صبح الأزل >> إلى قبرص لأن كلاً منهما قد أعلن نفســـه رســـولاً بعيداً عن الآخر ، ولكل منهما كتاب خاص به فكتاب البهاء سماه <<الأقــدس>> و كتاب الأزل سماه << ألواح >> و نظراً للصراع الذي دار بين أتـــباع الاثنـــين فقد تمكن البهاء خلال هذا الصدام من إبادة و قتل مجموعة أخيه مستمراً على ادعائه النبوة ، ثم ما لبث أن ادعى << الألوهية >>، واستمر اليهود يساندونه و يتولون أمره لأنه قد اتبع وجهتهم وأوامرهم فأسقط فريضة الجهاد وأيد اغتصاب اليهود لأرض فلسطين وأيد أموراً عديدة منها التعامل بالربا ، وما جاءت بـــه الدعوة الصهيونية من دعاوي باطلة في أرض فلسطين، وساعده على أمره ما قامـــت بـــه الحكـــومة البـــريطانية من الإنعام عليه بالجنسية الانجليزية و الوسام الامبراطوري و لقب باسم << السير >>.

هـــذه المنح التي لا تعطى إلا لمن قدم العديد من الخدمات للحكومة و للدولة البريطانية، واستقر أمر البهاء على اتخاذ عكا مقراً له تحت حماية اليهود والانجليز الاثنين معاً.

أمـــا عـــن تخطـــيط البهائية للعمل ضد الإسلام فقد اتبع عدة طرق في سبيل الوصول بدعوتهم للنجاح كان من بين هذه المخططات : ــ

١- تأويل معاني آيات القرآن وإبعادها عن مفهومها الحقيقي.

٢- ادعائهم بأن الشريعة الإسلامية لا تصلح للفترة التاريخية الحديثة أو المعاصرة وضرورة فصل الدين عن الحياة.

٣- وقف الجهاد بمعارضة أمزه و مقاومة دعاته، وهم في ذلك يرفعون هذا المخطط ضد مقاومة أهل فلسطين للمحتل الصهيوني.

٤- محاربة اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم و معاداة الدين الإسلامي بالدفع بالدين الجديد كناسخ للإسلام بل وللأديان جميعاً فهو دين البهائية كما يزعمون (والعياذ بالله).

٥- إبطال كل أحكام الشريعة الإسلامية و تعاليمها فيما يخص أمر المرأة، مع الدعوة لها بالاختلاط المطلق مع الرجل و الدعوة إلى المساواة بينهما مساواة مطلقة.

٦- الدعوة إلى السلام العالمي لخدمة أهداف إسرائيل وإكمال احتلالها لفلسطين.

٧- إدعاء البهاء بأنه الإله وأنه المهدي المنتظر ، وأنه المسيح وأن كل الأنبياء قد بشروا به و دعوا إليه.

٨- اتباع المنهج اليهودي والتراث اليهودي في تعاليمهم وربطهم بين اليهودية والتلمودية و البهائية.

٩- الإيمان بتناسخ الأرواح وإنكار الثواب والعقاب الذي جاء به القرآن الكريم ، كما أنكر البهائيون اليوم الآخر وما يحدث في يوم القيامة.

١٠- إدعاء البهائيين بأن الوحي والرسالة لم ينقطعا، وأنه لا يوجد سند لذلك فيدعون أن آدم هو نوح ونوح هو محمد ، والرسل هم وحدة واحدة تتناسخ بالهياكل البشرية.

ولـــم يكـــن لهـــذه الأفكار وهذه الأباطيل التي جاء بها البهائيون ومن قبلهم البابـــيون ومـــن قبلهم أتباع ((السيد أحمد حان)) و غيرهم إلا محاولة لإضعاف شـــوكة الإسلام والعمل علي تفريق و إضعاف أهله حتى يتمكن الاستعمار الغربي من احتواء هذا العالم الإسلامي ، ولذلك فقد أفتي علماء المسلمين بأن البهائيين هم كفـــار و خارجـــين عـــن ملة الإسلام ويجب الضرب على أيديهم بأقصى درجات العقاب في كل موقع يظهرون فيه[1].

****

خامساً: النزعات القومية والعنصرية :

علـــي الـــرغم من أن الإسلام قد حرص علي تذويب الفوارق بين الطبقات و الأجـــناس و كذلك الألوان البشرية المتعددة كما جاء في حديث المصطفى صلي الله علـــيه وسلم :((لا فضل لعربي علي أعجمي إلا بالتقوى))، وجعل الله في قرآنه الناس كلهم علي قلب رجل واحد سواسية بقوله تعالى في سورة الحجرات :((إنما المؤمنون إخوة)).

إلا أن المســـتعمرين قـــد لعـــبوا علي أوتار شتى لزعزعة استقرار المسلمين وإيمـــانهم بما جاء في دستورهم فذهب هؤلاء المستعمرون كل مذهب لتفريق وحدة المســـلمين ، وتفتـــيت جمعهم بإثارة شعوبية بغيضة كان الإسلام قد قضى عليها ، ولعـــبوا علي أوتار القوميات الضيقة التي تتنازعها الأهواء المحلية ، والعصبية ، وإثـــارة ألـــوان الشـــقاق ولا سيما الخلافات القبلية التي تظهر بين الحين والآخر وسرعان ما تختفي.

---

[1] لمزيد من التفاصيل عن البابية و البهائية انظر : د / محمد حسن الأعظمي - البهائية و القاديانية - ص١٢ وما بعدها .

لــم يتركها الاستعمار بل أوجد لها ما يشعلها ويجعلها متقدة بنصرة فئة على أخـــرى ، وربما بتزويد طائفة بالسلاح والمخططات الشريرة التي تضعف الطرفين معـــاً علي طريقة ((فرق تسد)) ليسهل على المستعمر التهام الجميع والهيمنة على أراضيهم وخيراتهم.

وقــد رأينا عملاء الاستعمار يشجعون النزعات القومية العنصرية في معظم بلـــدان المســـلمين فأشعلوا نيران الفتنة في بلدان المغرب العربي بين دعاة العربية والإســـلامية ، وبـــين دعـــاة العـــودة إلى البربرية التي هي أصل شعوب المغرب لإضـــعاف الجانبين ، وإضعاف الشعور الديني والعربي لديهم حتى يسهل غزوهم فكـــرياً واقتصادياً ، وفي مصر حاول المستعمرون بث فكرة إعادة الفرعونية من جديد للمجتمع المصري لإبعاده عن الشعور الإسلامي العربي حتى يضعف الأخير فـــي الفكر والنفس المصرية التي لها تأثير بالتالي علي فكر العرب والمسلمين في أغلب بلدانهم.

وأثار المستعمرون كذلك دعوى : الفينيقية في بلاد الشام للأسباب سالفة الذكر نفســـها ، وفي إيران عمل أهل الغرب علي إثارة النزعة القومية الفارسية حتى يتم الفصل بين الفرس و العرب و الحيلولة دون وحدتهم و تكاملهم.

وكـــذلك في إثارة الآشورية بالعراق للغرض نفسه وعلي أطراف من تركيا ، وإيـــران ، والعـــراق ، وســـوريا حاول المستعمرون إذكاء وإثارة القومية الكردية بطـــوائفها المـــتعددة ، وانتماءاتها ، والوقيعة بينها و بين جيرانها و خلق المشاكل للأكراد ومنهم لمن حولهم.

وعلى الرغم من نجاح المستعمرين جزئياً إلا أنهم استمروا في نهجهم يبثون بـــذور الشـــقاق وإثارة قضايا القومية باستمرار ، ووجدوا ضالتهم في دعوة كبرى تنادي بفكرة القومية العربية ليتم الفصل العرب عموماً عن الأتراك ، وعن الفرس لـــتكون الدعوة لدى من يعتنق فكرة القومية العربية دعوة تغريب عن الإسلام للبعد عنه ، والتفكك لعناصر الأمة الإسلامية في النهاية .

ونقابل كثيراً في المؤتمرات والندوات هذا الصراع الذي زرعه الغربيون في أبـــناء الأمة الواحدة، فنجد الملتزمين يطالبون بها إسلامية ، ومن تربوا علي أيدي الفكـــر الغربي يطالبون بها عربية فتنشأ المخاصمات و يستعر الجدال دون طائل ، والغربي يقهقه من هذا الخبل الذي عليه من يجهلون دوافعه وأهدافه.

وتجدر الإشارة إلى أن فكرة القومية العربية التي ولدت على فراش الاستعمار قـــد وجـــدت أرضـــية لها، وانتشرت في الشام ولا سيما لبنان نظراً لوجود النشاط التنصـــيري بكـــثافة هناك ، وانتشرت الفكرة كذلك جزئياً في مصر عند بعض من تـــربوا علـــي فراش المستعمرين في دول أوربا وأمريكا ممن تعلموا ودرسوا علي حساب الشعب المصري المسلم حيث أنفقت عليهم بلادهم أموالاً طائلة ليعودوا إليها حاملـــين فكـــراً هـــداماً كأبـــواق دعاية ، وهكذا الحال نفسه في العديد من البلدان الإسلامية التي كانت ومازالت في أمس الحاجة إلى العملة الصعبة التي أنفقت على تعليم هؤلاء في الجامعات الغربية.

ولا ننكر أبداً ولا نغفل أن هناك من تعلموا في الغرب من إخواننا وقد تركوا أثراً حسناً لدينهم وأوطانهم في البلاد الغربية التي تعلموا فيها ، وعادوا إلى أوطانهم يحملون خلاصة عملهم و فكرهم البنّاء لخدمة أوطانهم وترابهم الوطني.

سادساً : تقسيم العالم الإسلامي لدويلات بحدود مصطنعة :

حـــاول المســـتعمر تقســـيم الدول ومناطق المسلمين إلى دويلات وكانتونات صـــغيرة ليســـهل عليه التهامها أو الهيمنة عليها دون عناء يذكر ، وتشجيع بعض العناصر و الأجزاء للانسلاخ عن الدولة الأم ليكون هناك تفتيت للكيانات أو الدول الكبيـــرة التي يخشى منها الأخذ بأسباب النهوض والقوة ، وقد حدث ذلك في العديد من المناطق التالية :

١- **مـــنطقة الشام :** حيث اتجه الاستعمار الفرنسي والانجليزي بعد سيطرته على الشـــام (كأثر من آثار التآمر في معاهدة سايكس بيكو) إلى تفتيت هذا الإقليم الواحد إلى أربع وحدات سياسية بحدود مصطنعة هي لبنان و سوريا و الأردن و فلسطين في محاولة لبذر بذور الشقاق والتنازع على الحدود بين الأشقاء فيما بعـــد ، ولتمزيق العناصر البشرية المتجانسة بكل السبل، ومازال المستعمرون إلـــى يومنا هذا يحاولون الوقيعة بين الأردنيين و الفلسطينيين ، وبين لبنان و ســـوريا علي مزارع شبعا التي مازال الكيان الإسرائيلي يسيطر عليها ، وليس هـــناك من حل للجميع سوى استمرارية الاتحاد ، والوعي لما يدبر في الخفاء والعلـــن للفرقة بين الأطراف جميعاً حتى لا تكون المنطقة بؤرة صراع علي الحدود والمصالح فمصالحهم واحدة لاتتجزأ.

٢- **سوريا و تركيا :** أيضاً حاول الاستعمار الوقيعة بين السوريين و الأتراك عندما اقتطعوا لواء الاسكندرونة من السوريين ، وألحقوه بالأتراك حتى يستمر هناك نـــزاع دائـــم بين الجانبين وقتما يريد المستعمر تحريك هذا الخلاف بما يحقق مصالحه وسياسة الهيمنة التي ينشدها.

٣- **جـــنوب الســـودان** : وهي أثر من أثار الاستعمار الانجليزي لإثارة النزاعات العرقية و الدينية بين شمال السودان وجنوبه لفصلهم عن بعضهما البعض عن طـــريق البعـــثات التنصيرية خاصة في الجنوب لمحاربة انتشار الإسلام بين النصـــارى هـــناك، ولإضـــعاف المسلمين في الشمال عن طريق حركة عزل سياســـي وحضـــاري بـــين الطـــرفين ، والزج بالوثنيين في الجنوب لصالح النصـــارى فـــيه ، وللأســـف فـــإن هذا الصراع ليس في صالح الطرفين فهو إضعاف لكليهما معاً ، مما يحتم علي الأطراف المحلية الحيطة والحذر من هذه المؤامرات الغربية الاستعمارية.

٤- **المشـــكلة الكـــردية** : هـــي كذلك من صنع المستعمرين الذين خططوا حدوداً اصـــطنعوها لإذكاء صراع دامي بين أطراف أربع و فصلهم حتى تكون هناك أمة تركية ، وأمة عربية ، وأمة فارسية ، ورابعة كردية.

إلا أن مشـــكلة الأكـــراد قـــد باتـــت تؤرق الجميع ، وأدت إلى تمزيق حدود الأطـــراف كلهـــا مـــع تمزيق وتشتيت الأكراد أنفسهم بين دول عدة في أراضي و تضاريس وعرة بعضهم في شمال العراق ، والبعض الآخر في شرق وجنوب شرق تـــركيا ، ويعـــيش البعض الثالث في غرب إيران ، ويستمر الصراع بين الأكراد المشـــتتين، وبـــين الدول المحيطة بهم بسبب الحدود المصطنعة التي تمزق أوصال الأمة الإسلامية الواحدة.

وتــتعدد المشكلات على الوتيرة نفسها نذكر منها : قضية منطقة شط العرب وقضايا الحدود بين العراق وإيران ، وقضية شمال بورنيو بين ماليزيا وإندونيسيا ، ومنطقة حلايب بين مصر والسودان ، وقضايا أخرى ، ثم قضية مشكلة كشمير بين الهــند وباكســتان ، ومــن قبل كانت المشكلة الباكستانية البنجالاديشية التي انتهت بانفصالهما عن بعضهما بعد أن كانتا دولة واحدة ، ولا نغفل المشاكل التي تثار بين الحــين والآخر بين كل من أثيوبيا وأرتيريا والسودان علي الحدود بفعل التدخلات الاستعمارية السابقة و الحالية.

والمؤســف له أن الاستعمار لا ينتفع فقط من الصراع الحدودي بين الأشقاء بإضــعاف الجانبــين ، ولكن المستعمرين يستفيدون كذلك اقتصادياً بتشغيل مصانع الأسلحة لديهم حيث يربحون أموالاً طائلة من جرّاء بيع السلاح لكل الأطراف علي حد سواء.

ولا ســبيل أمام الجميع سوى حل المشكلات والنزاعات فيما بينهم بالحوار البينــي وتغليب المصلحة المشتركة ، وغلق الباب تماماً أمام التدخلات الاستعمارية التي لم تعد أسراراً بل تفاصيلها واضحة أمام الجميع عبر أبواق الإعلام المختلفة.

سابعاً : دور المستعمرين في سقوط الخلافة العثمانية :

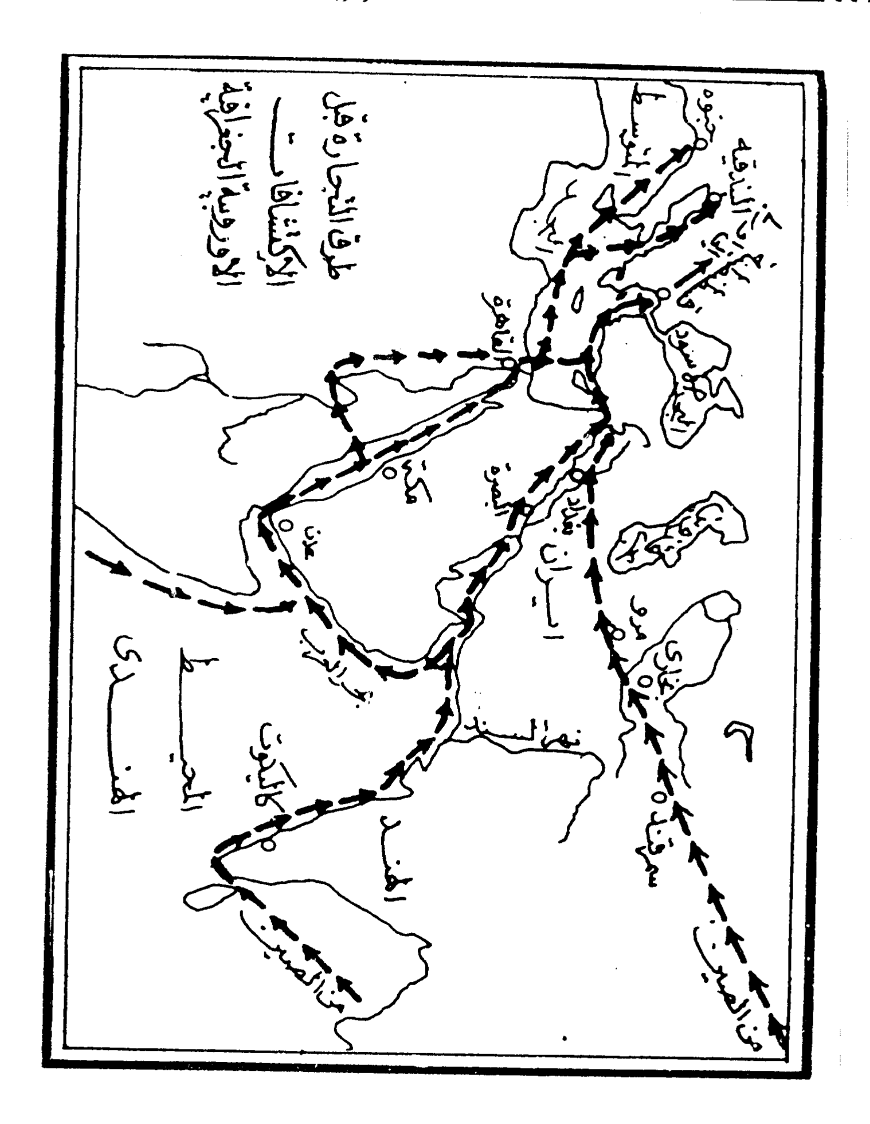
اتفق المستعمرون (فرنسا وبريطانيا وروسيا) في معاهدة سايكس بيكو سنة ١٩١٦م على تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية ، وتضييق نطاق سيطرتها علي البلدان التــي تســيطر علــيها على أن تحصل فرنسا علي سوريا و لبنان ، بينما تحصل إنجلتــرا علــى العــراق و شرق الأردن و فلسطين ، أما روسيا فيقع نصيبها في

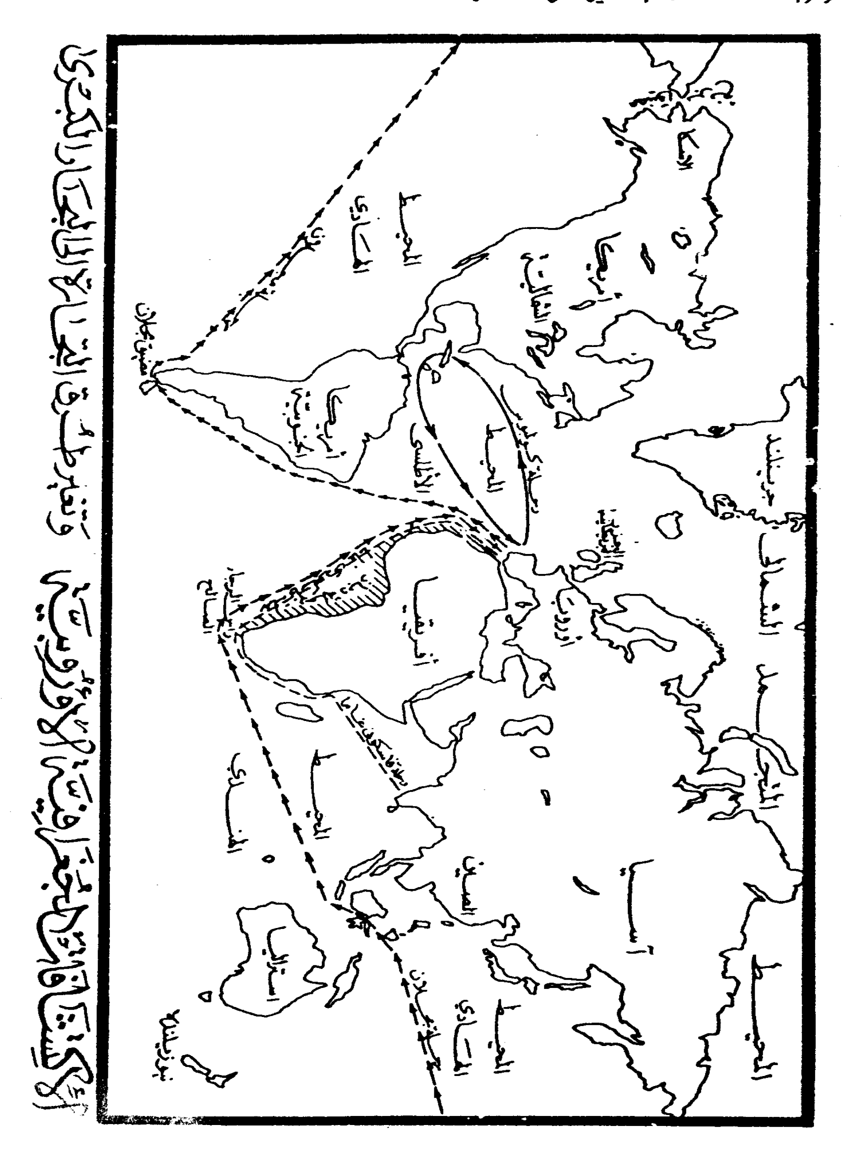
الولـيمة خـارج حـدود العالم العربي ، إذ تحصل بموجب المعاهدة على مضايق البسـفور والدردنـيل وهـي مناطق استراتيجية ومعابر في غاية الأهمية بالنسبة للروس[١].

ومـا أن وضـعت الحـرب العالمية الأولى أوزارها حتى بدأ هؤلاء الغزاة المسـتعمرون يعملون على تصفية الدولة الإسلامية الكبيرة ، فأتوا من بين حطامها بعمـيل تم تجهيزه علي يد اليهود هو ورفاقه لتحويل النهج الإسلامي لها إلى نهج علمانـي ثـم دفعـه إلـى إلغـاء الخلافة الإسلامية في سنة ١٩٢٤م ، معلناً قيام الجمهـورية التركية ، ونقل العاصمة من اسلامبول إلى أنقرة ، وتعديل العديد من الإجراءات لفصل الدولة عن تاريخها الإسلامي الطويل المجيد بإلغاء التعليم الديني، والأوقـاف الإسلامية ، وعطلة الجمعة بجعلها يوم الأحد تشبهاً بالنصارى ، وإلغاء الـتاريخ الهجـري كذلك باستبداله بالتاريخ الميلادي ، والأمر بتحويل كتابة اللغة التـركية مـن الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية تمهيداً لدخول الفكر والثقافة الأوربـية كبديل للعربية و الإسلامية ، وحتى يصل الغزو الفكري الأوربي الغربي للمجتمع التركي الإسلامي بسهولة ويسر.

---

[١] د / سعد الطواقي - تاريخ كل العرب - ط٢ ص٣٣


طرق التجارة قبل
الاكتشافات الجغرافية الأوروبية
القاهرة
مكة
عدن
البصرة
بغداد
سمرقند
من الصين





الفصل الثاني

الاستعمار وإضعاف العالم الإسلامي

(من الخارج)

أولاً : الاستشراق .

ثانياً : الاستشراق الإسرائيلي .

ثالثاً : البعثات التنصيرية .

رابعاً : أهداف المنصرين ووسائلهم .

خامساً : الغزو الفكري .

أولاً : الاستشراق

يُعد الاستشراق ، وعمليات التنصير هي أهم وأقوى وسائل الغزو الفكري – الذي سنفرد له حديثاً خاصاً .

وقد ارتبط الاثنين معاً ارتباطاً وثيقا لخدمة الاستعمار الغربي، ولكنهما اختلفا فـــي المظهر، حيث ادعى المستشرقون بأنهم يهدفون إلى عملية البحث العلمي، أما حـــركة التنصـــير فقد تظاهرت ولبست لباس الرحمة و العطف على المحتاجين من الفقراء والمساكين .

(أ) الاستشـــراق (Orientalism) نســـتطيع أن نعـــرفه : بأنه عبارة عن اهتمام وعـــناية العلمـــاء الغربيين للبحث في علوم الشرق وحضارته وأديانه ولغاته وثقافـــته، وكـــان للاستشراق دور لا ينكر في تبصير الغرب بأخبار وتاريخ وتـــراث العالمـــين الإســـلامي والغربي ، وأظهر في رؤي مختلفة الصراع الحضاري بين الغرب والشرق في الفترات السابقة والمعاصرة لهذه الدراسات الاستشراقية.

وتجدر الإشارة إلى أن الاستشراق على الرغم من وجود جذور قديمة له ربما تـــرجع إلى العصور الوسطى، إلا أن مفهوم الاستشراق لم يتبلور بشكله المعروف ســـوى في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، ومطلع القرن التاسع عشر. كما أن ظهـــور مفهـــوم مستشـــرق "orientalist" بمعنى العالم أو الدارس للشرق ولغاته وأديانه، وكذلك حضارته لم يظهر في اللغة الإنجليزية إلا في عام ١٧٧٩م، وظهر فـــي اللغة الفرنسية ابتداءً من سنة ١٧٩٩ بل إن الأكاديمية الفرنسية لم تعتمد كلمة استشراق "orientalism" في قاموسها إلا في سنة ١٨٣٨م[1].

---

[1] د/ محمد عثمان الخشن – الإسلام والعلم بين الأفغاني ورينان – دار قباء – القاهرة – ١٩٩٨ م – ص ١٤.

وقــد عمــدوا في أبحاثهم ودراستهم إلى ما يسمى بالبحث العملي هذا البحث الذي التزم به البعض كبحث موضوعي عمدوا فيه إلى إظهار الحقيقة دون تشويه، إلا أن الغالبــية العظمــى من المستشرقين قد اتجهوا إلى تشويه هذا التراث العربي الإســلامي ، وإلى زرع وبذر بذور الحقد والضغينة ضد الإسلام وأهله في محاولة لطمس العديد من الحقائق والتعاليم الإسلامية .

وعلــى الرغم من أن البدايات الأولى كانت صحوة مع الغرب الذي كان يغط فــي نوم عميق ، وفي جهل مدقع طوال العصور الوسطى واتجاه هذا الغرب إلى نقــل معالم الحضارة الإسلامية من المعابر العديدة التي أُتيحت للغربيين ابتداءً من بــلاد شــبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس) حيث عمل اليهود في نقل وترجمة علوم العــرب إلــى البلاد الأوربية، ومن المعبر الثاني في الجنوب الإيطالي من صقلية حــيث كــان المسلمون يتواجدون هناك بعلومهم ومعارفهم ، ثم المعبر الثالث الذي تمــثل فــي الحروب الصليبية التي استمرت عشرات السنين واختلط فيها نصارى الغــرب بمسلمي الشرق [1] ونقلوا عن هذا الشرق العديد من المعارف والسلوكيات والاختــراعات والاكتشافات الحديثة طوروا هذا المنقول ليقيموا على أثره حضارة أوربية بدأت تنهض وتترعرع وتقوى على حساب البلدان الإسلامية المتعددة.

وقــد اختلف كثير من المفكرين والمؤرخين في أمر الاستشراق عندما عددوا أسبابه ودوافعه والفترات التاريخية التي بدأت بها أو فيها حركة الاستشراق إلا أن العديد من الباحثين يذكرون أن السبب الرئيسي لهذه الحركة الاستشراقية قد جاءت

---

(١) يذكر د / البيومي أن دائرة الاستشراق قد اتسعت كذلك بقيام بعض الرحالة والمغامرين من الغرب النصراني بالتسلل نحو بلدان الأردن وسوريا ولبنان وفلسطين (الشام)، وترجموا ما شاهدوه إلى لغاتهم القديمة اليونانية واللاتينية، وبعضها للغات الحديثة الألمانية والروسية والفرنسية، ومن هؤلاء يذكر: دانيال الراهب، وبورشارد، وسايولوف ، وغيرهم .
أنظر : د/ عبد المعطي البيومي الدريني – الكشوف الجغرافية في غرف الاستشراق ودلالته اللفظية – ٢٠٠٠م – ص٢.

بنـــزعة التعصب الديني، وربما لبعض الدوافع الشخصية من بعض العلماء عندما ازدهـــرت المراكز الإسلامية المنتشرة في البلدان الرئيسية في العالم الإسلامي هذه المراكـــز التـــي حفـــزت الغـــربيين للاطلاع على ثقافتهم والتعرف على حياتهم الاجتماعية والحضارية، والمنهج الديني والسياسي لبلاد المشرق .

حقـــيقة استطـــاع بعـــض هؤلاء المستـــشرقين أن ينصفوا التاريخ والتراث الإسلامي [١] والحضارة الإسلامية من الافتراءات التي أتى بها غالبية العاملين في هـــذا المجـــال مـــن علمـــاء الغـــرب، وكان من بين هؤلاء المنصفين المستشرق (ديوبـــولدبايص) الذي أسلم وحمل اسم " محمد أسد "، والمستشرق الآخر الذي كان يعمل في مجال التنصير ويطلق عليه "إبراهيم خليل احمد" وكان هناك الكثيرون قد نهجـــوا المـــنهج نفســـه [٢]، إلا أن الأكثرية هم من المغرضين الذين كانوا يكيدون للحضارة الإسلامية.

وقد تمكنوا على فترات متتالية خاصة في القرنين التاسع عشر والعشرين من تخـــريج دفعـــات محلية وطنية من بلاد المسلمين غرسوا فيهم التمجيد لكل ما هو غربـــي والنـــيل والحـــط مـــن كل ما هو شرقي فعاد هؤلاء إلى بلادهم الإسلامية وجامعـــاتهم ومحـــافلهم العلمـــية لينشروا فيها سموم الغرب الذي حملوه من بلاده لينشـــروه على أصقاع العالم الإسلامي، ومن هؤلاء من يقوم بعملية التدريس حتى الآن بالجامعـــات المصـــرية ، وفـــي الجامعات الشامية وغيرها من بلاد المسلمين العديدة .

---

(١) هناك أمثلة عديدة بدءاً من رايسكه Reiske (١٧١٦م – ١٧٧٤م) ، وانتهاء ربما بزيجريذ هو نكه ، وأنيماري في العصر الحاضر.
أنظر : د/ محمود حمدي رزقزوق – مقدمة كتاب الاستشراق الألماني – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة – ٢٠٠٠م – ص٣.

(٢) كما كان لبعضهم معارضة شديدة للفكر الاستعماري الغربي أمثال : غوستاف لوبون، وهربرت سبنسر ، وماكس ملر بعكس رينان ومسيو كيمون، ومن أخذ عنهما من رجال الاستشراق السياسي مثل هانوتو الوزير الفرنسي / وكرومر المندوب السامي البريطاني بمصر ، وبلفور الوزير البريطاني الذين كانوا من أشد أنصار الاستعمار بل هم ساسته وأقطابه . أنظر : د/ محمد عثمان الخشت – الإسلام والعلم – صـ ٢١.

وقـد اعتنى المستشرقون المنصفون منهم والمغرضون على طرق عدة لنشر أفكـارهم ونـتائج بحوثهم في التراث الإسلامي، فكان من بين هذه الطرق التأليف والنشـر والتـرجمة ، وإرسـال ما ألـفّوه إلى المحافل العلمية العربية الإسلامية، وأيضـاً عـن طـريق إقامـة المدارس والجامعات العلمية التي انتشرت في لبنان وسـوريا والأردن وفـي مصر والعراق وغيرها من البلدان، والتركيز على إقامة المؤتمـرات والـندوات بحجج علمية عديدة لإدخال المفاهيم الغربية العصرية التي تجمـع بـين الماديـة والبحث العلمي لإخراج الجانب الروحي من قلوب وعقول المسلمين .

والذي يجب ملاحظته في هذا المجال أن المستشرقين الذين ارتبطوا بالأهداف الاسـتعمارية قد أرادوا تحقيق التبعية الكاملة للغرب لتستسلم المجتمعات الإسلامية لقيم المادية الحديثة، وبث روح التخاذل الديني بين الشرقيين بمحاولات التشكيك في دينهم فيضعف التماسك فيما بينهم وتبدأ عملية التهام بلادهم والسيطرة عليها بشتى السبل الاستعمارية .

فقـد عملـوا على الافتراء والكيد للإسلام ونشـر الأباطيل حوله وتحريف العديـد مـن النصوص القرآنية والتشكيك كذلك في قدرة الإسلام والمسلمين على اسـتيعاب العلوم الحديثة وكذلك اللغة العربية على مسايرة التطور ، بالإضافة إلى ادعـائهم بأن الفقه الإسلامي أخذت بعض نصوصه من القانون الروماني ليس هذا فحسـب ، بل أثاروا دائماً وأبداً قضايا تحرير المرأة وقضايا زواج المسلمين من أربـع وزواج النبـي "ص" مـن نسائه وغير ذلك مما أدعوه من تُرّهات وأباطيل الإسلام منها براء.

اعتنى المستشرقون أيضاً بإهمال جوانب القوة والإيجابية وأظهروا السلبيات التي عمَّموها رغم أن بعضها خاص وبعضها غير موجود بالمرة ، إلا أنهم نعتوا تعاليمه وفكره بالعقم والجمود وأنها لا تتماشى مع العصر الحديث ، ومتطلباته وحضاراته ، وأنها لا تصلح لمنفعة البشرية في الوقت الحاضر ، وأخذوا يبثون سمومهم بحجة الدعوة إلى التعاون الاجتماعي ، وعلى المساواة والحرية والعدالة . كل هذه الدعاوي التي هي موجودة في نصوص القرآن وتحض عليه تعاليم الشريعة السمحاء.

ومما يؤسف له أن من تتلمذوا على يد المستشرقين قد تلقفوا هذه الأفكار في تبعية غريبة ، ونقلوا هذا التغريب وهذا التفتت إلى بلادهم ونشروها، ونشروا العامية في تعمد لإضعاف الفصحى التي جاءت بها تعاليم القرآن والسنة، وبدأ هؤلاء ومن أرسلوهم ومن علموهم يدعون للإقليمية الضيقة والقومية التي تعمل على تفتيت وإضعاف كيان العرب والمسلمين بمتطلباتهم بالعودة إلى هذه القوميات كالتركية، والفينيقية، والفرعونية، والبربرية، وغيرها، وحاول الاستشراق في الوقت نفسه أن ينال من المناهج الثقافية والتعليمية على يد من تخرجوا في المدارس الغربية من المستشرقين .

والذي ينبغي ملاحظته أن أكثر المستشرقين الألمان قد التزموا بالجانب الموضوعي لا سيما في عنايتهم بدقة التأليف وموضوعية البحث والتحليل واستقصاء الحقائق . ربما كان السبب في ذلك أن ألمانيا لم تدخل مجال الاستعمار إلا في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وتأثرت كثيراً بسبب تأخر وحدة الولايات الألمانية إلى حد كبير [١] .

---

[١] انظر على سبيل المثال ما كتبته عميدة الاستشراق الألماني د / أنا ماري في مقدمة كتاب : د/ مراد هوفمان ــ الإسلام كبديل ــ مؤسسة بافاريا ومجلة النور الكويتية ــ بافاريا ، الكويت ــ ط١ ــ ١٩٩٣ م ــ ص ٩ وما بعدها .

ويلاحـــظ ظهور بعض المستشرقين الذين اعتنقوا الدين الإسلامي في الفترة المعاصــــرة الأخيرة حيث جاءت كتاباتهم في تعمق وفهم ووعي لمميزات وجوانب الإصلاح والصلاح في التراث الإسلامي من هؤلاء " ألفريد هوفمان" الذي يسمى " مراد هوفمان" وهو ألماني تقلد العديد من المناصب الحساسة في حلف النيتو، وفي وزارة الخارجـــية الألمانية، وتولى سفارات بلاده في العديد من بلدان العالم العربي والإسلامي، وأسلم ثم ظهر فكره الإسلامي ومقارناته بالنصرانية واليهودية ودعوته أبـــناء جلدته الألمان بأن يتفتحوا على تعاليم الإسلام ويعملوا على نشره في بلادهم الأوروبية ، ومازال يدعوا وينشر دينه الجديد في العديد من محافل أوروبا وأبواق إعلامها وصحافتها على اختلاف أنواعها[١].

وهـــناك البعض يعتبر أن المستشرقين يبحثون عن المعرفة العربية الإسلامية (كعـــبد الرحمن الكواكبي ١٨٥٤ – ١٩٠٢م)، والبعض الآخر اعتنى بالرد عليهم كالأفغاني ، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وغيرهم من رجال الإصلاح[٢].

****

---

(١) د/ مراد ويلفر هوفمان – الإسلام عام ٢٠٠٠ – ترجمة عادل المعلم – مكتبة الشروق ط ١ – ١٩٩٥ القاهرة – ص ١١ وما بعدها . ولمزيد من التفاصيل عن مراد هومان
انظر للمؤلف : سعد الحلواني – هوفمان وكتاباته الإسلامية – بحث منشور ضمن المؤتمر الدولي للدراسات الإسلامية عند غير العرب (١٩٩٧م) – رابطة الجامعات الإسلامية – الأزهر – مصر.

(٢) أنظر : د/ محمد الخشن – الإسلام والعلم بين الأفغاني ورينان وفيه العديد من ردود الأفغاني ومحمد عبده على بعض الآراء الاستشراقية.

ثانياً : الاستشراق الإسرائيلي :

وهو من المدارس الجديدة في هذا المجال إذ يرجع تاريخه إلى مرحلة الإعداد لقيام كيان صهيوني في أرض المشرق العربي، وهو يتبع المنهج الاستشراقي المعروف في الغرب ، وتتعدد موضوعاته حسب الظروف والملابسات سياسياً وتاريخياً وحضارياً .... الخ.

ويختلف الاستشراق الإسرائيلي عن الغربي في أن الأول اعتمد على منهج إسقاطي حيث يحاول فرض فكره ومعتقده على الآخرين دون الالتزام بالمنهج الموضوعي في البحث العلمي ، وما تقتضيه الحقيقة العلمية البحتة، ويتجه المنهج الإسرائيلي الصهيوني إلى تزييف الحقائق وتوجيه الأمر إلى ما يحقق مصالحه البعيدة والقريبة على حد سواء .

وقد عمد أصحاب هذه المدرسة الاستشراقية إلى محاولات التشكيك في العبادات الإسلامية في محاولة لهدم أركان الإسلام الأصلية بادعاء أنها مستمدة من التعاليم اليهودية، ولذلك ننبه أن الاستشراق الإسرائيلي هو أخطر الأنواع على المجتمعات الإسلامية مما يستدعى الحرص والمتابعة لكل ما يكتب والرد عليه أولاً بأول .

ومن أشهر من كتب وعمل في هذا المجال من الإسرائيليين المستشرقة" حاف لازاوي يافيه" والمستشرق الحافحام "شالوم زاوي". اللذان حاولا ربط التعاليم الإسلامية بالتعاليم اليهودية، معتمدين في ذلك على أن اليهودية قد سبقت الإسلام متناسين أن الإسلام تصحيح وتقويم لكل ما لحق الأديان السابقة من عبث وتحريف وابتعاد عن أصالة الأديان السماوية التي نزلت كلها من عند الخالق الواحد الأحد الذي نعبده جميعاً.

ثالثاً : البعثات التنصيرية :

يمكننا أن نُعّرف التنصير بأنه محاولة تحويل المسلمين أو اليهود أو الوثنيين مـن ديـنهم إلى النصرانية . وقد اتخذ المُنصرون ومعاونوهم من قادة الاستعمار العديـد من الوسائل التي استغلوها أسوأ استغلال في محاولة تنصير غير النصارى بالتـرغيب والترهيب ، وتعددت وسائلهم من جامعات ومعاهد ومدارس وملاجئ ومطاعم ومستشفيات وأبواق إعلام مختلفة شملت الصحافة والإذاعة والأفلام ودور النشـر وأقامـت الندوات والمؤتمرات والإنشاءات المختلفة في البلدان الفقيرة، ولا سيما بلدان أفريقيا .

فقـد كانوا يحملون معهم الصليب لينشروا تعاليم النصرانية في بلدان إفريقية طمعاً في تحقيق هدفين رئيسيين معاً، الأول: نشر دينهم النصراني، والهدف الثاني السيطرة على الأرض والخيرات واستنفاذ كل ممتلكات الأفارقة من أرض وخيرات طبيعـية، واستغلال البشر في عمليات النخاسة المشبوهة التي قامت بها أوربا في العديد من بلدان القارة السوداء ، وانتهى بالمستعمرين الأمر إلى أن أعطوا الصليب لهؤلاء الأفارقة ، وأخذوا منهم الأرض عنوة وقوة .

هذا على الرغم من أن المنصرين كانوا يصطدمون بالمسلمين والإسلام الذي أضعف من نشاطهم فلم يتمكنوا من تحويل أحد من المسلمين إلى الديانة النصرانية، إنمـا كان هدفهم هو تحويل الوثنيين إلى دينهم مع زعزعة المسلمين وإبعادهم عن التعاليم الصحيحة التي جاء بها الدين الحنيف .

ويلاحظ على حلقة التنصير أنها تشبه الاستشراق في جانب غاية في الأهمية مـن جـوانب الغـزو الفكـري حيث استهدف الاثنين معاً وهما : زعزعة عقيدة المسلمين وتشكيكهم فيها، ومحاولة قطع الصلة بين العصر الحديث والمعاصر وبين ماضيه التليد الزاهر بالعلوم والحضارة، حتى يخرج المسلمون من كل هذه العناصر التـي تقويه ويضعف شأنه، ويسهل على الغرب التهامه، وإبعاده عن قيمه ثم ربطه بأوربا بعد تقطيع عناصر القربي بين الشعوب الإسلامية .

وقـد بـدأت عملية التنصير التي يُطلق عليها الغرب تعبير التبشير بوصول مجمـوعة مـن الرهبان والمنصرين إلى أراضي فلسطين ، وعلى جبل لبنان (من الساحل الشامي)، وبدأ هؤلاء يعلمون أبناء المنطقة مبادئ العلوم باللغة العربية مع تعلـيمهم إحـدى اللغات الغربية، فجاء من هؤلاء الرهبان فرنسيون، وأمريكيون ، وإيطاليون، ودروس وإسبان ، واسكتلنديون ، وغيرهم .

وأسسـت في روما مدرسة للموارنة ليتخرج منها علماء في اللاهوت وبعض العلوم الأخرى ، كما توافد الإنجيليون ابتداءً من سنة ١٨٣٨م إلى الشام للدعوة إلى البروتسـتانتينية، وجعلـوا لهـم مطبعة في مالطا تطبع الإنجيل لتوزيعه في بلاد المشـرق بلغـات مـتعددة، وجعلـوا من ثغر بيروت والقرى المحيطة به مراكز لتحـركاتهم ودعـوتهم إلـى النصرانية بما أقاموه من مدارس [1] ، وبذلك توافدت العديد من الطوائف النصرانية إلى لبنان وفلسطين وسوريا والأردن ومصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي على النحو نفسه.

---

(1) محمد كرد على الإسلام والحضارة العربية ـ جـ١ ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ط ٣ ـ القاهرة ـ ١٩٦٨م ـ ص ٣٧٦.

رابعاً : أهداف المنصرين ووسائلهم :

١- محاولـــة تحويل المسلمين إلى الديانة النصرانية وقد فشلوا في ذلك فشلاً ذريعاً .

٢- محاولة إخراج المسلمين من دينهم وتركهم بلا هوية روحية ودينية حتى يسهل التهامهم بعد إضعافهم .

٣- فـــتح العديد من المؤسسات التعليمية في جميع أنحاء العالم الإسلامي مثل المدارسّ والمعاهد والجامعات ورياض الأطفال والكليات، ويُذكر في ذلك أنهم افتتحوا في أفريقيا وحدها أكثر من ألف روضة للأطفال، وستة عشر ألفـاً مـــن المعاهـــد، وخمسمائة كلية وجامعة، وأربعمائة تسعة وثمانين مدرسة لاهوتية لتخريج القسس والرهبان .

٤- تحقـــيق العديد من الأهداف عن طريق فتح أبواب التعامل بين المسلمين والنصارى متخذين في ذلك سبلاً إنسانية في المساعدات الطبية والغذائية بالعديد من البلدان الفقيرة والمتخلفة بعض الشئ.

٥- محاولة إفساد علاقة المرأة بالمجتمع، وبزوجها، وبجيرانها، وبمن تتعامل معهـــم في محاولة للتركيز على عنايتهم بإدخال المساواة وحقوق المرأة ...الـــخ، وركـــزوا أيضاً على محاربة الحجاب والمبادئ الشرعية، كما شجعوا السفور واختلاط الجنسين في الأماكن والمحافل العامة .

٦- التجسس على العالم الإسلامي ومراقبته وتتبع حركات الإصلاح وحركات النهوض في بلدانه.

٧- تغيير مناهج التعليم والأنشطة الاجتماعية عن طريق استحداث مؤسسات جديـــدة، وتقـــديم خـــدمات تحت مسميات إنسانية متعددة، وإقامة بعض المشـــروعات الاقتصـــادية والعمرانية للوصول في النهاية إلى إضعاف شوكة المسلمين ومحو ذاتيتهم وهويتهم والحد من انتشار دينهم .

٨- إنشـــاء العديـــد مـــن الكنائس في البلدان الإسلامية التي تسمح بذلك مثل إندونيســـيا التـــي أُنشئت فيها عشرات الآلاف من الكنائس كان من بينها أكثـــر مـــن خمســـة عشر ألف كنيسة بروستنتينية، وسبعة آلاف قسيس، وعشـــرين ألفـــاً من المنصرين الذين تفرغوا لهذا الأمر، وأُنشئت كذلك عشـــرة آلاف كنيســـة كاثوليكية يعمل بها ثمانية آلاف وسبعمائة قسيس كاثوليكي، وأكثر من عشرة آلاف منصر متفرغ لهذه المهمة.

هـــذا الجـــيش مـــن المنَصِّرين والقسس والرهبان تؤازرهم أعداد من السفن والطائـــرات على التنقل لمساعدتهم على الانتقال بين قرى وبلدان الدول الإسلامية، يناصـــرهم كذلك أدوات من بينها دور النشر والمطابع الحديثة وشبكة اتصالاته لا ســـلكية وسلكية ووسائل إعلام، وعشرات المعاهد والجامعات والمستشفيات المتنقلة إلى غير ذلك من الوسائل ، كما تحصل هذه المؤسسات على مساعدات ودعم كبير من وكالات الأمم المتحدة مثل منظمة الصحة العالمية (منظمة WHO)، ومنظمة الأغذيـــة العالمـــية الـــ "FAO"، وغيـــرها على الرغم من أن العديد من الدول الإســـلامية والعـــربية تشـــارك في ميزانيتها بمبالغ طائلة ترد إلينا للإضرار بنا، وبمصـــالحنا الدينـــية والوطنية ، وفي النهاية يمكننا أن نقول أن حركة التنصير قد فشلت فشلاً ذريعاً في إخراج المسلمين عن دينهم وتحويلهم إلى دين آخر .

ولكـــنهم نجحوا كثيراً في إضعاف علاقة المسلم بدينه والتزامه بتعاليمه حيث اتجـــه العديـــد ممـــن تعلموا في بلاد الغرب إلى بث هذه الأفكار الهدامة في داخل مجتمعاتهم .

خامساً : الغـــزو الفكـــري :

ســبقت الإشارة إلى موقف بعض القوى الغير إسلامية من المسلمين على مر التاريخ حيث حاول الغربيون السيطرة على العالم الإسلامي في فترة ما عرف باسم الحــروب الصليبية ، إلا أن حملات الصليبيين على الرغم من تعددها واستمرارها عقــوداً طــويلة إلا أنـــه لم تحقق أهدافها في النهاية، فاتجة الغربيون إلى أسلوب وطريقة جديدة استمدوها من فشلهم في الحملات الصليبية، وربما من **وصية لويس التاســـع** هذا الملك الفرنسي الذي جاء إلى المشرق الإسلامي قائداً للحملة الصليبية السابعة على مصر سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م.

وجــاءت هذه الوصية بعد إحساسه بالفشل العسكري، ولا سيما بعد أن هزم هزيمة نكراء في واقعة المنصورة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م التي تم فيها أسر لويس مع أســر لــويس والعديد من قادته وتدمير جيشه ثم سيق إلى دار ابن لقمان ليودع بها سجيناً حتى افتدته امرأته بمبلغ كبير من المال ليعود إلى بلاده خاسراً مهزوماً.

إلا أن هــذه التجــربة قــد جعلــته يفكر في طريقة أخرى ومنهج آخر غير عسكري يمكن به السيطرة على العالم الإسلامي، وإضعافه بطرق جديدة مبتكرة بعد أن ثــبت فشــل المخططات العسكرية والغزو الحربي ، وجاءت أفكاره في وصية وضعها ليهتدي بها أهل الغرب كان من أهم سطورها:

١- تغييــر الحملات العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تحقق الهدف نفسه حــيث تكــون العــناية بإثــارة المــنازعات والخلافات بين أفراد الأمة الإســلامية، ومحاولـــة تفكــيك وحدتهم، ونقل الأفكار الهدامة إليهم في محاولة لإخراجهم من دينهم وتركهم بلا هوية أو عقيدة تجمع شملهم .

٢- إقامة رأس جسر للغرب في وسط بلاد الشرق كنقطة انطلاق يتحرك منه الغـــربيون فكرياً وعقائدياً للقضاء على الإسلام، وإضعاف المسلمين من خلال هذا المخطط، واختار لذلك منطقة الشام ، بالإضافة إلى مصر حيث اعتبـــر أن مصـــر والشـــام هما القاعدتان الاستراتيجيتان التي يمكن من خلالهما التسلل إلى بلدان العالم الإسلامي الأخرى في أفريقيا وآسيا.

٣- استقطاب بعض أهل الشرق ممن يسهل احتواؤهم والسيطرة عليهم خاصة مـــن بعض نصراني الشرق ، وكذلك بعض مسلميه ممن يمكن إغراؤهم لتنفـــيذ السياسة الغربية للوصول في النهاية إلى هدف الغرب وهو: قطع الصـــلة تمامـــاً بـــين الشرق المسلم وبين ماضيه في شتى نواحي الحياة الفكـــرية والدينـــية حينـــئذ يلجأ المسلمون مضطرون إلى قبول ما يقدمه الغرب من وجبات فكرية مسمومة لا تصلح لمجتمعاتنا المتدينة حتى نفقد عوامل وجوانب القوة ونصبح بعد ذلك عالة على الغرب فالغزو الفكري هـــو في النهاية تغريب وإبعاد للوطنيين عن وطنيتهم الفكرية والروحية معاً.

ويســـتخدم القائمـــون على برامج الغزو الفكري سبلاً عديدة من بينها جهود المستشـــرقين ، ونشـــاط المنصـــرين فـــي توصيل المفاهيم والأفكار إلى المشرق الإســـلامي عبر آليات تلبس عباءة بعثات تبشيرية (تنصيرية) – حرة ، وفي مجال التعلـــيم أخـــرى عبر الندوات والمؤتمرات والأندية، وفي محاولاتهم تغيير مناهج التعلـــيم، وتلـــبس عباءة الطب والدواء فيما يقيموه من مستشفيات ومراكز صحية مـــرات أخـــرى ، ثـــم الأخطر والأعم عن طريق أبواق الإعلام من تلفاز وإذاعة وصحف وإنترنت .... الخ .



الفصل الثالث

اليقظة الإسلامية في العصر الحديث

أولاً : الحركة السلفية في نجد .

ثانياً : الحركة السنوسية في ليبيا .

ثالثاً : المهدية في السودان .

رابعاً : جمال الدين الأفغاني – محمد عبده بمصر وغيرها .

خامساً : دور الأزهر والقرويين والزيتونة .

تعددت حركات الإصلاح الإسلامي في العصر الحديث، لإصلاح شأن العقيدة ممـــا لحقها من أباطيل وتُرَّهات هذا من جهة ، ومن جهة أخرى مجابهة الاستعمار ومقاومـــة أهدافه التي تمثلت في الاحتلال العسكري، والغزو الفكري ، ومحاولات التنصير ، والهيمنة.

وكانت أشهر وأقوى هذه الحركات الإصلاحية :

هي : الحركة السلفية النجدية ، والسنوسية في ليبيا، والمهدية في السودان .

أولاً : الحركة السلفية في نجد :

اشتملت الدعوة السلفية التي دعا لها **محمد بن عبدالوهاب والسعوديون** على العديـــد من الخصائص والأهداف المرجوّة تميزت بها عن غيرها فكتب لها النجاح والاســـتمرارية، والخروج إلى العالمية حيث دعت للعودة إلى الأصالة الإسلامية، وتنقـــية العقـــيدة ممـــا أصـــابها من جنوح، والوقوف في وجه أطماع المستعمرين وأشـــباههم، بالإضافة إلى دعوة التوحيد ، ليس في العقيدة وحسب بل كذلك توحيد الأمـــة على أرض الواقع في المجال السياسي والاقتصادي وغيره بدلاً من التشتت والضعف الذي كانت عليه شبه الجزيرة العربية من ناحية ، والشيء نفسه كان عليه حال الأمة الإسلامية بشكل عام من ناحية أخرى .

وقد تحمل عبء هذه الدعوة : السعوديون الذين كانوا يحكمون جزءاً من نجد فأخذوا ينشرون ما جاء به محمد بن عبدالوهاب من فكر إصلاحي ليعم أرجاء شبه الجزيـــرة العـــربية، وعن طريق الأراضي المقدسة في الحجاز **ينتقل إلى العالمية** لينتشـــر في أفريقيا وبعض بلدان آسيا حيث حمل الدعوة بعض الإصلاحيين الذين تشربوا الفكر الإصلاحي في الدعوة السلفية ونقلوه إلي بلادهم .

وقــد ولد صاحب الدعوة (محمد بن عبدالوهاب) في بيت علم وفقه وقضاء حــيث كــان أبــوه : عبد الوهاب قاضي مدينة العيينة في أعالي نجد، وله باع في تدريس الحديث والتفسير والفقه على مذهب الإمام / أحمد بن حنبل فشارك الابن : محمــد غيــره من طلاب العلم في التزود من علم أبيه فنشأ الابن على ثقافة وعلم واسع حافظاً للقرآن الكريم ولما يبلغ العاشرة من عمره، وأطلع في صغره على ما كتبه ابن تيمية (أحمد تقي الدين) بفكر ثاقب ووعي متدفق .

وبعد سنوات قليلة انطلق مع بعض أهله لزيارة قبر المصطفى (ص) بالمدينة المنورة، ومنها إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج، وهاله ما رأى عليه المسلمين من ظواهر البعد عن العقيدة الصحيحة فثارت في نفسه روح البغض لهذا التحريف وألوان الشرك المتعددة ، واتجه في رحلته للمدينة ولمكة إلى مقابلة العلماء والأخذ عــنهم حيث التقى في الأولى بالعالم النجدي : الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن يوسف (آل ســيف) وتزود منه ببعض جوانب الإصلاح المرجوة، وفي المدينة التقى كذلك بالشيخ : محمد حياة السندي المدني حيث نهل منه بعض العلوم والإجازات .

عــاد محمــد إلى نجد وبعد قليل قرر متابعة البحث عن الحقيقة والتزود من العلوم، والاطلاع على أحوال المسلمين في مناطق أخرى فرحل إلى العراق، وزار بغــداد والبصرة التي عاش بها أربع سنوات لدراسة اللغة والحديث على يد الشيخ محمد المجموعي، وأغضبه كثيراً ما رأى عليه بعض الغلاة من أمور اختلف عليها وأنكرها عليهم حتى بدت تظهر عليه أمارات رفض ما عليه الآخرون، فضاقوا به وبآرائــه نظــراً لأنه عمد إلى تسفيه ما هم عليه من تعظيم وتقديس لبعض المقابر وأصــحابها [illegible]رج من البصرة ينشد الشام دون أن يتم مراده فاتجه للاحساء حيث نــزل عند العالم الشيخ/ عبد الله بن محمد بن عبداللطيف الاحسائي دون أن يطيل هناك فسرعان ما عاد منها إلى حريملا التي انتقل إليها أبوه.

تأثــر ابن عبدالوهاب كثيراً برحلته وإنكاره على الناس غلوهم فيما هم عليه، وكــذلك كان تأثير فكر ابن تيمية الإصلاحي عليه تأثير قوي مما جعله يطور فكر ابن تيمية ثم يعلن دعوته الإصلاحية التي جلبت عليه المحن والمؤامرات في بداية أمره حتى تلقفها آل سعود، بعد أن وجدوا فيها صلاحاً وخيراً للأمة، فجعلوها سبباً ووسيلة لجمع شملها وإصلاح أمرها في شتى جوانب الحياة حينئذ تمت الوحدة بين السـلطان والداعـية ، وسـرعان مـا بدأت الدعوة تعم بلدان نجد، ومنها تغلغلت وانتشـرت بعد جهود مضنية بشق الأنفس لتصل إلى الاحساء ، والحجاز، وكذلك جنوب شبه الجزيرة العربية.

ومن الاحساء اتجهت الدعوة إلى ساحل الخليج العربي تعضد وتشد من أزر الخليجيـين فـي مـواجهة المستعمرين الانجليز والفرنسيين والهولنديين وغيرهم الطامعين في هذا الساحل الاستراتيجي الهام.

ومن الحجاز حمل الدعوة دعاة الإصلاح إلى مصر والشام وغيرهما، والعديد مـن المـناطق الأفريقية التي كانت تأن من عبث وأطماع المستعمرين خاصة في القرن التاسع عشر الميلادي.

وإذا كان لابد من كلمة **شاملة عن الدعوة السلفية وأثرها** فيجدر بنا أن نشير إلى أن هذه الدعوة قد عملت جاهدة على توحيد الأمة فعلياً في الفكر الديني والاتجاه السياسـي، والـبعد بشـتى الطرق عن الجدال اللفظي والعمق الفلسفي، والصوفية الحديثة بتشعباتها وغلو بعضها التفسيري لأمور العقيدة، فعمدت السلفية إلى التفسير الظاهر لآيات القرآن ، وللأحاديث النبوية على ظاهرها وترك علم الباطن إلى الله جـل جلاله حتى لا تكون هناك شطحات الفلاسفة والصوفية ، وبعض مُدعى العلم والفهـم فيذهـبون بأمور العقيدة بعيداً عن أصالتها وحقيقتها عن جهل أو عن عمد للكيد لها فالسلفية سنية على مذهب أهل السنة والجماعة على طريق السلف الصالح.

أمـــا عـــن **أثـــرها الإيجابي بالنسبة للعالم الإسلامي** . فقد بصَّرت المسلمين بالدور السلبي لمدعى التصوف ممن وجهوا الناس إلى الأضرحة والقبور فانشغلوا بها وبأصحابها عن خالق الكون، ولذلك كان دور السلفيين في تصحيح وإعادة مسار مفاهيم العقيدة الصحيحة إلى سيرتها الأولى لا ينكر ، فضلاً عن أن الصوفيين في العصـــور الحديثة قد لجأوا إلى الأوراد والالتفاف حول القبور عند نزول الخطوب والأخطار، بعد أن كان الصوفيون في العصور الإسلامية الأولى حتى صلاح الدين هـــم فـــي الصـــفوف الأولـــى للجهاد ، ومقاومة المستعمر والغاصب، ولذلك أعاد الســـلفيون المفاهيم الإسلامية الصحيحة في الزود عن الأوطان الإسلامية، والعمل على وحدتها، وسد كل الأبواب في مواجهة أي طامع أو مستعمر.

وبذلك نجح السعوديون في سياستهم وهم يحملون لواء هذه الدعوة الإصلاحية فـــي الحفـــاظ علـــى تـــرابهم الوطني وترابهم الإسلامي من أن يقع فريسة في يد المستعمرين في الوقت الذي سيطر فيه المستعمرون على أغلب بلدان المسلمين في آسيا وأفريقيا.

ومـــن بـــين الأثر الإيجابي كذلك هو انتشار الدعوة السلفية في مناطق قريبة وبعيدة عن مهد الدعوة في نجد ففضلاً عن توحيدها وانتشارها في الحجاز والمنطقة الشـــرقية وجـــنوب شبه الجزيرة وساحل الخليج فقد انتشرت في العديد من البلدان الأفـــريقية حيث حمل تعاليمها بعض المصلحين الذين جاءوا الحجاز للحج، وعادوا إلـــى بلادهم يصححون مفاهيماً خاطئة كانت قد رسخت فيها، وحملوا لواء مقاومة المستعمرين بمن انضم إليهم من بنى جلدتهم. كان من هؤلاء:

١- **حـــركة جمعـــية العلمـــاء في الجزائر لمحاربة الصوفية** ، ونشر أصول وتعالـــيم الإســـلام كمـــا جاء بها القرآن، ونجحت بالفعل نجاحاً ملحوظاً ولاسيما في عهد ابن باديس حتى بلغت في تأثيرها تونس ومراكش والهند وغيرها.

٢- **السنوســـيون** الـــذين تأثروا بهذه الدعوة السلفية تأثراً عظيماً بعد أن نهل مؤسسهم السنوسي فكره الإسلامي السلفي من دعاتها بمكة .

وقد حمل السنوسي في فكره كثيراً من آراء محمد بن عبد الوهاب مـــن ضرورة الرجوع إلى بساطة الإسلام الأولى بتنقيته مما لحق به من بدع وخزعبلات ، على الرغم من أن السنوسية قد قامت في شكل صوفي اختلف عليه فكر ابن عبد الوهاب الإصلاحي .

إلا أن الحـــركة السنوسية قد اعتنت بحمل راية الجهاد ضد الغزو الاستعماري في الشمال الأفريقي ، وكونت جيلاً، عمل على نشر الإسلام بطريق التربية وبناء شخصية المسلم مع بناء المجتمع الإسلامي، إذ كانت الـــزاوية تضم المسجد والمدرسة وتحفيظ القرآن ومعهداً لتدريس العلوم الإســـلامية، إضـــافة إلى مساكن للغرباء من الطلبة، ومكتبة علمية، فقد ضمت زاوية جغبوب (على سبيل المثال) أكثر من ثمانية آلاف مجلد في الأدب، وتفسير القرآن الكريم والتاريخ والفقه ... إلخ.

٣- **عثمان ابن فودي (دنفديو)** الذي حمل الفكر السلفي من الحجاز ، وذهب يحـــارب البدع ببلاده التي تقطنها قبيلة الفولاني حيث قادهم ضد أعدائه مقيماً سلطنة واسعة الأرجاء سنة ١٨٠٤م بين تنبكت وبحيرة تشاد.

٤- **الإمـــام محمـــد عبده بمصر** ، وبرنامجه الإصلاحي بعد أن تشرب فكر الدعـــوة الإصـــلاحية مـــن مصادرها، ومن شيخه الشيخ درويش (كما سنتحدث عن ذلك بشئ من التفصيل) .

وفـــي مصر أيضا اعتنق الدعوة السلفية العديد من المفكرين والكتاب أمثال : محمد رشيد رضا ، وإبراهيم رفعت باشا أمير الحاج المصري في سنوات (١٣٢٠ هـــ/١٩٠٣م) ، (١٣٢٢هـــ/١٩٠٤م) ، (١٣٢٦هـــ/١٩٠٨م) ، وأحمد أمين صـــاحب الكتب والفكر الإسلامي المستنير، والشيخ / عبد الظاهر محمد أبو السمح (المتوفـــي سنة ١٩٥١م/ ١٣٧٠هـــ) الذي أسس جماعة أنصار السنة بالإسكندرية، وبســـبب دعوته للإصلاح أوذي فصبر حتى رحل إلى مكة فعينه الملك عبد العزيز آل سعود / طيب الله ثراه إماماً وخطيباً ومدرساً بالمسجد الحرام فأسس مدرسة دار الحديث بمكة وله مؤلفات عديدة منها حياة القلوب ، ومناسك الحج ...... إلخ.

ثانياً : الحركة السنوسية ودورها في ليبيا وأفريقيا :

وهـــي من الدعوات الإصلاحية التي استمدت بعض فكرها من الفكر السلفي لمحمـــد بن عبد الوهاب، وقاومت الاستعمار الفرنسي، والإيطالي (كما سيتضح لنا من خلال الدراسة التالية :

ولـــد محمد بن علي السنوسي في ١٢ من ربيع الأول ١٢٠٢هـــ / ١٧٨٧م قريباً من مدينة مستغانم بالجزائر، وتربي في بيت علم ومعرفة فنهل منه وتعلم في جامع القرويين بفاس لمدة سبع سنوات (١٨٢٢-١٨٢٩)م ، وعاد للجزائر في بداية الاستعمار الفرنسي لها، وانتقل منها إلى القاهرة، حيث أقام بها فترة ينهل من علوم الأزهر الشريف (يُعلم ويتعلم)، وعاد بعد ذلك إلى الحجاز بعد أن اختلف مع بعض علماء الأزهر الذين وجدوا فيه جرأة بسببها ناصبوه العداء.

وتعـددت رحـــلات محمد بن علي السنوسي التي عمد فيها إلى إقامة الزوايا ونشـــر دعوته الإصلاحية في الحجاز والشمال الأفريقي كله، والشام ومصر وفي عـــودته ســـنة ١٨٤١ علم أن الفرنسيين ينوون القبض عليه على الحدود التونسية الجزائرية، فعاد إلى الجبل الأخضر بصنجقية برقة التابعة لطرابلس.

حـــيث كان قد أوعز إلى اتباعه بتأسيس الزاوية البيضاء التي تم تأسيسها في أواخـــر سنة ١٨٤٢م، وصارت زاوية السنوسية الرئيسية في برقة بعيداً عن النفوذ المباشـــر للأتراك العثمانيين الذين كان يتركز نفوذهم على الساحل أكثر وهي تقع على طريق القوافل الطويل.

وفي سنة ١٨٤٦م وبعد أن قضى في الجبل الخضر عدة سنوات غادر الزاوية البيضـــاء إلى الحجاز فأمضى فيه عدة سنوات أخرى (٨ سنوات) عاد بعدها سنة ١٨٥٦م ، حيث اتخذ من منطقة جغبوب مركزاً له، حيث تمثل له بُعداً أكثر عن أن تطـــوله يد العثمانيين، ولذلك انتشرت دعوة السنوسية ، وأصبح لها مجموعة كبيرة من الزوايا قدرت بثلاثمائة زاوية خصصت لتلقى العلم وإعداد الدارسين لنشر تعاليم السنوسية في المناطق المختلفة.

وكانـــت الجغبوب مجرد واحة غير مأهولة ومأوى لقطاع الطرق حتى تغير حالهـــا تمامـــاً بعد أن قصدها السنوسي وأقام فيها الزاوية السنوسية حيث أصبحت مـــنطقة عامـــرة، ودبت فيها الحياة والنشاط، وتعاون الإخوان في العناية بزراعة الأرض حـــول الزاوية ، وتوفير المياه اللازمة ، ولكل فرد عمل محدد يقوم به في أيـــام معيـــنة بنظام وترتيب وأثره ، وأصبحت موارد الزاوية من نواحي عدة: عن طريق التجارة والزراعة والرعي والهبات والزكاة الشرعية وما ترسله الزوايا من فوائض[١].

---

[١] الأشهب (محمد الطيب بن أدريس) – السنوسي الكبير – القاهرة – ١٩٥٦ – ص ٨ وما بعدها.
وانظر : Pritchard, Evans: The Sanusi of Cyrenaica (ox ford) 1948, pp.11-13.
وانظر : د/ شوقي الجمل – المغرب العربي – ص ١٥٤ وما بعدها.

وللسنوسي مؤلفات عديدة تشرح تعاليمه المستمدة من الكتاب والسنة، وقبل وفاة المؤسس محمد بن على نجد أنه قد أعد العدة لخلافة ابنه المهدى دعوته وطريقته حيث توفى محمد (المؤسس) في ٧ من سبتمبر سنة ١٨٥٩م ودفن بالجغبوب .

وفي عهد ابنه المهدي بلغت الدعوة مداها،وانتقل من جغبوب إلى الكفرة حيث كان الاتجاه السائد هو الابتعاد عن السياسة حتى لا يكون هناك صدام بالقوى المتصارعة عليها ، إلا أنه فيما يبدو قد كانت لهم أنشطة في مساندة الحركات الوطنية التي قامت في الجزائر وتونس، بل يذهب البعض إلى وجود أتباع لهم في الشمال الأفريقي كله كعملاء للسنوسية في المصالح الحكومية في كل المدن ، حتى بالغ البعض في ذكر أن السنوسيين كانوا وراء حوادث الاغتيالات التي حدثت للأوربيين من منصرين ومستكشفين في كثير من بلاد إفريقيا(١).

أما علاقة السنوسيين بالدولة العثمانية فقد كانت جيدة حيث وفرت السنوسية عليهم نفقات كبح جماح العصابات وقطاع الطرق بعد ما أصلحت السنوسية من شأنهم بفضل الله ، وبالدعوة إلي الالتزام بأهداب الدين ، والعقيدة الصحيحة .

وعلى كل فقد انتشرت السنوسية وزواياها في ليبيا ومصر والسودان وشبه الجزيرة العربية في شكل ومنهج محكم ومترابط فيما بينهما، وفي الوقت الذي توفى فيه السيد المهدي سنة ١٩٠٢م كانت السنوسية قد بلغت مبلغاً عظيماً في الانتشار(٢).

---

(١) Pritchard Evans : op. cit. p23 - 25.
وانظر : د/ شوقي الجمل – المغرب العربي – ص ١٥٨، ١٥٩.

(٢) د/ شوقي الجمل – المغرب العربي – ص ١٦٠ ، ١٦١ .

وعـند وفاة المهدي كان ابنه محمد إدريس (الذي صار ملكاً في سنة ١٩١٨) صـغيراً فتولـى السيد أحمد الشريف فترة ست عشرة سنة قضاها في كفاح وجهاد مستمر ضد الفرنسيين مشتركاً مع الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا وغيرهم في هـذا الكفاح ، كما كانت هناك علاقات حميمة بين السنوسية، وبين حاكم واداي في السودان.

وظلـت العلاقـات بـين الفرنسيين والسنوسيين عدائية بسبب جهاد ونشاط السنوسـيين وسـاءت العلاقات أكثر عندما احتل الفرنسيون إحدى الزوايا التابعة للسنوسـيين في (بيو علالي) بمنطقة واداي بالسودان فأعلن المهدي الجهاد ضدهم، وبعـد وفاته استمر الشريف في القتال ضد الفرنسيين مما كبدهم خسائر كبيرة في الجنود والقادة .

وفـي سنة ١٩١١م اضطر السنوسيون إلى ترك الجنوب للفرنسيين ليتمكنوا من مواجهة العدو الأخطر وهم الإيطاليون الذين جاءوا بأطماعهم إلى ليبيا[١].

فقـد اتجـه الإيطاليون بعد أن استكملوا وحدتهم في الثلث الأخير من القرن التاسـع عشـر للبحث عن موطأ قدم لهم تحت الشمس كمستعمرة لهم ، وفشلوا في ذلـك فلـم يجدوا لهم مكاناً سوي في عصب ومصوع التي انشأوا بهما مستعمرة أريتـريا ، ثم اتجهوا صوب منطقة ليبيا سنة ١٩١١م لاحتلالها وضمها إلى بلادهم عنوة.

كانـت القـوات الإيطالـية المهاجمة تتكون من ٣٤,٠٠٠ جندي من المشاة، ومعهم ٦,٣٠٠ من الفرسان، ومجموعة من مدافع الميدان، وأخرى مدافع جبلية في حـين لم يتجاوز عدد القوات الموجودة في ليبيا بما فيهم الأهالي ٥٠٠٠ رجل في طرابلـس، و٢٠٠ في برقة.

---

(1) Pritchard Evans : op. cit. p108.

وقد اعتقد الإيطاليون أن السنوسيين على خلاف مع تركيا، ولم يتوقعوا منهم مقاومة، حتى فوجئوا برجال السنوسيين يرفعون راية الجهاد ويتقدمون غير عابئين بمـا ينتظــرهم من قدر محتوم ، ولم يبالوا بالموت في سبيل عقيدتهم والزود عن بلادهم وترابهم.

وخــاض المجاهدون معارك طاحنة غير متكافئة في العدد والعُدة ، ففي برقة انــتظم المدافعــون فــي أربعة معسكرات كان على رأس المعسكر العربي: عزيز المصــري ومعســكر طبرق : أدهم باشا الحلبي ، وعلى معسكر درنة : مصطفى كمال (أتاتورك) – رئيس الجمهورية التركية فيما بعد–، ومعسكر الجبل: عبدالقادر الغــناي، الذين خاضوا معارك كبيرة من بينها معركة الضبط قرب درنة ومعركة القويهات قرب بني غازي .

واضــطر الإيطاليون إلى خوض معركة دامية في طرابلس عند بيرطبراس وقرقاس ، وغيرها[1].

ولــم تهدأ المقاومة الليبية الإسلامية طوال ما تبقى من سنة ١٩١١م، وكذلك ســنة ١٩١٢م التــي اشــترك فــيها العدد القليل الذي كان يمثل الحامية العثمانية، واستطاع الطرفان تكبيد الإيطاليين خسائر فادحة اضطرتهم إلى حصر أنفسهم فقط فــي مجــال ومدى مدفعيتهم يحتمون بها دون التوغل في الداخل الليبي، وشاركت أعداد غير قليلة من مجاهدي تونس، ومصر رغم الحصار والتضييق الذي فرضته

(١) محمود الشنيطي – قضية ليبيا – ١٩٥١م – ص ٤٨.
وانظر : د/ محمد فؤاد شكري – السنوسية دين ودولة – القاهرة ١٩٤٨م – ص ١٢٥ وما بعدها .

كل من فرنسا وإنجلترا على الحدود التونسية والمصرية ، الأمر الذي أوقع إيطاليا فـــي حرج دولي بالغ لأنها أعلنت احتلالها لليبيا دون أن تتمكن من السيطرة على البلاد، واستمرار المقاومة العنيفة والعنيدة التي كان الإيطاليون يقابلونها بعنف وشدة بالغة حيث أقاموا المجازر، واستباحوا قتل الأهالي بلا هوادة[1] .

ونظراً لظروف تركيا الحربية والسياسية، واشتعال الحرب البلقانية اضطرت إلى عقد معاهدة أو شي لوزان مع إيطاليا في أكتوبر سنة ١٩١٢م وافقت فيها تركيا على سحب جنودها وضباطها من ميدان القتال في طرابلس وبرقة ، وأعلن السلطان العثماني : محمد الخامس أنه تنازل عن حقوقه في طرابلس وبرقة لأهلها ومنحهما استقلالاً داخلياً، في الوقت الذي أصدر فيه ملك إيطاليا منشوراً إلى أهالي ليبيا بأن بلادهم قد باتت خاضعة للسيادة الملكية الإيطالية.

حينـــئذ خـــلا المـــيدان من الوجود التركي الرسمي، وتحول العبء كله في المقاومة للزعامة الشعبية الدينية الليبية وهي السنوسية.

ليبيا في الحرب العالمية الأولى :

ورغـــم حصار السواحل الليبية من قبل بريطانيا مجاملة لحليفتها إيطاليا في الحرب العالمية الأولى حتى لا تتسرب المؤن والإمدادات من مصر أو من غيرها ، إلا أن الغواصـــات الألمانـــية كانت تتمكن في بعض الأحيان من إمداد السنوسيين بقيادة أحمد الشريف بالمؤن والذخيرة ، وبعض لوازمهم الأخرى .

---

[1] انظر تفاصيل المقاومة في كتاب :
د/ جلال يحيى – العالم العربي – ص ٤١١ وما بعدها .

ولكـن أحمـد الشريف (الزعيم السنوسي) قد تورط في حملة استنفذت قواه وطاقـات المجـاهدين معه دون جدوى بعد أن أوعزت إليه كل من تركيا وألمانيا بالهجـوم على مصر لشغل أكبر عدد ممكن من الجيش الانجليزي في مصر حتى تـتمكن الدولـتان من الهجوم على قناة السويس وقطع مواصلات انجلترا في هذا الموقع الاستراتيجي الهام .

وتمكـن السنوسـيون فـي ديسمبر سنة ١٩١٥م من الاستيلاء على السلوم ومرسـى مطـروح، إلا أن فشل السنوسيين في تدبير المؤن لهم مكن الانجليز من تضييق الخناق عليهم واسترداد المدينتين في فبراير ومارس سنة ١٩١٦م.

وإزاء فشـل حملة أحمد الشريف (السنوسية) ثار الخلاف بينه وبين ابن عمه محمـد إدريس السنوسي تنازل له الأول عن زعامة السنوسية وغادر جغبوب إلى طرابلس الغرب، ومنها علي متن غواصة ألمانية إلى الآستانة التي سافر منها إلى الحجاز حيث عاش فيه حتى وافته المنية سنة ١٩٣٣م [١].

ورغـم أن الحملـة – المشـار إلـيها – قـد أساءت العلاقات بين الانجليز والسنوسيين إلا أن إدريس السنوسي قد تمكن بفضل علاقاته الطيبة التي كان يسعى إليها مع الإنجليز قد ساهمت في إجراء مفاوضات بين الطرفين انتهت بتوقيع اتفاق أطلـق علـيه (اتفـاق عكـرمة) نص على تحديد مناطق نفوذ لكل من السنوسيين والإيطاليين، وإيقـاف الحرب بينهما، وحرية التنقل بين المنطقتين، وإعادة أملاك السنوسـيين لهـم، وتمخض عن هذا الاتفاق أيضاً إعادة فتح الطريق إلى مصر ، وسمح الانجليز للسنوسيين حكم واحة الجغبوب رغم أنها كانت أراضي مصرية [٢] .

---

(١) د/ شوقي الجمل – المغرب العربي – ص ٣٨١ ، ٣٨٢ .
وانظر : د/ زاهية قدورة تاريخ العرب – ص ٤٣٢ ، ٤٣٣ .

(٢) د/ محمد فؤاد شكري – السنوسية دين ودولة – ص ٢٠٦.
وانظر : د/ زاهية قدورة – تاريخ العرب – ص ٤٣٤.

وفي سنة ١٦٢٠م عقد اتفاق الرجمة بين الإيطاليين والسنوسي تم الاعتراف فيه بالأخير أميراً وحاكماً، مدنياً على القسم الداخلي من برقة، وباتت لبرقة حكومة وراثية، في الوقت الذي احتفظ فيه الإيطاليون بساحل برقة تحت أيديهم، مع تصفية وجود معسكرات المجاهدين، وألا يحتفظ بأكثر من ألف رجل حوله، على الرغم من معارضة القيادات الوطنية ومشايخ القبائل لهذه الاتفاقية[١] .

قيام جمهورية طرابلس :

عقـد في مدينة مسلاته مؤتمراً وطنياً في نوفمبر سنة ١٩١٨م أعلن فيه قيام جمهـورية طـرابلس، وتم اختيار أربعة قادة لرئاستها بسبب صعوبة الاتفاق على زعيم واحد وهم (سليمان الباروني ، والسويحلي ، وبلخبير ، وعبدالرحمن عزام) واضـطرت إيطاليا للإذعان لنظام الحكم الجديد في طرابلس (مؤقتاً) ، وان تشارك في حكم البلاد بالتعاون مع السلطة الوطنية الجديدة بعد أن أصبح لهم برلمان مشابه لبرلمان برقة[٢] .

وبعـد هذه الخطوة الجريئة من أبناء طرابلس ومساعديهم المسلمين ، بادروا بخطـوة أشـد عـندما طالبوا بوحدة طرابلس وإمارة السنوسي في برقة، وبالفعل عرضـوا الأمـر على السيد محمد بن إدريس السنوسي الذي تردد وتلكأ في الأمر لعلاقته الطيبة مع الإيطاليين ، ولكن أهل طرابلس كتبوا وثيقة البيعة بالإمارة على شطري الأمة الليبية في يوليو سنة ١٩٢٢ وأرسلوها للسيد إدريس الذي قبلها ووعد بتنفيذها.

---

(١) الزاوي – جهاد الأبطال – ص ٢٧٢ وما بعدها .
وانظر : Pritchard Evans : op. Cit. p 15

(٢) د/ شوقي الجمل – المغرب العربي – ص ٣٨٧.

إلا أن السـيد إدريس ما لبث أن غادر ليبيا في ديسمبر سنة ١٩٢٢م متعللاً بسوء حالته الصحية ، وانتقل منها إلى القاهرة حيث تبعه مجموعة من كبار الزعماء ، ويبدو أنه فضل الجهاد من على منابر القاهرة ضد الاحتلال الإيطالي خاصة بعد الانقلاب الفاشستي في إيطاليا بزعامة موسوليني الذي اتسم بالتعصب القومي، والتعالي العنصري الذي انعكس أثره السيء على مستعمرة ليبيا باستخدام العنف والشدة فيها(١) .

فقد ساءت أحوال الأهالي، ولاسيما بعد أن أعلن الحاكم الإيطالي بونجوفاني Bonguiovani إلغاء كل المعاهدات واتفاقات الصلح التي عقدت مع السنوسيين، مما أشعل الثورة والمقاومة الليبية في كل البلاد ، وقد تحمل عبء القيادة فيها بعد رحيل السيد إدريس إلى مصر زعيم جديد قاد أهله في حرب عنيفة أشبه بحرب العصابات (الضرب والكروالفر) هو **الزعيم والقائد عمر المختار.**

وكان المجاهد عمر المختار قد شارك في قتال الإيطاليين منذ سنة ١٩١١ حتى تولى قيادة المقاومة وهو في سن الستين بعد أن عاد من القاهرة التي ذهب إليها مصاحباً السيد محمد إدريس السنوسي، وكان عليه تنظيم رجاله إلى فرق بقائد يتولى شئون رجاله، وامتازت عملياته بالضرب السريع والضرب ليلاً حتى لقد قيل أن في ليبيا سلطتان إحداهما : نهاراً (سلطة الإيطاليين) وثانيها : ليلاً (سلطة السنوسيين).

(١) محمود الشنيطي – قضية ليبيا – ص ٩٤ ، ٩٥.
وانظر : Pritchard Evans : op. Cit. p 15

واشـــترك فـــي المقاومـــة كل شعب ليبيا بطريقة مباشرة وغير مباشرة حتى اصبح لعمر المختار رجال وعيون في كل موقع إيطالي، كما ساعده ما كان يرسله السـيد / إدريـس من مصر لمعاونة المختار من مؤن وأسلحة وعتاد ساعدته على الاسـتمرار، إلا أن الإيطاليـين قابلوا هذه المقاومة بالبطش وسفك الدماء وإغلاق زوايـا السنوسـية. وإقامة حاجز من الأسلاك الشائكة المكهربة على الحدود الليبية المصرية حتى لا تتسرب الأسلحة من مصر.

وإزاء هـذه الإجـراءات العنـيفة ضعفت المقاومة بعد أن نضبت الإمدادات والمساعدات الخارجية، وسقطت **الكفرة** في يناير سنة ١٩٣١م في أيدي الإيطاليين، ومـع ذلـك اسـتمر عمـر المختار في المقاومة حتى وقع أسيراً في أيدي الجنود الإيطاليـين فـي ١١ سبتمبر سنة ١٩٣١م ، وأودع السجن حتى انعقدت المحكمة الطائرة التي كان أعضاؤها ينتقلون بالطائرة لسرعة الحكم على المتهمين بالثورة.

وفـي الخامس عشر من الشهر نفسه حكم على **الزعيم الوطني عمر المختار بالإعـدام** رغم شيخوخته ، وجرحه الذي كان مازال ينزف فأعدم في صباح اليوم التالي ١٦ من سبتمبر سنة ١٩٣١م.

وبـذلك انهـارت المقاومـة الليبية ، ولم يبق لها سوى الكتابة في الصحف المصـرية والدعـوة إلـى استقلال ليبيا حتى قامت الحرب العالمية الثانية ودخول إيطالـيا الحرب ضد الحلفاء الذين تمكنوا من طردها نهائياً من ليبيا في فبراير سنة ١٩٤٣ ، وظهـرت فـي الـبلاد ثـلاث إدارات : هي برقة ، وطرابلس ، وفزان سـيطرت إنجلترا على الأولين بينما سيطرت فرنسا على الأخيرة، وحينئذ نشطت الحركة السياسية تطالب بالاستقلال ، ووحدة البلاد في إدارة واحدة وطنية .

وبالفعل نجحت القوى الوطنية في انتزاع استقلال البلاد عندما صدر الأمر الملكي البريطاني بإلغاء السلطة البريطانية في طرابلس وبرقة ، وأمر آخر صدر بإلغاء سلطات فرنسا في فزان.

وفي ٢٤ من ديسمبر سنة ١٩٥١م أعلن الملك / محمد بن إدريس السنوسي أن ليبيا أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة [١].

وفي سنة ١٩٥٣ انضمت ليبيا إلى جامعة الدول العربية ، واستمرت الملكية فيها تحت زعامة **محمد إدريس السنوسي** حتى تمكن الجيش الليبي من الاستيلاء على السلطة في البلاد في سبتمبر سنة ١٩٦٩م عندما كان الملك محمد إدريس البالغ من العمر ٧٩ عاماً في رحلة علاجية بالخارج، وتولى الحكم في البلاد زعيم الثورة (ثورة الفاتح من سبتمبر سنة ١٩٦٩م) **العقيد معمر القذافي**.

****

ثالثاً : المهدية في السودان :

وهي أيضاً إحدى الصحوات الإسلامية التي قامت في وجه الاستعمار الانجليزي، والوجود التركي على حد سواء في القرن التاسع عشر الميلادي .

فقد حفل التاريخ بثورات عديدة نتجت عن القهر والظلم ، وأشكال الفساد المختلفة، وقدر لبعضها النجاح ، وغنم البعض الآخر ذكراً حسناً حيث نال ما يستحق من التاريخ الحقيقي ، إلا أن الثورة المهدية انفردت بأنها لم تجد هذا الذكر، ولم تحظ بالنجاح الذي حظيت الثورات والحركات الإصلاحية الأخرى به ، وربما يرجع السبب في ذلك إلى تكالب الظلمة عليها ، والمستعمرين حيث تكاتف الجميع

---

(١) د/ شوقي الجمل – المغرب العربي – ص ٣٨٨ وما بعدها .
وانظر : محمد فؤاد شكري – السنوسية دين ودولة – ص ٢٩٣ وما بعدها .
و : نقولا زيادة – ليبيا في العصور الحديثة – ص ١١٠، ١١٢.

لـــيس فـــي إخمـــاد جـــذوتها فقط ، وإنما في تشويه صورتها أمام العالم ولا سيما المسلمين الذين ردد علماؤهم ومؤرخوهم قبل عامتهم ما يقوله المستعمرون وقبلهم الظلمة من بني عقيدتهم .

هـــذه الـــثورة المهديـــة) التي تكالب عليها المستغلون المستعمرون الانجليز، والتـــرك والشراكســـة، والإيطاليـــين، وزعماء وقادة مصر (الأجانب عنها) الذين أرغموا السودانيين بالسلاسل قبل المصريين بقيادة انجليزية على وأد هذه الصحوة والحركة الإصلاحية الإسلامية .

هذه الثورة التي جمعت كل شعب السودان في صف واحد ضد عدو واحد هو الأجنبي أياً كانت جنسيته إنجليزياً كان أم تركياً أم أوربياً تنصيرياً ، وظلمها الكتاب والمؤرخون الأوربيون بما وصموها به من صفات مشينة هي وصاحبها براء منها، والمؤســـف الأشـــد أسفاً ما نقله بعض العرب المسلمين عن قول المستعمرين فيها بسبب سيطرة الأجانب على مقدرات الأمور في بلاد العرب في النصف الثاني من القـــرن التاســـع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، ناهيك عن هؤلاء الذين تربوا فكرياً وسفهاً في أحضانهم (عن طريق البعثات والمدارس الأجنبية التي بلغ طلابها سنة ١٨٧٥م ١٨٩١٦ طالباً)، ثم عادوا يرددون كالببغاوات الضالة الشاردة أفكـــارهم وألفاظهم وسلوكياتهم ، وكل منهم لا يعلم أنه يساهم بلبنة أو بسهم مسموم فـــي تدميـــر وطنه ، أمته ، تاريخه ، وعقيدته ، رموزه الوطنية والدينية أي تدمير نفسه ، بيته ، ولده .

وشـــهد القـــرن التاســـع عشر عدوان الأوربيين المستعمرين على الجزائر ، وتونس والهند والقوقاز، وأفغانستان ، ومصر ، والخليج ،.... إلخ، في الوقت الذي ضـــعفت فـــيه الدولـــة العثمانية، وأخذت البلدان الإسلامية تنسلخ منها الواحدة تلو الأخرى.

محمد أحمد المهدي:

هو أحد الدعاة المصلحين الذين ظهروا في العصر الحديث كنتيجة حتمية لما أصـــاب العـــالم الإســـلامي مـــن تفكك وضعف ، وسيطرة الأجانب المستعمرين المنصرين ، وممن ساروا في فلكهم.

وقــد ولد محمد المهدي بجزيرة لبب سنة ١٨٤٤م على بعد خمسة عشر كيلو متراً من دنقلة ، والبعض يعود بنسبه إلى الحسن السبط بن على (كرم الله وجهه)، اتجه منذ حداثة سنه نحو العلوم الدينية فدرسها في الخرطوم ، وبربر ، وظهر عليه الورع والزهد ، وحب العلم والعلماء فأنشأ في مدينة الخرطوم مدرسة سنة ١٨٦٣ م، ثــم انـــتقل منقطعاً للعبادة إلى جزيرة آبا في النيل الأبيض ، ومنها بدأت دعوته للإصـــلاح وتنقية أمور الدين والعقيدة الإسلامية مما لحقها من أباطيل وخزعبلات، وعـــزا ذلـــك إلى الأجانب من كل الاتجاهات، ولذلك اشتملت دعوته وركزت على طرد هؤلاء وهؤلاء ، وترك السودان للسودانيين .

هذه الدعوة التي لاقت استجابة واسعة على مستوى السودان ككل في سنوات قليلة سرعان ما انتشرت، وتغلغلت في النفوس فقد وجدت قائداً يوجهها نحو العودة إلى الدين الصحيح دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وطرد الأجانب أياً كانت انتماءاتهم فهي دعوة دينية سياسية اقتصادية كذلك.

وإذا أردنـــا تحديداً لأسباب نشوب الثورة المهدية فلنا أن نعلم أن السودان لم يـــرزح فقط تحت نير العثمانيين وقادة مصر إنما كان الأجانب يتحكمون في أموره بعـــد أن عـــين هؤلاء القادة حكاماً أجانب، وأصبحت أغلب الإدارة السودانية منهم فكان الحاكم في بحر الغزال هو الانجليزي ليبتون بك بعد استقالة الإيطالي جيسي، وكـــان ســـلاتين النمساوي وكذلك اميلياني ، والإيطالي ميسداليا في دارفور ، بينما حكم الدكتور شنتزر الألماني مديرية خط الاستواء ، وحكم منزجر شرق السودان، وحكم السودان ككل الحكمدار (غوردن) الانجليزي.

هـــذا بالإضـــافة إلـــى القادة الأجانب للجيوش التي أرسلها حكام مصر مثل الجنـــرال لـــورنج الذي عمل كرئيس لأركان حرب جيش السودان وهو أحد القادة الأمـــريكان، وكـــذلك الضابط الأمريكي وليم داي الذي شارك في حملة راتب باشا علـــى الحبشـــة ، وأرندروب بك الدانمركي الأصل الذي قاد الجيوش في السودان كذلك[١] .

ويضاف إلى حكم الأجانب للسودانيين ، كثرة الضرائب، ومنع تجارة الرقيق، واحتكار بعض الموارد الاقتصادية ، وتجنيد السودانيين قصراً، وغير ذلك مما كان سبباً في اشتعال الثورة وانتشارها في كل أنحاء السودان.

والخلاصة أيضاً في أسباب الثورة مع تسليمنا بكل الأسباب السابقة تكمن في أن الشعوب لا تبحث عن أسباب أو عوامل تدفعها للثورة ضد المستغلين الغاصبين أيـــاً كانت جنسياتهم وحجمهم في استعمار البلاد، حتى ولو كان هذا الاستعمار في صـــالح المحكومـــين وحتى لو كانت مصر في السودان فإنها لا تخرج عن كونها باغـــية مستغلة له فما بالنا ، وقد كان السودان محكوماً في الحقيقة بخليط من الأمم المتعجـــرفة يـــتعالون على سكانه، وأصحاب أرضه، خليط من الموظفين المنفيين، والأجانب الانجليز، والسويسريين، والألمان ، والإيطاليين ... الخ.

ويكفـــي أيضـــاً القول أن الثورة قد قامت في وجه البغي والاستغلال في كل صـــورة وغالباً تنتظر الشعوب من يقودها نحو انتزاع الحرية من مغتصبيها، وقد انبـــري محمـــد المهـــدي لقيادة شعبه فوفدت إليه الجموع من كل فج في السودان

---

[١] د/ شوقي الجمل – تاريخ سودان وادي النيل – ج٢ – ص ٣٠٦ وما بعدها .
وانظر د/ سعد الحلواني – الحكم المصري – ص ١٧٤.

يــؤيدون دعــوته ويناصرونه لطرد المغتصب المعتدي، ولولا تدخل الانجليز بكل القــوة ومــؤازرتهم للإدارة المصرية المنحرفة الفاشلة (الغريبة عن مصر) ضد السودانيين لكان للسودان الشقيق شأن آخر في أمسه ، ويومه ، وغده.

وقــد بدأت ثورة المهدي بإعلان دعوته في أغسطس سنة ١٨٨١م، ومؤازرة عــبد الله التعايشــي زعيم البقارة لها، فأخذ يرسل كتبه ومناشيره إلى علماء الدين الســودانيين ، ومشــايخ الطرق الصوفية الذين كان لهم زعامة روحية على أغلب الســودانيين حينئذ، وعلى الفور أعلن البعض منهم، ولاءه، بينما آثر البعض الآخر الترقب لتطورات الموقف.

وعــندما تواتــرت الأخبار عن دعوة المهدي لم يعبأ بها حكمدار السودان / محمــد رؤوف باشــا، حتى ازداد نشاط الدعوة ، فأرسل الحكمدار في طلبه، ولكن المهــدي رفــض فأرســل لــه سفينة تحمل فصيلة من الجنود للقبض عليه، ولكن مصيرها كان الفناء.

وتطورت الأحداث سريعاً، تلك الأحداث التي صاحبت الثورة العرابية، وبداية الاحتلال البريطاني لمصر ، عندما تمكن المهدي من دخول مدينة الأبيض (عاصمة مديرية النيل الأبيض) في منطقة كردفان ديسمبر سنة ١٨٨٢م والاستيلاء عليها.

وكــان هذا الانتصار للمهدي مدوياً حيث استولى على أسلحة وعتاد عضدت من موقفه، وازدادت شعبيته فتناقل الناس أخباره بما أضافوه من بنات أفكارهم من خــوارق ظهــرت علــى يديــه فاستغلها خصومه الأجانب ومن سار على نهجهم بتصــويره علــى أنه مخبول أو درويش أو أفاق، ووصموه بكل الصفات المشينة وعــندما أرادت الحكومة المصرية استعادة الأبيض أرسلت جيشاً جراراً بلغ عشرة آلاف جندي بقيادة انجليزية هو الضابط الانجليزي هكس (الذي كان يخدم في الهند) يعاونه أركان حرب مكون من اثنى عشر أوربياً.

وعلى مشارف الأبيض وفي ٥ من نوفمبر سنة ١٨٨٣ لقى هكس وجيشه هزيمة شنيعة أبيد فيها جيشه عن بكرة أبيه، ويذكر في هذا الصدد أنه قد تم اكتشاف أن عدداً من الضباط والجنود المصريين ممن كانوا في جيش هكس – وبعد مرور خمسة عشر عاماً – كانوا يعملون في صفوف جيش المهدية برغبتهم وأن المدفعية التي دافعت عن مدينة أم درمان (عاصمة المهديين) سنة ١٨٩٨م كانت مصرية بأسلحتها ورجالها[١] .

وفي السودان الشرقي الذي كان عاصمته سواكن، وبها الحامية العسكرية، بدأت بوادر الثورة فيها بعد أن شخص **عثمان دقنه** (أحد الأثرياء التجار المشهورين) على رأس مجموعة من وجوه القوم في السودان الشرقي إلى الإمام المهدي لمبايعته حيث ولاه الأمير زعامة السودان الشرقي، وحمله بالكتب الموجهة إلى المناطق وزعماء القبائل بالزعامة وضرورة الانقياد لأوامره[٢] .

فقد كان كما قال فيه اللورد كرومر[٣] (ايفلين بارنج) الممثل البريطاني في مصر أن عثمان دقنة: " كان على جانب كبير من الكفاءة ، كما كان الرجل الذي اختاره القدر ليلعب دوراً رئيساً في شرق السودان .

ووقعت معارك عديدة بين قوات عثمان دقنة، والقوات الحكومية المرابطة في السودان في سنكات ، وأروكويت، وقباب، وابنت ، والتيب الأولى، والثانية وطماي .... وغيرها كان النصر فيها في الغالب للثوار الموالين للمهدي وعثمان دقنة[٤] .

---

(١) د/ جلال يحيي – العالم العربي الحديث – القاهرة – ١٩٩٧م – ص ٢٣٥.

(٢) انظر التفاصيل في :
محافظ مجلس الوزراء – محفظة ١/٩/ب – السودان – الثورة المهدية – من حكمدار عموم السودان في ٣ اغسطس ١٨٨٣.
- وانظر : د/ شوقي الجمل – تاريخ السودان – ح ٣ - ص٣٣ وما بعدها.
و : إبراهيم فوزي (باشا) – السودان بين يدي غوردون وكتشنر – ج١ - القاهرة ١٣١٩٠هـ ص ١٧٦ وما بعدها .

(٣) اللورد كرومر – بريطانيا في السودان – ترجمة / عبد العزيز أحمد عرابي – الشركة العربية للطباعة والنشر – ط١ – القاهرة – ١٩٦١م – ص٤٠.

(٤) انظر تفاصيل المعارك في كتاب : اللورد كرومر – بريطانيا في السودان – ص ٤١ وما بعدها .

كمـــا حدثت كارثة كبيرة لحملة كان على رأسها هكس في نوفمبر ١٨٨٣م ، حيث فقد معظم جنوده فيها، كما استسلم سلاتين باشا مدير دارفور، وكذلك ولبتون مديـــر بحر الغزال للمهدي، ولذلك فقد بدأت الحكومة الانجليزية تسعى إلى إخلاء السودان، رغم معارضة بعض القادة ، والحكومة المصرية، وفي ٤ من يناير سنة ١٨٨٤م جـــاءت أوامـــر اللـــورد جرانفيل- رئيس الوزراء البريطاني إلى اللورد كرومـــر بضــــرورة تنحـــي كـــل وزير أو مسئول في مصر لا يسير وفقاً لسياسة الإخلاء[1] .

وقـــد وجـــدوا ضالتهم في نوبار باشا الذي تقلد الوزارة المصرية على شرط إخلاء السودان[2] .

ولم تكن سياسة الإخلاء بالأمر السهل بل كان صعباً وشيئاً مستحيلاً لانقطاع الطرق بسيطرة ثوار المهدي عليها، واختارت بريطانيا **غوردون** لهذه المهمة حيث تـــم تعيينه حكمداراً على كل السودان، وما أن وصل الخرطوم حتى تم حصارها، وانتهـــى إلـــى أن لقى فيها حتفه في ٢٦ من يناير سنة ١٨٨٥م وتمكن الثوار من اقتحام العاصمة والسيطرة عليها[3] .

وأتفـــق مـــع الدكتور / جلال يحيي في أنه قد كانت هناك صلات وثيقة بين ثوار وثورة الشمال (مصر العرابية) ، وثوار وثورة الجنوب (السودان المهدي) في وادي النـــيل ، كما أتفق مع من قال بنوايا المهدي وسعيه في القبض على غوردون باشا حكمدار السودان ، وعدم قتله حتى يبادل به **أحمد عرابي** ، وينقذه من محاكمة الانجليز له .

---

(١) رئاسة مجلس الوزراء – السودان المطبعة الأميرية – القاهرة ١٩٥٣م – ص٢.

(٢) عبد الرحمن الرافعي – مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال – ط١ – ١٩٤٢م .

(٣) سعد الحلواني – الحكم المصري – ص ٢١٣.

وعلى كل فقد قتل ثوار المهدي غوردون، وأقامت انجلترا الدنيا ولم تقعدها تهيـئة للرأي العام ، وللثأر كمبرر لإرسال جنودها إلى الخرطوم، والاستيلاء على السودان فيكون ذلك من فعل يديها، حتى يطيب لها استعماره[١] .

استعادة السودان :

بعـد أن تمكـن المهدي من دخول الخرطوم اتخذها عاصمة لبلاده، وبدأ في إجـراءات الحمايـة التي تكفل له صد اعتداءات الانجليز والأتراك المتربصين به، ومع ذلك فلم تمهله المنية حيث لقى ربه في سنة ١٨٨٥م موصياً بالخلافة من بعده لرفيقه **عبدالله التعايشي** الذي كان قد أطلق عليه أبا بكر.

وقـد صادف خليفته عبدالله مشاكل وأخطار عديدة بعضها داخلية، والبعض الآخـر خارجـية حيث دخل في صراع عسكري مع الحبشة تمكن فيه من هزيمة الأحـباش عدة مرات استولى في إحداها على عاصمتهم **غاوندا** كما قتل امبراطور الحبشة في مارس سنة ١٨٨٩م. على يدي قوات المهدية .

وجاءته الأخطار أيضاً من جانب الإيطاليين الذين استولوا على أجزاء كبيرة من شرق السودان حتى أنهم تمكنوا من دخول كسلا في سنة ١٨٩٤م، ولكن حالفته الأقدار إذ قام الأحباش بكسر شوكة الطليان والقضاء على قدر كبير من قواتهم في **معركة عدوة** سنة ١٨٩٦م.

---

[١] د/ جلال يحي – العالم العربي – ص ٢٣٨.

وفـي العـام نفسـه تـم تجهيز حملة انجليزية باسم مصر بقيادة القائد العام السردار كتشنر الذي تمكن بعد معركة شرسة مع قوات المهدية حول أم درمان من دخـولها وهـزيمة المهديين ليقضي بذلك على إحدى الدعوات الثورية الدينية التي كانت إحدى صور مقاومة الاستعمار في العالم العربي الإسلامي .

وقـد تمت استعادة السودان في سنة ١٨٩٩م بمشاركة مصرية انجليزية وقام على أثر ذلك الحكم الثنائي المصري الانجليزي مع ما صاحبه من نزاع مستمرين بين الانجليز والحكومات المصرية كان فيه الانجليز الأقوى نفوذاً وسلطة، واستمر الحال على هذا المنوال حتى قتل حاكم السودان سنة ١٩٢٤م حينئذ اضطر الجيش المصـري للانسـحاب مـن السودان، ولكنه عاد مرة أخرى بموجب معاهدة سنة ١٩٣٦م.

وفي سنة ١٩٤٤م تألف أول مجلس استشاري حكم شمال السودان، وظهرت أول جمعية تشريعية سنة ١٩٤٨م كمقدمة لاستقلال السودان، وبعد استفتاء أقيم بين الشـعب السـوداني علـى الاستقلال أو الوحدة مع مصر تم بعده إعلان السودان جمهورية مستقلة في يناير سنة ١٩٥٦م بعد موافقة مجلس الأمة المصري، وبعدها انضـم السـودان إلـى جامعة الدول العربية، وأصبح كذلك عضوا في هيئة الأمم المـتحدة، وتـوج السـودانيون هذه المكاسب بقيام حركة شعبية تمكنت من إقصاء العسكريين عن الحكم وإقامة حكومة مدنية برئاسة سر الختم خليفة ابتداء من أكتوبر سنة ١٩٦٤م[١].

****

[١] د/ زاهية قدوره – تاريخ العرب – ص ٤٠٤ وما بعدها.

رابعاً : جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده :

يُعُــد الأفغانـــي ومحمد عبده ثمرة من ثمرات الصحوة الإسلامية في العصر الحــديث ، ومنهل مستنير للفكر الإسلامي الذي يصلح لكل زمان ومكان بشرط أن يفهم معتنقوه سطوره وتعاليمه، ويتم تطبيقها كاملة دون نقصان حتى لا يأخذ أعداء الأمـــة نقائص بعض المسلمين كحجة على الإسلام والإسلام منهم براء، ولذلك فقد جـــاء فكـــر الأفغانـــي المتقد، وعلم الإمام محمد عبده كنبراس يقتدى به في عصر الغيوم التي غطت العالم الإسلامي وللإمامين نفرد هذه الدراسة:

أ) جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ – ١٨٩٧)م :

أما جمال الدين فقد كان مفكراً عالمياً حيث استهدف قيام وحدة إسلامية تحت زعامة الدولة العثمانية، ونشر فكره ورأيه في العديد من الدول الأفريقية والأسيوية والأوربية فقد التف الناس حوله في الهند ، وسمعت الجماهير لآرائه التحررية من ربقـــة الاستعمار، ثم غادرها إلى مصر – للمرة الأولى – أوائل سنة ١٨٧٠ حيث أقـــام بهـــا أربعين يوماً استغلها في نشاط علمي في دار سكنها بحي خان الخليلي القريب من الأزهر الشريف.

وغـــادر مصر إلى إسلامبول التي لقى بها حفاوة وتقدير خاصة من الصدر الأعظـــم عالي باشا ، وعينته الحكومة العثمانية عضواً في مجلس المعارف فأبدى ملاحظاته لإصلاح مناهج التعليم – ولكن شيخ الإسلام هناك توجس خيفة من آرائه فأضـــمر لـــه السوء، وناصبه العداء كما ألب الناس عليه، مما اضطره للرحيل إلى مصر ثانية في مارس سنة ١٨٧١م ، وفيها قرر له الخديوي إسماعيل راتباً (عشرة جنيهات شهرياً) .

ظل الأفغاني في مصر ثمانية أعوام ونصف، نهل فيها المجتمع المصري من أفكـاره الإسـلامية لإيقاظ وعي المسلمين، وإثارتهم على أعدائهم، حتى خشي منه الانجليـز والخديوي توفيق[١] فأصدر توفيق في رمضان ١٢٩٦ أغسطس ١٨٧٩ أمـراً بنفـي الأفغانـي مدعياً أنه رئيس جماعة سرية اجتمعت على فساد الدين والدنيا[٢]،وأن الحكومة المصرية أبعدته ، ووجهته من طريق السويس إلى الأقطار الحجازية[٣] .

ولكـنه انتقل إلى الهند بسفينة بريطانية فأقام في حيدر أباد، وألف فيها كتابه: رسالة في إبطال مذهب الدهريين – ورد على داروين Darwin وراقبته الحكومة الانجليـزية محـددة إقامته في كلكتا بالهند حتى انتهت الثورة العربية فسمحت له بالسفر إلى أي مكان ما عدا الشرق.

انـتقل الأفغانـي إلى انجلترا (لندن) سنة ١٨٨٣، ومنها إلى فرنسا (باريس) حـيث أصـدر فيها جريدة : العروة الوثقي التي عاونه فيها الإمام: محمد عبده ، وميرزا محمد باقر ، وظل على اتصال بتلاميذه في مصر ، وغيرها وهو ينتقل بين باريس ولندن ، ثم ذهب إلى فارس ، ومنها إلى روسيا التي أخذ ينشر في صحفها مقالاتـه وينـتقد فيها السياسة البريطانية، كما طبع المصحف الشريف بها، وبعض الكتب الدينية لمسلمى الروس.

---

(١) د/ عبد العزيز الشناوي – الدولة العثمانية - جـ ٣ – ص ١١٨، ١١٨٩.

(٢) انظر تفاصيل أعماله في مصر كتاب .
د/ مصطفى محمد رمضان – تاريخ الحركة الوطنية – ص ٢١٦ وما بعدها.

(٣) الوقائع المصرية – العدد ٨٢٦٠ – بتاريخ ١٣ من رمضان سنة ١٢٩٦هـ/ ٣١ أغسطس سنة ١٨٧٩م.
وانظر : د/ سعد الحلواني – العلاقات – ص ١١٣.

ثـــم اتجـــه الأفغاني إلى ميونج بألمانيا ومنها إلى فارس التي نشر بها آرائه التحررية، واجتمع عليه الخاصة والعامة بل والقادة كذلك، حتى وشى به الرجعيون عند الشاه في الوقت الذي كان يطالب فيه الأفغاني بالحرية والعدل والصلاح فاقتاده الفـــرس إلى الحدود مع العراق (العثمانية) ، ومنها إلى لندن حيث أسهم في جريدة شهرية عربية إنجليزية اسمها : "ضياء الخافقين" كان متحاملاً فيها على الشاه داعياً الشعب الفارسي إلى عزله.

****

الجامعة الإسلامية

وقـــد دعاه السلطان عبد الحميد إلى إسلامبول فلبى دعوته، وظل بها إلى أن لقى ربه سنة ١٨٩٧ م[1]، فقد كان الأفغاني يعمل على توحيد كلمة المسلمين تحت ظل الخلافة العثمانية، ويعلق عليها آمالاً في حمايته من الاستعمار الأوربي.

ولـــذلك تلاقـــت هذه الدعوة الأفغانية مع دعوة السلطان العثماني عبد الحميد للجامعـــة الإســـلامية، وظـــلا يعمـــلان على هدم القومية التي يغني عنها الرابطة الإسلامية الأوسع والأقوى.

ثـــم تطـــور فكـــر الأفغاني برؤية دفاعية عن العروبة – دون أن يتخلى عن الاتجـــاه الإسلامي – وأن اللسان العربي هو لسان الدين بل غالى في ذلك إلى أن طالـــب بتعريب الدولة العثمانية، وعدد المحاسن والنتائج الإيجابية التي من الممكن حصادها لو تعربت الدولة، وأن في ذلك عزها ومنعتها .

---

(1) د/ عبد العزيز الشناوي – الدولة العثمانية – جـ٣ – ص ١١٨٩ – ١١٩٠.

ولـــذلك فقد دَبَّ الخلاف بين الأفغاني والسلطان عبد الحميد إذ أن الأول أخذ يدعـــو إلـــى دولـــة لا مركـــزية ، واستشهد بالخديوية المصرية التي تمتع حاكمها بسلطات واسعة (في عهد إسماعيل) وأراد الأفغاني ترك الولايات تحذو حذو مصر، وتـــتوقف الدولـــة عن إرسال الولاة لتقوم خديويات قوية وفي ذلك تشجيع لفارس وأفغانستان، والهند على الانضواء تحت راية الخلافة اللامركزية ويصير السلطان العثمانـــي ملـــك لهؤلاء الملوك، وليس ملكاً لولاة ضعاف أكل الزمان وشرب على نظامهم .

إلا أن الســـلطان عبد الحميد رفض أفكاره اللامركزية، ولاسيما أن الأفغاني كـــان يحمل بين أفكاره مطالب دستورية تنظم الممالك التي طالب بتحويل الولايات إلـــيها، كمـــا طالـــب بتحويل النظام الاستبدادي إلى نظام شوري ، الأمر الذي زاد شكوك السلطان وأسرع إلى إغلاق جريدة البيان التي أصدرها أحد مريدي الأفغاني (محمد باشا المخزوني) سنة ١٨٩٣م[١] .

ويـــبدو أن شجاعة الأفغاني وجرأته في آرائه، وإعلانها على الملأ سواء في الإســـكندرية ، فـــي القاهـــرة، وكذلك في إسلامبول ، وأوربا ، وبلاد فارس وفي الصـــحافة التي دفع الناس إلى إنشائها، وما أنشأه هو منها كل ذلك قد جعل الحكام، وأصـــحاب المناصـــب الكبيـــرة والنفوذ يخشون ويقلقون على كراسيهم ومراكزهم فناصبوه العداء سواء كان ذلك من السلطان وصدره الأعظم أم من الخديوي، أم من الانجليـــز ، وشاه الفرس، كل هؤلاء وبعض حاشيتهم، ومن دار في فلكهم وقفوا في مواجهة شخص واحد هو الأفغاني .

---

[١] د/ محمود صالح منسي – تاريخ الشرق العربي – ص ١٠٦ وما بعدها .

ويذكر البعض[١] : أن السلطان العثماني كان يود استغلال الأفغاني أحسن استغلال تحقيقاً لمصلحته الشخصية، ولذلك عندما وجد الأفغاني أن سياسة عبد الحميد موجهة ضد الأحرار والثوار، وقف منه موقفاً عدائياً دون أن يتحرز في توجيه اللوم إليه ، حتى أن الأفغاني دخل على السلطان يوماً طالباً منه أن يقيله من بيعته، وقال له: " بايعتك بالخلافة والخليفة لا يصلح أن يكون غير صادق الوعد ..." .

ورغم ترددي في التسليم بإمكانية تجرؤ الأفغاني على هذه المقولة ، إلا أنه ربما قد وصلت العلاقة بين الطرفين إلى حد شجعت الأفغاني على مصارحة السلطان برأيه، بالإضافة إلى أن الرجل كان بلاشك مفرطاً في الجرأة والشجاعة.

وتجدر الإشارة إلى أن سياسة عبد الحميد الإسلامية، وحركة الجامعة الإسلامية قد قامت على أسس ودعائم كبيرة اهتم بتنميتها كان على رأسها : الخلافة التي أراد إحياء عظمتها، واسترداد هيبتها في العالم الإسلامي، واستمالة الشخصيات الكبيرة ووجهاء هذا العالم.

والدعامة الثانية : هي الحج والعمل على تيسيره، واستثماره في إعلاء مكانة السلطان، كما عمل على إنشاء سكة حديد الحجاز لتيسير الانتقال إلى مكة والمدينة، والعودة منهما بيسر وسهولة وأمان[٢] .

****

---

[١] د/ الدقن – دراسات في تاريخ الدولة العثمانية ص ١٢٧.
[٢] د/ السيد الدقن – دراسات في تاريخ الدولة العثمانية – ص ١٢٧ وما بعدها.
وانظر : د/ محمود صالح منسي – تاريخ الشرق – ص ١١١ وما بعدها.

ب) الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ – ١٩٠٥)م :

ولد محمد عبده في قرية من القرى المصرية (محلة نصر) لأبوين مصريين مـــن فلاحي الريف المصري أحدهما وهو الأب يُذكر أن أصوله تركمانية ، والأم عربية من بني عدي – كما يقال ، وكان لأبيه بعض الوجاهة الأدبية والدينية فألحقه بمجال التعليم الديني الأولى ، ثم أرسله والده إلى الجامع الأحمدي بطنطا، ومنه فرَّ إلـــى أحـــد أقاربـــه :الشيخ درويش خضر (خال أبيه) الذي كان له بصمات دينية وفكـــرية علـــى محمـــد عبده إذ كان الخال يحمل **فكراً سلفياً** حمله من دعوتي ابن عـــبدالوهاب في نجد، ومن السنوسية في طرابلس الغرب التي زارها، والتقى فيها بأتباع السنوسي.

ومـــن الجامع الأحمدي ، وفكر الشيخ درويش اتجه محمد عبده إلى الأزهر الشـــريف ســـنة ١٨٦٦م الموقع الأمثل والأشمل لدراسة التعليم الديني بحرية تامة يختار فيها الطالب الدرس والمدرس معاً دون إكراه أو توجيه من أحد ، ولم يترك لقـــاء خال أبيه بين الحين والآخر كلما تيسر له ذلك فينهل من علمه وخلقه وفكره الكثير.

كما اتصل محمد عبده بشيخ آخر يُعد نادرة في زمانه هو الشيخ حسن الطويل الـــذي لـــه معرفة واسعة بالرياضيات، حاد الذكاء ، وله باع في المجال الفلسفي، ومعرفة بالسياسة، وأمور الدنيا.

حينئذ أخذ محمد عبده ينهل من هنا وهناك دون أن تكفيه هذه الجرعات حتى وجـــد ضالته أخيراً في شخصية فذّة ، وقوة فكرية جريئة في ثورة وهيجان لايلين هـــي شخصـــية : جمال الدين الأفغاني الذي عمد (يؤازره محمد عبده) إلى تنوير عقـــول الأمـــة وإيقاظهـــا مـــن غفوتها بكتابة المقالات في الصحف ، والمجلات، والخطب على المنابر وفي المحافل المختلفة .

واشـــترك مـــع الاثنـــين صـــفوة من رجال الفكر في مصر : سعد زغلول، وإبراهيم اللقاني، وإبراهيم الهلباوي ، ومحمود سامي البارودي، إبراهيم المويلحي، وأديــب إسحاق ، وغيرهم ، ولكن التصاق محمد عبده بالأفغاني كان أشد فتوثقت عرى المودة والصداقة بينهما.

وفي عام ١٨٧٧م حصل محمد عبده على العالمية في الأزهر الشريف ، ليبدأ حياة جديدة عملية حيث يقوم بالتدريس في أعلى المحافل العلمية المصرية بالأزهر الشـريف، وبـدار العلوم، ومدرسة الألسن، ويبدأ اتصاله بالجماهير، وبطلبه العلم علـى أوسـع نطـاق يبث فكره وعلمه، وما حصّله من فكر الأفغاني في اعتدال ووسطية اختلف فيها عن أستاذه الثائر.

وفضـلاً عـن مهمـته في التدريس بدأت اتصالاته بجرائد عصره، خاصة الأهـرام يكتب فيها المقالات المتتالية ، ويبحث عن مجالات الإصلاح الاجتماعي والخلقـي، وتبصـير الناس بما يجب ومالا يجب ، يوقظ النـاس ويبعـث فيهـم صـحوة وهِمَّة في استمرارية وصبر وأناة حتى بدأ نجمة يعلو، وصيته يصل إلى الأسماع.

وكـان نـتاجه العلمـي قد أثمر مجموعة من المؤلفات على رأسها : رسالة التوحيد، وتفسير أجزاء من القرآن الكريم (تفسير المنار) أتمه الشيخ محمد رشيد رضـا، والإسلام دين العلم والمدنية ، ومجموعة من الفتاوي، والإسلام والرد على منتقديه وتحقيق أسرار البلاغة للجرجاني وغيرها.

وكـــان لنفي الأفغاني خارج القطر المصري أثر على محمد عبده حيث تحمل الأخير العبء وحده في مجال الإصلاح ، وإيقاظ الناس ، فاتجه إلى إصلاح الوقائع المصـــرية (وهـــي الجريدة الرسمية في مصر) فضم إليه سعد زغلول، وإبراهيم الهلباوي، والشيخ محمد خليل ، والسيد وفا، وعبد الكريم سليمان، ثم أنشأ جانباً غير رســمي بالوقائع يعني بالمقالات الأدبية الاجتماعية والإصلاحية حيث كان المحرر الأول في هذا الجانب هو : محمد عبده.

وعلـــى الـــرغم مـــن أن الشيخ كان من أحد أسباب ثورة عرابي، إلا أنه لم يشـــارك فيها ولم يؤيدها في بدايتها، ولكنه اتجه إلى معاضدتها في مرحلتها التالية لصـــالح الأمـــة ، ولذلك فقد قبض عليه لاشتراكه فيها، وأودع السجن للتحقيق معه طـــوال شـــهور ثلاثة، ثم حكم عليه بالنفي ثلاث سنوات ، فاتجه إلى بيروت سنة ١٨٨٣م وقد بلغ سنّةً أربعة وثلاثين عاماً .

وبدعـــوة مـــن أستاذه : الأفغاني ينتقل ملبياً الدعوة إلى باريس حيث يشترك الاثـــنان معـــاً في إخراج جريدة : " العروة الوثقي" التي تمّ تقسيم العمل فيها حيث يبدي الأفغاني أفكاره وروحه الثائرة، وما يرسم من خطط، وعلى الشيخ محمد عبده تحرير وصياغة هذه الأفكار بأسلوبه مع تفصيل وشرح معانيها وما ترمي إليه[1] .

واخـــتلف محمـــد عبده في العروة الوثقي بباريس عنها في الوقائع بمصر إذ انقلـــب مـــن هدوئه واعتداله إلى متأثر بثورة أستاذه، وباحتلال الانجليز لأرضه، وبنظـــرة للعـــالم الإسلامي كله على أنه وحدة واحدة، فلابد من مناهضة الاحتلال

---

(١) احمد امين – زعماء الإصلاح في العصر الحديث – النهضة المصرية – ط٤ – ١٩٧٤ - القاهرة – ص ٣٠٢ وما بعدها .

الأجنبي بكل أشكاله، وبث روح العزة القومية الإسلامية، بتوثيق الصلات بين شعوبها، وخلق الأمل في النجاح والتحرر والإصلاح مكان اليأس الذي استشرى في النفوس ، وإبعاد شبح العقائد الدخيلة التي تدعو إلى الخنوع والاستسلام برمي العبء كله على القضاء بما يخالف عقيدتنا ، وتوصيل مفهوم أن الإسلام في حقيقته الصحيحة لا يتنافى أبداً مع الأخذ بالأسباب المدنية، والمضي قدماً نحو التقدم والرقي والازدهار مع الابتكار[١] .

هذه هي الروح التي سيطرت على قادة الفكر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وما أشبه اليوم بالبارحة فنحن أحوج بها اليوم في مطلع القرن الواحد والعشرين، ولابد أن تكون ديدننا وشغلنا الشاغل الذي لا ننفك عنه ، نستمر على ديننا نتمسك بأهدابه وتعاليمه ، نقاوم كل أشكال الاستعمار، والهيمنة بفكر ثاقب وعلم نافذ، وجدية في العمل والإنتاج، وإخلاص في الأداء مع الأخذ بيد كل ناجح مبدع مبتكر صانع، واختيار للأصلح فيمن يتولى أمرنا، ويبث فينا الفكر الصحيح، يحفظ أمتنا وترابنا الإسلامي عن الأخطار والخطوب ، يقبل الشورى والرأي الآخر دون أن يقبره أو يدوسه ، يلتزم معنا بتعاليم السماء ، ونور الأنبياء.

---

(١) امتد نشاط محمد عبده الإصلاحي وسعيه نحو الصحوة الإسلامية إلى بيروت، والدولة العثمانية نفسها إذ عمل في مجال التدريس والتأليف في بلاد الشام، ووضع لوائح لإصلاح التعليم الديني، ورسم الخطط له ، وأرسل بأفكاره إلى شيخ الإسلام ، ولائحة أخرى إلى والي بيروت لإصلاح سوريا بما مده به من أفكاره ورؤى إصلاحية .
انظر : أحمد أمين – زعماء الإصلاح – ص ٣٣٥.
والغريب أن هناك من يدعى بأن أثر محمد عبده كان محلياً في مصر وحدها وقد سمعتُ ذلك في مؤتمر العرب والغرب الذي عقد بجامعة فلادلفيا بالأردن فكان ردي على هذا الادعاء بما سبق، وأن حركة ونشاط محمد عبده قد حركت كثيراً من المياه الراكدة في العالم الإسلامي بوسطية واعتدال حرص عليهما الإمام .

خامساً : دور الأزهر والقرويين والزيتونة :

أخبـــرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانة المساجد الثلاث الأكثر أهمية ومكانة : المسجد النبوي – المسجد الأقصى ، ويليهم بعد ذلك في الشهرة والأثر : الجامع الأزهر الشريف الذي لا ترجع أهميته إلى قدمه، حيث أنشئت قبله العديد من الجوامـــع والمساجد، فقد كانت الفتوحات يتبعها إنشاء جامع في كل مدينة ، وربما مسجد في كل حي.

فقـــد أنشئ جامع البصرة سنة ١٤هـــ، والكوفة سنة ١٦هـــ كلاهما بالعراق، وجامع عمرو ٢٠هـــ بالفسطاط، وجامع ابن طولون بالقطائع سنة ٢٦٦هـــ كلاهما بمصـــر، والـــزيتونة بـــتونس سنة ١١٤هـــ ، وجامع القرويين بفاس في المملكة المغربية سنة ٢٤٥هـــ .

أولاً : الجامع الأزهر :

أما الأزهر فتظهر أهميته ومكانته من خلال الدور الذي أداه طوال ألف عام مـــن الـــتاريخ الإسلامي محافظاً على العلوم الدينية، واللغة العربية ليس في مصر وحـــدها بل في أقطار العالم الإسلامي ، بالإضافة إلى حفاظه على الثقافة والتراث الإسلامي بشكل عام.

وقـــد بنى مع إنشاء القاهرة الفاطمية ولذلك سمى في البداية جامع القاهرة ثم الأزهـــر حـــيث اســـتغرق البناء فيه ما يزيد عن العامين قليلاً حيث افتتحه جوهر الصـــقلي فـــي ٧ رمضـــان سنة ٣٦١هـــ / ٢١ من يونيو سنة ٩٧٢م ، وهو أقدم جامعات الدنيا القائمة في الوقت الحاضر ، ولم تنشأ جامعات أوربا وغيرها إلا بعده بقرنين من الزمان وهي كما يلي :

١- جامعة باريس : أنشئت في القرن الثاني عشر الميلادي .

٢- جامعة أوكسفورد بانجلترا : أنشئت في القرن الثالث عشر الميلادي .

٣- جامعة لوفان ببلجيكا : أنشئت في القرن الخامس عشر الميلادي.

٤- جامعة أوبسالا بأسبانيا : أنشئت في القرن الخامس عشر الميلادي .

٥- جامعة أشبيليه بأسبانيا : أنشئت في القرن السادس عشر الميلادي .

٦- جامعة المكسيك : أنشئت في القرن السادس عشر الميلادي .

٧- جامعة بوجوتا في كولومبيا : أنشئت في القرن السادس عشر الميلادي .

٨- جامعـــة القديس مرقس في ليما عاصمة بيرو : أنشئت في القرن السادس عشر الميلادي .

٩- جامعة قرطبة في الأرجنتين : أنشئت في القرن السابع عشر الميلادي .

ويعتبر البعض أن جامع القرويين الذي أنشئ في فاس سنة ٢٤٥هـــ/ ٨٥٩م أقدم الجامعات[١] إلا أن الأزهر اعتنت به الدولة في تنظيمه وفي عملية الإنفاق على مدرســيه ، بالإضـــافة إلى أن وجوده في مصر التي تتوسط العالم الإسلامي جعل الأزهر محط الرحال ، ومقصد طلاب العلم والعلماء من شتى الأنحاء.

ويطـــيب لـــي أن أسوق مثالاً يُحتذى لعل فيه صحوة ومقارنة لما كان عليه أسلافنا يوم أن كان الغرب يغط في ظلمات الجهل، وما نحن عليه الآن لعل وعسى أن يخـــرج مـــن بينـــنا من يعيدنا إلى عصر العلم واليقظة والنشاط ويضعنا على الصراط المستقيم .

فقـــد كـــان الحسن بن الهيثم الذي عاش بين عامي ٣٥٤هـــ - ٤٤٢هـــ في بغداد التي ظهر فيها علمه كموسوعة في العديد من العلوم الدقيقة، واستقدمه الحاكم بأمر الله للتدريس بالأزهر الشريف، فقدم إلى مصر ، وعاش بها ولننظر في أمره عـــن كـــثب وبصـــيرة إذ تعلمت منه أوربا الكثير من نظريات الضوء وإنكساره،

والعدسات، وقوس قزح ، وتشريح العين ، وكيفية تكون الصور على شبكتها ، مع تسمية خاصة لأجزائها، وبلغ من شهرة هذه المسميات أن نقلت بعربيتها إلى اللغات الأوروبية .

تذكر عنه دائرة المعارف الإسلامية (وهي بأقلام مجموعة أوربيين) أن الحسن بن الهيثم :" كان من علماء العرب في الرياضيات والطبيعيات ، وكانت له فوق ذلك مشاركة في الطب وعلوم الأوائل خاصة فلسفة أرسطو"، واردفت دائرة المعارف نفسها القول : وإن الكتاب المناظر أثر بالغ في معارف الغربيين لهذا العلم في العصور الوسطى .

وتقول عنه دائرة المعارف البريطانية : إن ابن الهيثم هو أول مكتشف ظهر بعد بطليموس القلوزي في عالم البصريات . ولا ننسى أن هذا الحديث عن كبير علماء عصره ابن الهيثم كان قبل أكثر من ألف عام.

وكان بالأزهر عدد من الأروقة خُصصت لأبناء البلدان الغربية والبعيدة، والرواق هو بمثابة بيت كامل مجهز بغرف ودورة مياه ، ودواليب ، وبعض الخزائن تحفظ الكتب ، وكذلك أمتعة المتعلمين، ولكل طائفة رواق خاص بهم ينفق عليهم من أوقاف إسلامية محبوسة خصيصاً لهم ، ولكل رواق شيخ يتابع أموره، واحتياجاته.

والأروقة تفصيلها كالآتي :

رواق الهنود ، ورواق الونائية (الطيبرسية) ، ورواق البغدادية ، ورواق الأكراد، ورواق اليمنية، ورواق الجبرتية، ورواق البرنية ، ورواق الأتراك، ورواق السنارية، ورواق المغاربة، ورواق السليمانية، ورواق الجاوة، ورواق الشوام، ورواق الدكارنة، ورواق الحرمين، ورواق الصعايدة، ورواق البحيرة ، ورواق الفيومية ، ورواق الأقبغاوية، ورواق الشنوانية ، ورواق الحنفية ، ورواق الفشنية ، ورواق ابن معمر ، ورواق البرابرة ، ورواق دكارنة صليح، ورواق الشرقاوية ، ورواق الحنابلة .

أما أكبر هذه الأروقة فكان رواق الصعايدة والشوام، والترك ، والمغاربة ، ويــوجد بمكتبة الأزهر أكثر من ربع مليون كتاب فيه أكثر من ٢٥,٠٠٠ مخطوط بعضـــها نادر وثمين لا يقدر بثمن، فقد كان بعض العلماء يهب مكتبته الخاصة إلى الأزهر فيثري بذلك المكتبة الأزهرية .

وعلـــى الـــرغم مـــن الدور العلمي والديني للجامع والجامعة طوال عصور الـــتاريخ الفاطمـــي والأيوبي والمملوكي والعثماني، ثم الفترة المعاصرة فقد كان له دور توعـــية وتبصير الناس على فترات المحن المختلفة ، وفي المواقف السياسية وكـــذلك الاجتماعـــية كان للأزهر دور قيادي ، حيث خرجت منه صحوة لا يمكن لأحـــد أن يغفلها ، ولاسيما في العصر الحديث إبان العصر العثماني، وفي الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨، وفي تولية محمد على باشا .... إلخ.

وفي الربع الأول من القرن التاسع عشر خرجت أولى البعثات العلمية الأولى إلـــى أوربا من طلبة الأزهر في سنة ١٨١٧م فأرسل ٢٨ طالباً وظلوا هناك حتى ١٨٢٥م وبين عامي ١٨٢٦- ١٨٣١ م أرسل ٢٩١ طالباً أغلبهم من طلبة الأزهر، وكـــان مـــن أشهرهم : رفاعة رافع الطهطاوي ، والدكتور حسين غانم الرشيدي ، والدكتور محمد الشافعي[(١)] .

والـــيوم بلغـــت كليات جامعة الأزهر أكثر من سبعين كلية منتشرة في معظم بلدان مصر تمدها مئات المعاهد الدينية الإعدادية والثانوية فضلاً عن كليات أزهرية أخـــرى أو علـــى الـــنمط الأزهري افتحت في كثير من بلدان العالم في فلسطين ، وإيطاليا، وألمانيا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وتطلب العديد من جامعات أوربا فـــتح كليات أزهرية لديها ، ونأمل في أن يكون لذلك أثر محمود يعود بالخير على العالم الإسلامي.

---

(١) محمد كمال السيد محمد – الأزهر جامعا وجامعة – سلسلة البحوث الإسلامية – الكتاب الرابع – القاهرة – ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م – صـ ٧ وما بعدها.

ثانياً : جامع القرويين[1] بفاس :

وهو الجامع الذي ينافس الجامع الأزهر في قدمه ، ويسبقه في الإنشاء حيث شـــرعت في بنائه فاطمة بنت محمد بي عبد الله الفهري سنة ٢٤٥ هـــ / ٨٥٩ م ، ومـــن يومه غدا جامع القرويين منارة إسلامية لنشر الثقافة والوعي ، وبات حافظاً للتـــراث العربـــي ، وجامعة المغرب الإسلامية خاصة بعد نكبة الفردوس المفقود (الأندلس) ، وسقوط آخر معاقل المسلمين فيه (غرناطة) سنة ١٤٩٢ م.

وقد بنى الجامع بمدينة فاس التي أسسها إدريس الثاني ثاني حكام الأدارسة ، وجعلها عاصمة ومقراً لحكمه في سنة ١٩٢هـــ / ٨٠٧م فتوسعت المدينة وقصدها الناس حتى باتت حاضرة المغرب ، ومقصداً لطلاب العلم بعد ازدهار ونشاط جامع القرويين العلمي والثقافي والفكري[2].

وقد تميز جامع القرويين باستمرارية الدور الذي أداه طوال القرون الماضية دون انقطاع فلم يتعرض للمحن التي تعرض لها الأزهر والزيتونة ، بالإضافة إلى تميـــزه بكثرة العقارات الموقوفة عليه والتابعة له، وسعة أراضيه ، وتعد مئذنته ، وكـــذلك منبـــره مـــن أقـــدم الآثار التي بقيت على حالها ، وامتلأت مكتبة الجامع وخـــزانتها الأحمدية بمخطوطات قيمة ومؤلفات نادرة ساعدت على ازدهار العلوم الدينـــية وغيـــرها ، واتسعت أنشطته العلمية فشيدت بجواره مدارس داخلية لسكني الطلاب بقاعات فسيحة .

---

(١) يعود هذا الاسم إلى المنطقة التي بني عليها الجامع وكانت تسمى القيروين نسبة إلى مجموعة من المهاجرين الذين جاءوا من القيروان فتسمت باسم مدينتهم .

(٢) د/ سعد الحلواني – تاريخ كل العرب الحديث والمعاصر – ص ٢٧٩.

وفـــي البداية كانت كتب المشارقة هي الأساس، ثم الكتب المترجمة ، وتوالى التصنيف من علماء المغرب بعد ذلك.

ومـــن بين من تلقوا العلم في جامع القرويين تبرز أسماء: ابن العربي، وابن بطـــوطة، وابن خلدون ، وغيرهم ، ومازال جامع القرويين يؤدي دوراً فاعلاً في خدمة الثقافة الإسلامية .

ثالثاً : جامع الزيتونة بتونس :

يُعد مسجد الزيتونة الجامع من أشهر المعالم الإسلامية التاريخية بمدينة تونس التي بناها عقبة بن نافع الفهري سنة ٨٢هـــ / ٧٠١م في العصر الأموي على بعد حوالـــي ٢٠كـــم شرق مدينة قرطاجنة التاريخية القديمة، وتونس هي مسقط رأس العلامة المغربي : ابن خلدون.

وقد بنى جامع الزيتونة عبيد الله بن الحبحاب سنة ١٢٤هـــ / ٧٣٢م [١]على الطـــراز المعمـــاري الأموي مع اختلاف في مآذنه لأنه جعلها مربعة الشكل على خـــلاف مـــآذن الشام ، وأخذ الجامع يعلو شأنه مع ازدياد المترددين عليه ، وتغير الـــدول وتنافسها في العناية به حيث أن الأغالبة قد وسعوا المدينة (تونس) وبنو بها القصـــور والحدائـــق الغناء ، كذلك فعلت الدولة الحفصية التونسية ، وغدت تونس بجامع الزيتونة مقصداً لطلبة العلم والعلماء حتى قال فيها أحد الشعراء :

وكان لأهل العلم فيها وجـــاهة ∴ وجاه وعز مجده ليس بالفاني

وكان بواديـــها المقـــدس فتية ∴ تقـــدس باريها بذكـــر وقرآن

---

[١] يُذكر أن جامع الزيتونة قد بُنى قبل ذلك على يد حسان بن النعمان والى إفريقية سنة ٨٠هـ / ٦٩٩م ، إلا أن ابن الحبحاب أعاد بناءه .

وقام جامع الزيتونة بدور لا ينكر في حفظ علوم القرآن واللغة والفقه، وتقوم الدراسة فيه على نظام الحلقات حيث يتحلق الطلاب حول العالم الذي يلقى دروسه ، وقد عانى الجامع ما عاناه الأزهر من فرض المذهب الشيعي حتى كان عهد المعز ابن باديس رابع ملوك الدولة الصنهاجية الذي عمل على إحلال المذهب السني مكان المذهب الشيعي ابتداءً من سنة ٤٤١هـ / ١٠٤٩م ، وانتشر هناك مذهب الإمام مالك رضى الله ، وبذلك ظل جامع الزيتونة والقرويين حصناً لحماية العقائد الإسلامية واللغة العربية، ومقاومة محاولات التنصير والعلمانية، والتغريب بشكل عام[١] .

وقد نظمت طريقة التدريس في جامع الزيتونة ابتداءً من سنة ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م وطريقة الاختبار ، والحصول على الشهادات ، فكان الأساس أن يجتاز الممتحن اختباراً لكل علمٍ يمكنه من التدريس فيه ، ويحصل بذلك الخريج على شهادة أطلق عليها شهادة التطويع بموجبها يقوم بتدريس العلوم التي نجح فيها .

ومما يؤسف له ونحذر منه : المحاولات المستميتة لجهات غربية فردية وجماعية أهلية وحكومية علمية وتنصيرية وصهيونية (من أمريكا وأوربا)، بل ومن داخل مجتمعاتنا الإسلامية ممن تربُّوا على فراش الاستعمار كل هذه الطوائف تحاول بشتى الطرق علمنة المؤسسات العلمية الإسلامية، وصبغها بالصبغة التي يرتضيها الغرب بتقليص الثوابت الإسلامية منها، بما يضعف من شأن الأمة ويُضعف من مقاومة المستعمرين الجدد للعالم الإسلامي {قاتلهم الله أنى يؤفكون}.

---

[١] ولذلك فقد ذكر الحاكم الفرنسي العام (ليوطي) : أنه إذا تم لفرنسا القضاء على القرويين فقد ضمنت لنفسها الخلود في المغرب، وهو ما يحاول الغرب والأمريكان فعله في الفترة المعاصرة.



الفصل الرابع

المشكلات السياسية والاقتصادية

والحلول المقترحة لحلها

أولاً : المشكلات السياسية وكيفية كبح جماحها.

ثانياً : المشكلات الاقتصادية وكيفية علاجها.

أولاً : المشكلات السياسية وكيفية كبح جماحها :

وهب الله المسلمين دوراً عظيماً دفع البشرية نحو التقدم والرقي ، وقيادة العالم في اتجاه الهداية والصلاح الديني والدنيوي.

إلا أن التسلسل العفوي والوراثي قد أدى إلى وصول بعض الشخصيات الغير مؤهلة لكراسي الحكم ، وقيادة الدول والتجمعات الإسلامية قد أدت بهم إلى الوهن والضعف ، وكذلك الهوان ، كما حدث في الأندلس ، وفي الجنوب الإيطالي ، والخلافة العباسية ، والدول التي قامت في مصر والشام وغيرها من بلدان العالم الإسلامي ، وكذلك مثلما يحدث الآن من حكام المسلمين في العصر الحديث والمعاصر ، فاستغل حكام الغرب ضعفهم وانشغالهم فيما بينهم وبين شعوبهم ، وعمق الغرب ما بين الحكام والشعوب بالفرقة ، والوقيعة حتى يكتمل إلهاء الشعوب بحكامها والحكام بشعوبها ، فلا يكاد الحاكم ينشغل إلا بأمنه ، وأمن حاشيته.

أما الشعوب فكل فرد فيها يحاول جاهداً أن ينجوا من بطش حكامه ، ثم يدور في حلقة البحث عن لقمة العيش التي لم يترك الحاكم له منها إلا الفتات ، وكلما زادت الضغوط على الشعوب تقوم الثورات والتمردات الشعبية ضد الحاكم وسلطاته في استمرارية لا تنتهي بسبب تغذية هذه الخلافات من قبل الغرب الذي يتدخل مرة لصالح الحاكم ويشد من أزره ويساعد على ظلم وكبح جماح شعبه ، ومرة أخرى يؤازر المحكومين بالثورة على حكامهم ويمد هؤلاء وهؤلاء بالسلاح الذي يبيعه بأعلى الأرباح ، وفي هذه وتلك يتسلل المستعمرون الغربيون إلى بلادنا الإسلامية يتدخلون في شؤون الحكم ، وفي الاقتصاد الذي يوجه لمصالح بلادهم ومصانعهم ، وأسواقهم كذلك.

لـــيس هـــذا فحسب بل عمد الغربيون إلى تجنيب نظم الحكم الإسلامية التي تجمع المسلمين ، وبدلاً منها إدخال النظم الغربية غير متكاملة (وهي في الأساس لا تصـــلح لمجتمعاتنا) إلى بلادنا ، وهذه الأفكار الهدامة للسياسة الإسلامية نجدها في كتابات مفكري وسياسي الغرب أمثال المستشرق الهولندي هورجرونيه ، وفي كـــتاب لوثروب ستودارد (حاضر العالم الإسلامي) ، وفي مقال الوزير الفرنسي الشهير هانوتو الذي عمد الإمام محمد عبده إلى الرد عليه في أوائل القرن العشرين، واضـــطره على التراجع كثيراً عما جاء به ، ونجد هذا الفكر الغربي أكثر وضوحاً فـــي كـــتاب : " إلـــى أين يتجه الإسلام " الذي أشرف عليه المستشرق الانجليزي هـــــأ.جب سنة ١٩٣٢ م ، واشترك في هذا الكتاب مستشرقون متخصصون من جامعات أوربا (انجلترا ، وفرنسا ، وألمانيا ، وهولندا[١]).

وفـــي هـــذا الكتاب الأخير نلاحظ عناية الفكر الغربي بالفرقة ، والشعوبية ، وفصل الوطن الواحد إلى أوطان متعددة ضعيفة تفصلها : أعياد محلية خاصة بكل قطـــر للبعد عن الأعياد التي تجمع الجميع ، وخصوصية غطاء الرأس لكل بلد مما يترب عليه التزام كل قطر بطابعه الخاص ، وكذلك إلهاء كل بلد بنشيد خاص به ، وبتاريخ محلي يُزاد فيه وينقص ليظل هناك اختلاف بين أهالي الإقليم الواحد الذي تم تمزيقه إلى عدة بلدان صغيرة متصارعة على الحدود والتاريخ ، والمرعى ، وما في باطن الأرض من خيرات،وهبات ربانية ..... الخ.

وعلى الرغم من كل ما تقدم من ضعف وفرقة و تشتت ، وجمود بفعل أعداء الأمـــة فقد ظل العالم الإسلامي ، وما زال (في مستوى الشعوب على الأقل) كتلة واحدة تجمعهم ثقافة وفكر الإسلام وتراثه ، وقبلة يلتفون حولها ، هذه الكتلة يعتني الفرد في أطرافها بما يدور في وسطها ، وما يحدث في شمالها يتأثر به من هو في

---

[١] د / جميل عبد الله المصري – حاضر العالم الإسلامي – ص ٢٢٧ ، ٢٢٨.

جـــنوبها ، ويتأثر الجميع ويشارك بكل ألوان المشاركة في المناطق الساخنة ، ذات الصـــراع الدامـــي ، كمـــا فـــي فلسطين ، وأفغانستان، والشيشان ، والصومال ، وإريتريا، وكشمير ، وحيدر أباد الدكن ، والفلبين ، والعراق و الصومال ، وأثيوبيا وغيرها من بلدان المسلمين ، وغير المسلمين.

ولذلك فقد جاءت حركات الإصلاح الإسلامية تعمل على ملأ الفراغ السياسي الـــذي خلفـــه الاستعمار الغربي فظهرت دعوة ابن عبد الوهاب يؤازره السعوديون الذين جمعوا شمل جزء كبير من العالم الإسلامي تحت راية واحدة ، والشيء نفسه صنعته السنوسية التي حملت الفكر السلفي السعودي[1] ، ونادت بالإصلاح في البلاد الليبية ، ثم انتشرت تقاوم الاستعمار محاولة أن تقيم نظاماً سياسياً إسلامياً جامعاً لا مُفرقاً في الجزائر ، وفي ليبيا ، وفي السودان ، وتشاد .

ووصل تأثير السنوسية حتى النيجر الأدنى حيث تأسست ممالك إسلامية هناك علـــى الفكـــر نفسه ، وكانت السنوسية بذلك معولاً من معاول هدم وإزاحة الهيمنة الاستعمارية عن القارة الأفريقية ، بالإضافة إلى الحركة المهدية التي سبقت الإشارة إليها في مقاومتها للاستعمار الانجليزي ، والوجود التركي – على حد سواء.

وظلـــت مشـــكلات العالم الإسل امي في المجال السياسي تتعلق وترتبط دائماً بالـــتدخلات الاستعمارية الغربية التي كانت ظاهرة للعيان في دولة الإسلام الكبرى (الدولة العثمانية) ، فقد دفع الغرب بعض رجال الثورة والتجديد إلى ضرب الدولة فـــي مقـــتل بحجة الإصلاح السياسي من أمثال : مدحت باشا الذي وضع دستوراً أطلـــق علـــيه : قانون أساسي سنة ١٢٩٤هـــ استمد بنوده من الدستور البلجيكي ، وذلك لإرضاء الدول الأوربية ، واتخاذه بديلاً للقرآن ليكون دستور الدولة الإسلامية وفق الأحكام الغربية.

---
[1] مع بعض الميل إلى التصوف – فيما يختلف عليه السعوديون .

إلا أن السلطان عبد الحميد قد رفض تنفيذ هذا الدستور ، وقام بنفي مدحت باشا الذي ثبت عليه اتصاله بالانجليز عندما كان اليهودي (دزرائيلي) رئيساً للوزارة البريطانية ، ثم استمر التدخل الأجنبي الأوربي واليهودي في دفع جماعة الاتحاد والترقي في سلانيك إلى إسقاط الخلافة الإسلامية ، وقد تم لهم ذلك على يد مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٩٢٤ م ، إبعاد الشريعة الإسلامية عن الحكم والسياسية التركية ، ليس هذا فحسب بل تمكن هو ومن معه[1] إلى تحويل الدولة من دولة إسلامية تحمي الإسلام والمسلمين إلى دولة علمانية.

وفي مصر عمل نابليون بونابرت على إبعاد الجانب الإسلامي بمحاولة إدخال القوانين الوضعية إلى مصر إبان حملته عليها سنة (١٧٩٨ – ١٨٠١) م ، ولكن علماء الأزهر الشريف تصدوا له ، ولخلفه كليبر الذي قتله سليمان الحلبي الشامي ، وكذلك تصدوا لثالثهم جاك مينو الذي أعلن إسلامه تحت اسم عبد الله ، وتزوج من مسلمة مصرية ، وأطلق على ابنه اسم سليمان . وقد باءت محاولات الثلاثة بالفشل الذريع في إبعاد مصر عن نظام الحكم الإسلامي وتوجهها السياسي المرتبط بالعقيدة، وبالفكر الإسلامي المستنير.

إلا أن الانحراف السياسي عن الشريعة الإسلامية قد بدا واضحاً منذ عهد محمد علي باشا الذي أضعف كثيراً من قوة الأمة الإسلامية في شبه الجزيرة العربية ، وفي السودان ، وفي الشام ، ثم كانت ضربته القاصمة لجيش وأسطول الدولة العثمانية في الوقت الذي كانت تترنح فيه أمام ضربات الروس والانجليز وغيرهم ، وجاء عهد إسماعيل الذي عمل على فرنجة وأوربة مصر ، ثم أدت سياسته إلى احتلال الانجليز لمصر سنة ١٨٨٢ م ، وفي حمايتهم نشطت جهات تنصيرية وتغريبية عديدة ساعدتها بعض الأقلام المحلية التي عملت في كنف الاستعمار ، واحتمت بردائه الأمر الذي احتاج صحوة ويقظة ليس في مصر وحدها بل في سائر الأقطار الإسلامية.

---

[1] فقد كان على رأس المجموعة : ضياء الدين ، وأحمد رضا ، ونامق كمال ، بالإضافة إلى مصطفى كمال أتاتورك.

ويـــبدو أن مشاهير الأمة قد كان لهم بعض التورط في قضايا سياسية عديدة كـــان على رأسها قضية فصل الدين عن الدنيا ، والمضي قدماً في التيار العلماني بـــبطء فـــي الـــبداية فترة انتشار فكر الإمام / محمد عبده الذي اســـتغله كرومـــر (صـــديقه) اســـتغلالاً بشعاً نظراً لجرأة أفكاره وآراء الإمام ، ثم جاء معاصرهما بالشـــام (عـــبد الرحمن الكواكبي) ت ١٣٢٠ هـــ / ١٩٠٢ م الذي كان أول من نـــادى بفصل الدين عن أمور الحياة مقتدياً بالمفهوم الأوربي ، وأخذ المستعمرون (بمـــا لهم من هيمنة) يتجهون نحو زرع أحزاب قومية واشتراكية ووطنية اتفقت جميعها على تنحية التوجهات الإسلامية معتبرة برامجها بدائل.

ولـــم يقـــف الموضوع عند هذا الحد بل تجرأ أحدهم وهو علي عبد الرازق حـــاملاً فكر المنصرين المستشرقين في كتابه : " الإسلام وأصول الحكم " ، ويبدو أنـــه وجـــد هذه الجرأة من الوجود الاستعماري الانجليزي الذي يحمي كل من شق عصا الطاعة ، واعتمد كذلك على ما جاء به سعد زغلول من قبله عندما أعلن بعد عودته من المنفى مبدأ : " إن الدين لله ، والوطن للجميع ".

وكان رد فعل المستعمرين وأذنابهم التهليل لكتاب علي عبد الرازق وترجمته للعديـــد من اللغات الأجنبية كمرجع (للأسف) يُعتمد عليه في الدراسات الإسلامية عـــند الغـــربيين ، وصفق له كذلك دعاة التغريب من الكتاب والصحفيين ، وأساتذة الجامعـــات الـــذين تربوا على فراش المستشرقين بل والمنصرين كذلك ، وهؤلاء وأولئك قد أنشأوا جيلاً على النهج نفسه انتشروا في المحافل العلمية بالعالم العربي والإســـلامي ، وتبؤوا المناصب ، التي بها شحنوا أبواق الإعلام والمطبوعات بفكر قميء لا يصلح لمجتمعاتنا الإسلامية فتهاوت النظم السياسية بعد أن سُحب من تحت أرجلهـــا البســـاط القوي الذي كانت ترتكز عليه متمثلاً في تعاليم ودستور الإسلام (القرآن) ، ومن ورائه السنة المحمدية.

ولعلـــنا نفطن إلى قول وزير المستعمرات البريطاني في سنة ١٩٣٨ م :-
" إن سياستنا تهدف دائماً إلى منع الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي ويجب أن تبقـــى هذه السياسية كذلك " ويذكر :- " إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي أن نحذره ونحاربه ، وليست انجلترا وحدها التي تلتزم بـــذلك بـــل فرنسا أيضاً ..." ويقول كذلك (إننا في السودان ونيجيريا ومصر وبلاد أخـــرى إسلامية شجعنا "وكنا على صواب" نمو القوميات المحلية)، فهي أقل خطراً من الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي ".

مـــن هنا ندرك حجم ما بُذل من جهد غربي للوصول إلى نتيجة غفلنا جميعاً عـــن تـــدارك ومنع حدوثها وهي : التبعية السياسية في مجال الحكم والاقتصاد ، وكـــذلك الفكر الذي أدى أيضاً إلى أوضاع غير مستقرة هي عرضة دائماً لأطماع المعســـكرين الغربـــي والشـــرقي على حد سواء ، والعجز عن مواجهة الضغوط والتحديات التي تتعرض لها من الصهاينة وأسيادهم الغربيين، وكذلك من الشيوعيين في فترات سابقة.

ولذلك فالرأي في حل مشكلاتنا السياسية ينحصر في :-

١- تطبـــيق دســـتور المســـلمين بلا تردد في شتى مناهج ومناحي الحياة ، وإحلال هدى المصطفى (ص) محل المنهج الغربي الذي استشرى وزاد في العالم الإسلامي ، وأن نعض عليهما بالنواجز(قرآن وسنة) .

٢- إضـــعاف سيطرة وهيمنة العلمانيين ، وأصحاب التوجهات الغربية ممن يـــرددون كالبـــبغاوات أفكار ومناهج الغرب ، وإبعاد هؤلاء تماماً عن المناصـــب الســـيادية والمناصـــب المؤثرة التي تعمل بالمطبخ السياسي والفكري في العالم الإسلامي.

٣- وضع آلية أكثر إيجابية للعمل السياسي الموحد بين دول العالم الإسلامي بحيث يصدر القرار الواحد بعد تنسيق متكامل بشكل عملي وعلمي متزن دون عنترية أو فردية الأمر الذي يرفع من قيمة وتأثير السياسة الإسلامية في المجتمع الدولي ، والمحافل السياسية الدولية.

٤- العناية والمؤازرة المستمرة للجاليات الإسلامية خاصة الموجودة في عواصم الدول العظمى كالولايات المتحدة وألمانيا وانجلترا وفرنسا ... الخ لتكون سنداً بعد ذلك لخدمة قضايا العالم الإسلامي السياسية.

٥- مواجهة الصهيونية العالمية بشكل أكثر جدية ، وفي شتى مناحي الحياة حتى لا يكون لها هذا التأثير المدمر لسياسات ومستقبل العالم الإسلامي.

****

ثانياً : المشكلات الاقتصادية وكيفية علاجها :

حرصت تعاليم الشريعة على تيسير وتسهيل سبل العيش الكريمة لكل المسلمين ، وكذلك غير المسلمين في منهج قويم ينظم علاقات الأفراد والأمم بعضهم ببعض باتزان واعتدال دون شطط أو الغلو في التعاملات الاقتصادية ، مع تحريم دائم للنهب والسلب بشتى أشكاله : كالربا والسرقة ، وأكل مال الضعفاء كاليتيم والعاجز ، أو احتكار التجارة والأرزاق كل هذه الألوان حرمها الإسلام مع تركه الفرصة متاحة للمنافسة الشريفة على الصعيد الفردي ، والجماعي ، والفرصة الأكثر أتساعاً لإشاعة الفضل والكرم والجود ، والتقرب إلى الله بما ينفقه أصحاب الثراء على الفقراء المحتاجين ، وفي مصالح العباد من منفعة عامة، وفي سبيل الله كذلك.

وقام الاقتصاد الإسلامي على أصول وقواعد وتعاليم تنظم العلاقة بين البشر جميعاً فيما عليه صلاح الناس في معاشهم من ناحية ، وفيما يقربهم من خالقهم ، وهذه التعاليم تتضح لنا من خلال النقاط التالية :-

١- الحث على الإنفاق ، ووجوبه في ظروف الضرورة ، ومصالح المسلمين.

٢- إقرار وتنظيم المواريث حتى يتم تفتيت الثروة وعدم قصرها على أفراد بعينهم دون غيرهم فالمال كله لله ، والبشر مستخلفون في إنفاقه بما أمرهم بهم سبحانه.

٣- ضرورة تأمين ما يلزم لكل فرد من أوليات الطعام والشراب والملبس ... الخ

٤- منع وتحريم الجشع والاحتكار ، وكذلك السلب والنهب الذي يُعد محاربة لله ورسـوله ، وتحريم الربا كذلك ، وأكل أموال الناس بالباطل في أية صـورة وتحت أي مسمى كالرشوة والسرقة والغبن ، وما يؤخذ بسيف الحياء ، وجبروت السلطان ، وأصحاب النفوذ والجاه ، والمناصب التي لا يراعون فيها حرمة أو غضب الله.

٥- الحجـر على السفهاء الذين يفتكون بخيرات وأرزاق الأمة وتضيع في أيديهم بين العبث والقمار والفجور ، واللهو ، والترف الزائد عن الحد ، فـي حين أباح الإسلام الأخذ من مباهج ونعم الدنيا في الحدود اللائقة دون إسراف . قال تعالى : - " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق " ، وقال أيضاً : " ولا تسرفوا " ، وقال سبحانه : " ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ... ".

٦- الحـث علـى الاجـتهاد في طلب الرزق بالأوجه المشروعة مع إباحة الملكية الفردية.

وعلى الرغم من وضوح هذه الأسس والتعاليم الإسلامية لصلاح الاقتصاد في الـبلدان الإسـلامية فقد تمكن الاستعمار وعملاء الغرب من إدخال أنظمتهم ، وما اسـتحدثوه من أشكال وألوان مالية اقتصادية لتتسرب إلى اقتصادنا فتدمرها وتحل محل النظام المالي الذي شرّعه لنا رب السماوات والأرضين.

وباتت مشكلاتنا الاقتصادية تتضح آثارها فيما يلي :-

أولاً : أن المستعمرين قد وجهوا موارد البلدان الإسلامية نحو مصالحهم الخاصة ، وأغـرقوها بـرؤوس الأمـوال الأجنبية التي كانت ذريعة دائماً لاحتلالها واستثمار خيراتها ، وتدخلت الشركات الأجنبية لضرب الاقتصاد الإسلامي لإدارتـه فـي الاتجـاه الذي يخدم المصالح الاستعمارية مع فتح الأسواق

للمنتجات والمصنوعات الأجنبية فينتعش اقتصاد المستعمرين في حين يذبل ويضعف الاقتصاد الإسلامي.

ثانياً : توطين التجار الأوربيين ولا سيما اليهود منهم في البلدان الإسلامية لاحتكار التجارة الخارجية ، وأغلب التجارة الداخلية ، كما حدث في إندونيسيا وتركستان ، والجزائر ، والهند، وربما في مصر كذلك بدخول الصهاينة بأسماء مستعارة أو من خلال شركات دولية يمتلك اليهود أغلب أسهمها، وكذلك في البلدان الأفريقية مع توريط الأفراد والجماعات والبلدان في الربا الفاحش عن طريق القروض التي تثقل من كاهلهم فيقعوا بعد ذلك في قبضة المؤسسات الاستعمارية التي يديرونها لصالحهم مثل صندوق الدين والبنك الدولي وما أشبهه ، وينتهي الأمر إلى التدخل في الجوانب السياسية والدينية، والاجتماعية تدخلاً سافراً يحرم هذا البلدان من حريتها واستقلالها.

ثالثاً : احتكار ثروات العالم الإسلامي خاصة المعدنية منها وتركز اهتمامهم على البترول بشكل صارخ في نيجيريا و إندونيسيا وإيران والبلاد العربية.

رابعاً : محاربة الصناعة الوطنية من قبل الغرب حتى تستمر التبعية للبلدان الغربية فيما تنتجه ، وبالسعر الذي تفرضه والملاحظ في ذلك أن ما ينتجه الشرق الإسلامي يظل سعره منخفضاً في الأسواق العالمية ، بينما ترتفع أسعار المنتجات الأوربية والأمريكية عالمياً ، وسأضرب مثلاً على ذلك هو : أن سعر البرميل من البترول يتراوح بين ٢٠ ، ٣٠ دولاراً لأنه منتج شبه إسلامي ، وتمتلك الدول الإسلامية أكبر مخزون احتياطي منه في حين يبلغ سعر البرميل من الكوكاكولا الذي يأتي من الولايات المتحدة الأمريكية (ويستطيع الناس الاستغناء عنه) ما يقرب من ٣٠٠ دولار والفرق واضح

بين سعر البترول الذي هو سلعة استراتيجية يصعب الاستغناء عنها ، بينما المنـــتج الآخر الذي يحسن الاستغناء عنه يزيد عشرة إضعاف ، وهلم جرا للعديد من السلع الأخرى.

والحلـــول فـــي نظري لابد أن نكون جادين في العمل على انتعاش الاقتصاد الإسلامي بالسبل التالية :-

١- العودة إلى المنهج الإسلامي في التعاملات الاقتصادية دون أن نحيد عنها قيد أُنملة ، فلا نتعامل في المحرمات ، ولا نفتح المجال للربا الذي يمحقه الله ، ويرفع منه البركة.

٢- أن يكـــون اقتصــــاد وسوق وتسوق بلدان العالم موجهاً لما يخدم قضاياه المصيرية ، وما يصب في النهاية إلى مصالحه ومنافعه.

٣- إنعـــاش الـــتجارة البينـــية بين دول العالم الإسلامي لخدمة اقتصادياتها ، ومحاولة إنكار الذات عند بعض الدول التي تعتقد أنها أغنى من غيرها لأن نجاح الاقتصاد الإسلامي في الدول الفقيرة سيعود في النهاية بالنفع على الدول الغنية الميسورة إن عاجلاً أو آجلاً.

٤- إقامـــة الســـوق الإســـلامية المشتركة حتى يكون هناك انتعاش تجاري ، ودوران لحـــركة التصـــنيع التي تقضي على مشاكل البطالة ، وتسويق للمنتجات المحلية بالأسعار الحقيقة ، وبالتالي تظهر المنافسة المحمودة ، وتبدأ الأسواق العالمية الأخرى في التعامل مع السوق الإسلامي بمنطق الند والاحترام المتبادل ، والمنفعة المتبادلة بعيداً عن منطق المتعجرف الـــذي يحتكـــر و يتحكم في السوق والسعر والمنتج، وهذا هو ما يفعله الاقتصاد الغربي في أسواقنا.

٥- الـــتكامل فـــي الموارد المتاحة بين بلاد العالم الإسلامي فبعضها يحتاج لعمالــه ، والآخـــر يحتاج لأراضي زراعية ، وثالث لرؤوس أموال ، ورابع يمتلك إحداها ويفتقر للأخرى فيكون التكامل والاستفادة ، وهناك أمثلة شاهدناها :- حيث شاهدت في منطقة الصالحية بالعراق الفلاحين المصـــريين (١٠٠ ألـــف) قد أنتجوا ثماراً طيبة ، واستفادت مصر ، واستفادت العراق كثيراً من هذا التكامل المحدود الذي لو تم تعميمه في مناطق أخرى لعم النفع.

والمـــثال الآخـــر :- الاســـتثمارات الكويتية برؤوس الأموال في زراعـــة بعـــض أراضـــي شرق السودان التي كانت نتائجها في البداية مثمـــرة جداً وناجحة إضافة إلى الاستثمارات الضخمة التي شارك فيها الســـعوديون وبعض دول الخليج الأخرى في المشروع الزراعي الكبير في توشكى بجمهورية مصر العربية، وكان من بين المشاركين الأمير/ الولـــيد بـــن طـــلال ، وهـــناك أمثلة أخرى عديدة على إمكانية إنعاش الاقتصاد الإسلامي بطرق شتى لعل هذه أمثلة ناجحة يجب أن تُحتذى، وهلم جراً.

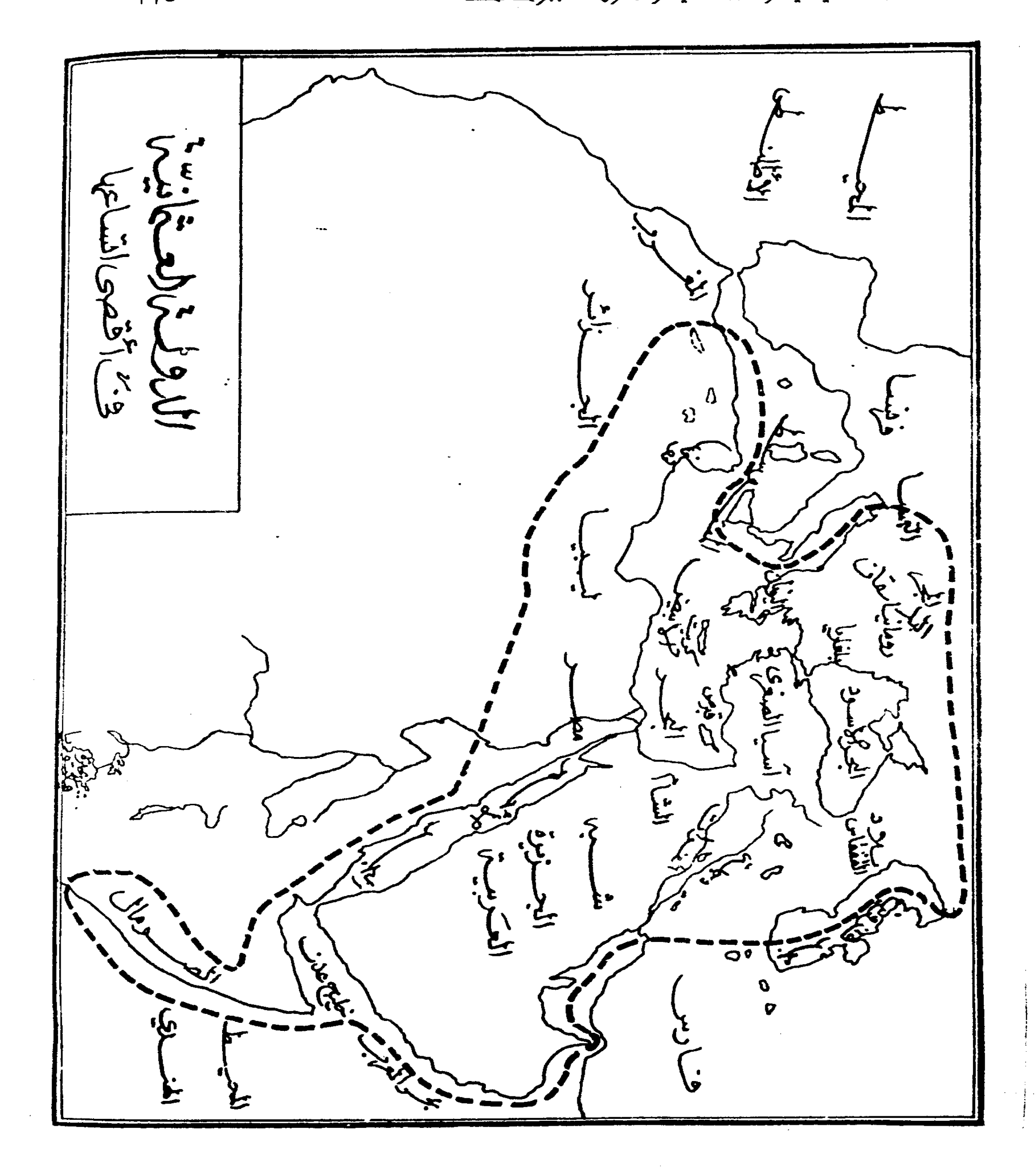
٦- رعايـــة الموهوبين والعلماء الجادين ، ومعهم المخترعين صغاراً وكباراً مـــع الإنفـــاق على مشاريعهم وأفكارهم بدلاً من انتفاع الغربيين بثمرة وخلاصـــة مـــا تجود به قرائحهم وتجاربهم ، فلدينا عقول لو ترك لها المجـــال وحصلت على العناية والمتابعة والإنفاق لأثمرت إنتاجا وفيراً وخيراً يعم كل أنحاء العالم الإسلامي.

وثمة كلمة أختتم بها هذا الفصل رؤية شاملة تصلح لحل الكثير من مشاكلنا السياسية والاقتصادية معاً :

وهـــي فكرة كنتُ قد عرضتُها على شاشة القناة الأولى السعودية في برنامج: "وجهــاً لــوجه"، وأقترحها على المجتمع وبلدان العالم الإسلامي وهي تتلخص فيما يلي:

أن نحـــاول تفعيل دور إحدى دول العالم الكبرى المؤثرة في السياسة الدولية (ألمانـــيا – الصـــين – فرنسا) وتقويتها اقتصادياً من خلال المساومة على قدراتنا الشـــرائية الكبيـــرة، وتكون هناك اتفاقية بموجبها أن نساعد اقتصادها ومصانعها، والأيـــدي العاملـــة فـــيها بما نشتريه من بضائعها الأمر الذي يقويها (ويفتح باب المنافسة على الظفر بورقتنا الرابحة هذه) في مقابل أن تتعهد هذه الدولة(المرشحة لصـــيرورتها عظمـــى) بالوقوف بجانب قضايانا السياسية المتروكة برمتها في يد القطـــب الـــواحد حتـــى يكون هناك توازن في القوى، ومراعاة لمصالح التكتلات الإسلامية بحيث أن يكون الاقتصاد موجهاً لما فيه الصالح، وما نستفيد منه بدلاً من قيامـــنا بهـــذا العمـــل (فتح أسواقنا مجاناً) لأعداء الأمة ، وهم مازالوا يحيكون لنا المؤامرات دون أن يقيموا لنا وزناً، ولابد أن نلعب بكل الأوراق المتاحة دون خجل أو جُبن ، وليكن ديدننا: **قول الرسول** (ﷺ) :

﴿ اطلبوا الحاجات بعزة الأنفس فإن قضاءها بيد الله ﴾


الدولة العثمانية
في أقصى اتساعها



الفصل الخامس

قضايا المسلمين المعاصرة
(آسيا وأفريقيا)

أولاً : قضية فلسطين.

ثانياً : قضية مسلمي الفليبين.

ثالثاً : قضية المسلمين في الهند.

رابعاً : قضية ومشكلة كشمير.

خامساً : المسلمون في الصين.

سادساً : المسلمون في الحبشة وإرتيريا.

القضايا الإسلامية المعاصرة : -

ظهـرت فـي السـنوات الأخيرة من النصف الأول للقرن العشرين مشاكل ابتدعها المستعمرون الغربيون أو ساعدوا عليها ، وأمدوها بما يبقيها بؤرة مشتعلة لإلهـاء العـالم الإسلامي بها ، وإضعافه من خلالها ، ولتقوية أعداء المسلمين في الـوقت نفسـه فقـد تخيروا لهذه البؤر أن تكون وسط التجمعات الكبرى للمسلمين فجـاءوا بالـيهود فـي وسط العالم العربي قرب الأتراك والفرس (إلي فلسطين) ، وابـتدعوا مشكلة **كشمير** وسط مسلمي الهند وباكستان ، ثم استحدثوا في السنوات الأخيرة وما قبلها مشكلة **أفغانستان** وسط الدول الإسلامية التي انفصلت عن روسيا وكـذلك سـاعدوا علي اشعال مشكلة أرتيريا وتدخلوا فيها ، والصومال ، ومسلمي الفليبـين ، وغيرها من المناطق التي جعلوها مشاكل إسلامية معاصرة ، وسنحاول فيما يلي إلقاء الضوء علي بعض هذه المشكلات.

أولاً : قضية فلسطين :

تعتبـر فلسطين واحدة من أجزاء الوطن العربي الذي مرت عليه ، واستقرت فـيه كثير من الدول التي تعاقبت على مر التاريخ ، وأصبحت هذه البلاد قبل سنة ٢٥٠٠ ق م. موطنا **للشعوب السامية** المهاجرة من شبه الجزيرة العربية[1] ، وباتت فلسطين تمثل سوريا الجنوبية ، دون انفصال عنها.

وفي سنة ١٣٠٠ ق . م نزح شعب يدعى الفلسطينيون من بحر إيجه استقر علـى الساحل الكنعاني (جنوب سوريا) ، وأخذت **أرض كنعان** اسم **فلسطين** من هذا الشعب المهاجر.

---

[1] الكنعانيون الذين تفرع منهم الفينيقيون ، وعاشوا علي طول الساحل السوري ، واشتهرت حضارتهم في حيفا وعكا.

وفـــي سنة ٥٠٠ ق . م نزح العبرانيون مع غيرهم من الشعوب السامية إلى جـنوب العراق مهاجرون أيضاً من شبه الجزيرة العربية ، ثم انطلقوا إلى سوريا التـــي لـــم يستقروا بها لصفاتهم الخسيسة حيث طردهم الكنعانيون فنزلوا مصر ، وأخرجهم منها **نبي الله موسى** – عليه السلام – حيث اتجهوا عبر سيناء إلى أرض فلسطين (**كنعان**) ، ولم يدخلها **موسى** لأنه توفى في الطريق قبيل القدس.

ومـــع ذلك فرغم إقامتهم قليلة الأثر في أرض كنعان (فلسطين) فقد حدث لهـــم أكثر من شتات أعظمه **البابلي** الأول و الثاني ، وقُطع دابرهم من فلسطين ، وآخر شتاتهم كان في الحرب الصليبية في القرن الحادي عشر الميلادي عندما دخل الصـــليبيون بـــيت المقدس والمدن الفلسطينية الأخرى فإنهم قد عمدوا إلى مساكن وحـــارات الـــيهود ، ولـــم يبقوا بها يهوديا واحداً على قيد الحياة ، خاصة بعد أن جمعوهم في الكنيس الخاص بهم ، وأضرموا فيه النيران بمن فيه من اليهود[١].

وقـــد زار الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي فلسطين سنة ١١٧٣ م وسجل ضمن مشاهداته : أنه رأى المدن الفلسطينية تكاد تخلو تماماً من اليهود[٢].

وفـــي العصـــر العثمانـــي اتخـــذ اليهود العالم الإسلامي خـــاصة البـــلاد العثمانـــية مأوى لهم وأماناً مستغلين روح التسامح الإسلامية بعيداً عن الاضطهاد الـــذي لاقوه في أوروبا ، وخاصة ما لاقاه يهود أسبانيا السفارديم بعد طردهم منها سنة ١٤٩٢ م[٣].

---

(١) د / سعد بدير الحلواني – اليهود في الحروب الصليبية وموقف صلاح الدين منهم – ص ١٤.

(٢) المرجع السابق- ص١٥

(3) Yale . William :The Near East . London 1958 p.145

ومـــع ذلـــك فقـــد ظلـــت أعدادهم بسيطة بجانب أعداد العرب طوال العصر العثمانـــي وحتـــى بدايات القرن العشرين ، فنجد أنهم لهم يتعدوا **الخمسة آلاف** في أثـــناء الحملـــة الفرنسية (١٧٩٩ م) مقابل ثلاثمائة ألف بنسبة ٢% من مجموع سكان فلسطين / ولم يتجاوز عددهم **العشرون ألفاً** سنة ١٨٨٠ م ، وفي سنة ١٩١٨ م بلغ عددهم ستة وخمسون **ألفاً** في مقابل ثلاثة أرباع المليون من العرب أي بنسبة ١٠% فقط[١].

الصهيونية العالمية وفلسطين :

تنسب الصهيونية Zionism إلى **صهيون** ، وهو أحد التلال (الجبال) التي تقـــوم علـــيها مديـــنة **القدس** منذ آلاف السنين حيث إنه اسم كنعاني ورد ذكره في التوراة و الإنجيل ، استخدمه مفكروا اليهود لإثارة الشعور الديني والعنصري في يهـــود العـــالم ، وركـــزوا دعايتهم هذه في القرن التاسع عشر (قرن الاستعمار الأوروبي) حيث أن هذه الفكرة قد تربّت على فراش الاستعمار الأوروبي.

وبـــناء علـــى ما انتشر في أوروبا من الدعوة إلى فكرة القوميات أخذ بعض المفكـــرين الـــيهود يطـــبقون هذه الفكرة أمثال : الحاخام يهوذا القالي (١٧٩٨ – ١٨٧٨) الذي نشر كتابه : " اسمعي يا إسرائيل " فألف كتابه " الدولة اليهودية " : Derjudenstaat سنة ١٨٩٦ م دعا فيه لإقامة دولة يهودية ذات سيادة دون تحديد للأرض التي يريدها ، وترك لليهود حرية اختيارها(٢) مع تفضيله فلسطين ، ومن أجـــل ذلك دعا إلى عقد مؤتمر صهيوني عالمي ، وبالفعل انعقد في بازل بسويسرا ٣١ أغســـطس ســـنة ١٨٩٧ ، وخرج بقرارات عملية لإنشاء وطن قومي للشعب

---

[1] Government of Palestine , Statisicat Abstract Palestine 1941 , P 12
[2] Taylor , Allon . Prelude to Israel . London . 1967 , p 3 - 4

الـــيهودي ، وإنشـــاء مؤسسات مصرفية ومكاتب لتنفيذ المآرب الصهيونية ، وبذل جهوداً خارقة للاتصال بالسلطان عبد الحميد الثاني(١).

ونجح بالفعل في مقابلته ثلاث مرات ، إلا أنه فشل في إقناعه للسماح بهجرة بعض اليهود إلى فلسطين في مقابل تسديد الديون العامة للدولة العثمانية(٢) ، ويقال أن اليهود حاولوا رشوة السلطان بمبلغ مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهباً(٣) ، وبفشـــل هرتـــزل مـــع العثمانيين اتجه بأفكاره ومحاولاته إلى الدول الاستعمارية الأوروبية ليحصل على تأييد لأفكاره في فلسطين.

وفشـــل أيضـــاً هرتـــزل مـــع إمبراطور ألمانيا ولهلم ، وكذلك مع فرنسا ، وبريطانيا ، ولذلك اقترح إقامة مستعمرات يهودية في فلسطين ، وبعد وفاته ١٨٧٨ فـــي فلســـطين اســـتطاع مجموعة من أتباعه شراء قطعة أرض ، وأنشأوا عليها مســـتعمرة زراعـــية للـــيهود هي مستعمرة : " بتاح تكفا " وبعدها ظهرت مؤلفات مفكريهم تدعو إلى فكرة الاستيطان مثل موسى هس (١٨٢١ – ١٩٨٥) Moses Hass فـــي كـــتابه " روما و القدس " وكاليشر في كتابه : "السعي إلي صهيون " نشـــر سنة ١٨٦٢ ،وليون بنسكر Leon Pinsicer (١٨٢١-١٨٩١) في كتابه : التحريـــر الذاتـــي ، وكان له دور في توحيد الجمعيات اليهودية في حركة واحدة سميت : " أحباء صهيون " سنة ١٨٨٧ م ، وقد حاولت الجمعيات اليهودية ولاسيما جمعـــية البيلو Bilus الحصول علي ترخيص من الدولة العثمانية لشراء الأراضي فـــي فلســـطين لإقامـــة مستعمرات يهودية عليها ، ولكن العثمانيون وعوا خطورة

---

(١) تولى عبد الحميد الثاني السلطة العثمانية في ١٢ من شعبان ١٨٧٦ م ، وتم خلعه في سنة ١٩٠٩ م
- انظر : دار الوثائق القومية – وثيقة رقم ١٤٠ – دفتر ٣١ عابدين – صادر ص ٢٥ تلغرافات- إرادة سنية إلى محافظ العريش – ١٣ من شعبان سنة ١٢٩٣ هـ .

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد- ترجمة/ محمد حرب عبد الحميد- دار الأنصار القاهرة- ١٩٧٨- ص٦٥

(٣) جريدة الأهرام – السنة ١٢٢ – العدد ٤٠٦٨٩ – ٢ مايو سة ١٩٩٨ م.

الأفكـــار الـــيهودية فأصدروا في سنة ١٨٨٢ قانوناً يمنع اليهود من الاستيطان في فلسطين(١).

وفـــي أواخر القرن التاسع عشر ظهر علي الساحة الدولية الزعيم الصهيوني الذي أسس المنظـــمـــة الصهيونية العالمـــيـــة وهو **تيودور هرتزل** Thaodor Herzel(١٨٦٠ – ١٩٠٤) الـــذي ولد في بودابست وعمل بالصحافة في فرنسا وفـــيها عاصـــر محاكمة دريفوس اليهودي ، وتأثر بها فبدأ يعرض لأفكاره وبدائل أخـــرى علـــى بريطانيا فاقترح على جوزيف تشمبرلين Joseph Chamberlain وزيـــر المستعمرات أن يسمح لليهود بالاستيطان في جزيرة **قبرص** ، إلا أنه رفض هذا المطلب ، ورفضت بريطانيا طلباً آخر لاستيطانهم في **العريش**(٢).

وبالنســـبة **للعريش** و سيناء فقد اتجهت بعثة يهودية بالفعل أوائل عام ١٩٠٣ إلـــى سيناء وانتهت في مارس من العام نفسه إلى أن المنطقة صالحة للاستعمار ، وأوصـــت بـــأن تكون العريش بداية المشروع الاستيطاني بشرط أن يُسمح لليهود بجلـــب المـــاء العـــذب مـــن نهر النيل ، ولما رفض كرومر توصيل المياه أهمل المشروع ككل.

ومحاولة أخرى قام بها المغامر اليهودي **بول فريدمان** الذي كان يبحث عن منطقة قليلة السكان لإعدادها مسرحاً لدولة يهودية ، ووقع اختياره علي أرض مدينة سيناء إلا أنه هو الآخر قد باءت محاولاته بالفشل(٣).

---

(١) د / إسماعيل احمد باغي – الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية – دار المريخ – القاهرة – ص ٣٦ وما بعدها.
- انظر : Taylor , Allon Prelude to Israel London . 1967 p . p 3 -2
(2) Taylor , A . PRELUDE TO ISRAEL , P . 8.
(٣) د / سعد بدير الحلواني – العلاقات – ص ١٠٤ ، ١٠٥

وبفشل مشروع العريش عرضت إنجلترا علي هرتزل بديلاً آخر وهو أوغندا وافـق علـيه هرتـزل ولكن زعماء الصهيونية انقسموا إلى معارضين وموافقين، وبـوفاة هرتـزل عام ١٩٠٤ ، ومعارضة وايزمان (الزعيم التالي لهرتزل الذي تمكـن مـن وعـد بالفـور عام ١٩١٧) تم إسقاط المشروع من حسابات اليهود الصهاينة.

وينص وعد بلفور المشؤوم (نوفمبر ١٩١٧) على ما يلي :

" أن حكومة جلالة الملكة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جلياً أنـه لـن يؤتـى بعمل من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية و الدينية التي تتمتع بها الطوائـف الغيـر يهودية المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق والوضع السياسي الـذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى "[1]. طبعاً هذا الوعد على طريقة من لا يملك يعطي لمن لا يستحق.

التنفيذ العملي لوعد بالفور :

في ١١ ديسمبر عام ١٩١٧ دخلت الجيوش البريطانية القدس بقيادة الجنرال اللنبـي Alenby الـذي أعلـن الأحكام العسكرية ، وبالتالي شكل إدارة عسكرية سيطرت عليها عناصر يهودية ، وقرر مجلس الحلفاء المنعقد في **سان ريمو** (٢٥ إبـريل عـام ١٩٢٠) وضع فلسطين تحت **الانتداب** ، وبالفعل عينت إدارة مدنية لإدارتهـا تحـت قـيادة أحـد زعماء الصهاينة الإنجليز هو : هربرت صموئيل Herbert Samual ، ومـن يـومها أخـذت بريطانيا علي نفسها مهمة الهجرة اليهودية . وتسهيل الاستيطان ، والتمكين لهم بتولي المناصب ، وتسهيل تسليحهم ، حتى إذا ترك الإنجليز البلاد تكون لليهود على حساب الفلسطينيين العرب.

---

[1] Hurewitz , J . C : Diplomacy in the near and Middle East . London 1962 , vol .2.p26

كمـــا تـــم إحـــياء اللغة العبرية التي ظلت من اللغات الميتة طوال العصر العثمانـــي. وقد جاء في المادة الثانية والعشرين من صك الانتداب البريطاني على فلســطين مـــا يلـــي نصه : " تكون الإنجليزية والعربية والعبرية اللغات الرسمية لفلسطين ، وكل عبارة أو كتابة بالعبرية يجب أن تكرر بالعربية " و ظل هذا الحال حتـــى قامـــت دولـــة إسرائيل عام ١٩٤٨ م حينئذ أصبحت اللغة العبرية هي اللغة الرسمية للدولة الجديدة[١].

المقاومة الفلسطينية للإنجليز واليهود :

شـــهدت الفتـــرة الواقعة بين إعلان وعد بلفور عام ١٩١٧ ، وإعلان دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ م عقد مؤتمرات مثل مؤتمر الشباب ، ومؤتمر اللجنة التنفيذية، والمؤتمـــر النســـائي ، والمؤتمر الوطني[٢] ومظاهرات ، واضطرابات ، وكذلك إصـــدار بـــيانات واحتجاجات وبعض الانتفاضات التي ذهبت أدراج الرياح ، كما تكونت أحزاب كحزب الاستقلال العربي عام ١٩٣٢ ، وحزب الدفاع الوطني عام ١٩٣٤ ، والحـــزب العربـــي الفلسطيني وحزب الإصلاح عام ١٩٣٥ . . . . الخ ،وحدثت في عام ١٩٣٣ انتفاضة فلسطينية راح ضحيتها ٢٦ شهيداً و ١٨٧ جريحاً فلســطينياً ، وقتل وجرح ٥٦ من رجال البوليس ، على أثر انعقاد المؤتمر الوطني الكبيـــر الـــذي أعلن فيه مقاطعة البضائع الإنجليزية و اليهودية[٣] واستمرت حالة الهـــيجان والفـــوران حتـــى ظهرت حركة الشيخ **عز الدين القسام** التي سنفرد لها الحديث التالي :

---

(١) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين – المجموعة الأولى (١٩١٥ – ١٩٤٦) - جامعة الدول العربية – إدارة فلسطين – الشعبة السياسية – القاهرة – ١٩٥٧ م – ص ١٢٨ وما بعدها.

(٢) وثائق المقاومة الفلسطينية العربية – مؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت – ١٩٦٨ – ص٣٠٥ - ٢١٧

(٣) وثائق المقاومة الفلسطينية ٣١٨ – ٣٢٠.

الشيخ عز الدين القسام :

ويعد الشيخ عز الدين القسام واحد من أبرز رجال المقاومة الوطنية في القرن العشرين ، وكان له أكبر الأثر في إذكاء وإشعال ثورة إسلامية على الغاصبين من اليهود ، ومن يحمونهم بعد أن كان الثبات مازال مسيطراً على الغالبية من الناس الذين اكتفوا بمظاهر الهتافات والاحتجاجات ، وإن زادت فتكون المظاهرات والاضطرابات.

وقد ولد الشيخ القسام في بلدة جبلة التابعة لقضاء **اللاذقية** عام ١٨٧١ م فهو سوري الأصل ونشأ نشأة علمية أدبية ، حيث بعثه أبوه (بعد الابتدائية) لتلقي العلوم الدينية والدنيوية **بالأزهر الشريف بمصر** ، فأخذ العلم ورجاحة العقل عن الشيخ الأمام **محمد عبده** ، وبعد عدة سنوات عاد إلى بلده ، وعكف على التدريس بمسجد السلطان إبراهيم بن أدهم ، وأخذ يبث فكر الجهاد في نفوس تلاميذه ، ثم اتجه للمجال العلمي لما يقول ، وانضم إلى جماعة **عمر البيطار** في جبل صهيون ، ثم مع **صالح العلي** في ثورته ضد الفرنسيين في شمال سوريا (١٩٢٠ – ١٩٢١) حتى حُكم عليه بالإعدام فلجأ إلى حيفا في فبراير ١٩٢٢، وعاش فيها مدرساً بجامع النصر ، وجامع الاستقلال ، كما أسس مدرسة ليلية لتعليم وتبصير الأميين.

وفي عام ١٩٢٦ تولي الشيخ رئاسة جمعية الشبان المسلمين بعد أن شارك في أعمالها فترة وعمل على توسعة علاقته بالناس ، حتى اهتدى إلى تكوين سرية ، وتبرع لها بكل ما يملك ، ومنذ عام ١٩٢٩ عمل مأذوناً شرعياً فاختلط أكثر بالناس وبدأ ينتقي رجاله في كتمان شديد برع فيه ، وأخذ يُعد رجاله لحمل أمانة الجهاد ضد المعتدين المغتصبين , فاستطاع بذلك أن يضع نواة من عرب فلسطين لتحمل مسئولية الثورة دربهم في رحلات ليلية بعيداً عن أعين أعدائه ، ودرّبهم تدريبات روحية فاكتمل في أصاحبه العقيدة الصحيحة وحب الوطن.

قســم **القســام** رجالــه إلــى خمــس لجان بتنظيم دقيق وهي : لجنة الدعوة (الإعــلام)، ولجــنة التدريب العسكري ، ولجنة التوعية ، ولجنة الرصد ، ولجنة الشئون الخارجية.

ثورة القسام(الشرارة الأولى للمقاومة) :

نظــراً لاقتصــار نشاط على شمال فلسطين فقد أرسل مندوباً من طرفه إلى الحاج / **أمين الحسيني** في جنوب فلسطين للاتفاق معه علي توحيد الكلمة ، وإعلان الثورة في وقت واحد ، ولكن المفتي (الحسيني) – كان علي ما يبدو ما زال عالقاً بالحــل الســلمي و السياســي فردّ : بأن الوقت لم يحن بعد لمثل هذا العمل ، وأن الجهود السياسية المبذولة تكفي لحصول عرب فلسطين على حقوقهم ، ولذلك يعتبر القسام أسبق الزعامات الفلسطينية في خوض مجال المقاومة ضد الصهاينة.

وإزاء الاســتفزازات الصــهيونية المســتمرة كانــت حركة القسام هي بداية الشــرارة الأولى للثورة عندما اشتبكت دورية حكومية إنجليزية في ١٤ من نوفمبر ١٩٣٥ م مع عدد من رجال القسام في بلدة يعبد ، ولقي أحد الجنود الإنجليز حتفه ، مما جعل سلطات الاحتلال تسارع بإرسال قوات ضخمة إلى المنطقة للقضاء علي الثوار ، وحدثت المعركة الغير متكافئة عند قرية الشيخ زايد ، واستشهد فيها الشيخ القائــد مع نفر من رجاله ، ضارباً للجميع المثل الأعلى في البطولة والفداء رافضاً الاستســلام ، ومن يومها يوم تشييع جنازته التي شاركت فيها أعداد مهولة سارت مســافة عشــرة كيلومترات شحنت فيها نفوس رجال بواسل حملوا الراية من بعده واعتبروا استشهاده قبس أشعل نيران الثورة الفلسطينية الكبرى.

ولذلك نلاحظ أنه بعد شـهـور قليلة ظهـرت الآثار في ثورة اسـتمرت من (١٩٣٦– ١٩٣٩م) كانـت بدايـتها قـيام المتظاهرين الفلسطينيين بقتل **سبعة من الـيهود**، وجـرح تسـع وعشـرين منهم ، ثم نظمت المقاومة علي طريقة حرب العصابات المسلحة في الشوارع ، قادها عدد من رجال وأتباع القسام ، واضطرت بـريطانيا على أعقابها أن تنقل قوات إضافية من مصر إلى فلسطين ، **ولولا تدخل الـزعماء العـرب** بعد أن وجهوا نداءاً إلى ثوار فلسطين لوقف عملياتهم **لكان لهم شـأن آخـر** صحيح أن العمليات استؤنفت ولكن ثبط النداء جزءاً كبيراً من عزيمة الكثيرين، وكان كذلك في صالح المغتصبين.

وفـي أعقـاب الحـرب العالمية الثانية انتقل الثقل اليهودي من بريطانيا إلى أمـريكا حـيث عرف اليهود إلى أي صوب يوجهون دفة سفينتهم ، بعد أن عقدوا مؤتمـراً لهم في **فندق بلتيمور** بالولايات المتحدة الأمريكية في الفترة من ٩ : ١١ مايـو عـام ١٩٤٢ م ، وخـرج المؤتمـر بثمـان قـرارات اعتبـرت البرنامج الرسمي للحركة الصهيونية ، وبات رؤساء أمريكا من يومها يستبقون في إرضاء الـيهود بالقـرارات والإجراءات التي تمكن لهم ، وكذلك فعلت الهيئات السياسية الأمـريكية [1] ، الأمـر الـذي جعل الصهاينة ينقلبون على أمهم بريطانيا بعد أن تكـونت المنظمات الإرهابية الصهيونية مثل : الهاجانا ، وشتيرن ، وأرجون زفاي ليومي ، وقامت بعمليات إرهابية للكثير من المصالح البريطانية بعد أن اطمأنوا إلى

---

[1] كما أرسلت الهيئات الدينية الأمريكية بعثات تنصيرية عملت في فلسطين و نشطت منذ العشرينات من القرن العشرين، فافتتحت لها دوراً ، وأقامت كنائس في حبرون ، وبيت جالا ، وعين كارم كان يديرها مركز للإرسالية التنصيرية في بيت المقدس ، وهذا المركز كان يهدد البلاد المحيطة بأعماله و يحاول إرسال بعض العناصر إليها نظراً لسهولة عبور الحدود بين الدول العربية المختلفة.
انظر الوثائق الأمريكية وثائق وزارة الخارجية : see 39 of – 11630 for 1642 from . jerusalen Heizer
Date Feb 13 – 1928.

وقـوف كـل الهيـئات الأمريكية بجانبهم ، الأمر الذي شجع اليهود إلى اتخاذ كل التدابيـر لإعلان دولتهم المشئومة في فلسطين ، وبالفعل تم إعلانها في اليوم نفسه الذي أعلنت فيه بريطانيا انتهاء انتدابها على فلسطين ١٤ مايو ١٩٤٨ م(١).

ولهـذا السبب اشتعلت حرب ١٩٤٨ م بين العرب و الصهاينة حيث أصر الملـك عـبد الله بـن الحسين بن علي (ملك الأردن وقتذاك) على قيادة الجيوش العربية في الوقت الذي كان يقود فيه جيشه الضابط الإنجليزي جلوب الذي تخلى عن اللد و الرملة (متعمداً) لليهود ، وانتهت الحرب بنكبة كبيرة في بداية ١٩٤٩م حـيث شـرد بسـببها وعلى إثرها أصحاب البلاد الفلسطينيين (٢) وانتقلت القضية برمتها من علي التراب الفلسطيني إلي أدراج الأمم المتحدة بأرقام وألوان باهتة لا لوان لها ولا طعم .

وقـد عرضـت جامعـة الدول العربية اقتراحاً بأن تتولى هي حكم المناطق الفلسـطينية التي سيطرت عليها الجيوش العربية ، إلا أن الملك عبد الله رفض ذلك في الوقت الذي كانت فيه إنجلترا تؤازره وشجعته علي ضم الأراضي الأردنية مع الـبقايا الفلسطينية ، كما رفض عبد الله أيضا اقتراحاً للجامعة العربية بشأن تدويل مدينة القدس علي الرغم من أن عصبة الأمم المتحدة قد أقرت هذا الاقتراح ووافقت عليه.

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في :
وثائق المقاومة الفلسطينية – ص٣١٨ وما بعدها
و : مذكرات مفتي فلسكين – جريدة أخبار اليوم المصرية – الأعداد ١٩٥٧/١٠/٥ ، ١٠/١٢
و : عبد الله التل – كارثة فلسطين – القاهرة – ١٩٥٩ – ص٥٠ وما بعدها
و : د / إسماعيل باعي - الجذور التاريخية – ص ١٠١ وما بعدها

(2) Aqil hyder , hasan Abidi : jordon Apolitical study 1948 –1957 , india 1965 . P.134

وكانت مفاجأة هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ م للعرب كالصاعقة إذ احتلت إسرائيل علي أثرها سيناء والجولان وغزة والضفة الغربية [١] وعمد الصهاينة في الفترات التالية التي شملت النصف الثاني من القرن العشرين الي بسط سيطرتهم الإعلامية علي المجتمعات الغربية لقلب الحقائق وإعداد العالم لتقبل فكرة أحقية اليهود المزعومة في الأراضي الفلسطينية علي الرغم من وضوح الرؤية وضحد أباطيلهم تاريخيا وعلي الواقع .

إلا أن الإعلام الإسلامي كان مقصراً إلى حد كبير في مواجهة الإعلام الصهيوني الذي اتخذ من الولايات المتحدة الأمريكية مركزاً وسلطة يبث منها ما شاء، وقد نجح الصهاينة في هذا الجانب نجاحاً منقطع النظير في حين انشغل المسلمون في قضاياهم الداخلية ، و فيما بينهم ، عن متابعة السيطرة الصهيونية علي العقل العالمي بالإعلام ، والمال ، والتغلغل المستمر في العديد من دول العالم المؤثرة على صنع القرار .

حتى أن الاتجاهات الحديثة في شتى المجالات هي صناعة يهودية صهيونية **كالعولمة ، وتصنيف الإرهاب الدولي ، ومن قبله الأصولية** ، وإضعاف دور الهيئات الدولية مع زيادة هيمنة الأمريكان عليها ، وعلى القرار الأممى كل ذلك يُعد في نظرى صناعة صهيونية استغلوها لخدمة أهدافهم ليس في السيطرة فقط على فلسطين كلها ، ولا على العالم العربي من النيل إلى الفرات – كما زعم بعض

---

[١] اتخذ مجلس الأمن رقم (٢٤٢) بانسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلوها في الصراع الأخير حسب النص الفرنسي، بينما جاء في النص الإنجليزي المعتمد أراضي حتى يتمسك الأوغاد بأن يكون الانسحاب بعضها وليس كله.

المفكرين – بل للسيطرة على العالم ككل و حكمه في النهاية بحاكم صهيوني يهودي على صورة ملك أو رئيس أو امبراطور (كما تقول بذلك مخططاتهم التي سطروها في : بروتوكولات حكماء صهيون).

ولــذلك لم يكن من السهل على الإسرائيليين هزيمتهم هزيمة منكرة في **حرب رمضـــان ســـنة ١٩٧٣** م علـــى الرغم من إمداد الأمريكان لهم بالمال و السلاح المتطور عبر جسر جوي أدى في النهاية إلى ما عُرف بثغرة الدفرسوار ، وتوالت من يومها الاجتماعات و الاتفاقات الي انتهت بزيارة الرئيس المصري **محمد أنور السادات** للقدس في ٩ ذي الحجة سنة ١٣٩٧هــ / ١٩٧٧م .

وفي العام التالي ١٩٧٨ م كان مؤتمر كامب ديفيد الذي اشترك فيه كارتر الرئيس الأمريكي ، ومناحم بيجن – رئيس الوزراء الإسرائيلي والسادات حيث وقع الجميع على وثيقة كامب ديفيد التي اشتملت على يلي : –

الوثيقة الأولى : إطار السلام في الشرق الأوسط :

(أ) الضفة الغربية وغزة :

– ينبغي أن تشترك مصر وإسرائيل و الأردن و ممثلو الشعب الفلسطيني في المفاوضـــات الخاصـــة بحل المشكلة الفلسطينية بكل جوانبها ولتحقيق هذا الهـــدف فإن المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وغزة ينبغي أن تتم على مراحل ثلاث :–

١) تتفق مصر وإسرائيل على إقامـــة حكم ذاتي لســـكان الضـــفة الغربـــية وغزة.

٢) تتفق مصر و إسرائيل و الأردن على وسائل إقامة الحكم الذاتي المنتخبة فـــي الضفة الغربية و غزة ، وسيتم انسحاب قوات إسرائيلية ، وستكون هناك إعادة توزيع للقوات الإسرائيلية التي ستبقى في مواقع أمن معينة.

٣) ســتبدأ الفترة الانتقالية ذات الخمس سنوات عندما تقوم سلطة حكم ذاتي فـــي الضـــفة الغـــربية و غزة كما ستجرى المفاوضات لتحديد الوضع النهائي ، للضفة الغربية ، وغزة ولإبرام معاهدة سلام بين إسرائيل و الأردن في نهاية الفترة الانتقالية.

(ب) <u>مصر وإسرائيل :</u>

١- تـتعهد مصـــر وإسرائيل بعدم اللجوء للتهديد بالقوة أو استخدامها لتسوية النزاعات ، وإن أي نزاعات تتم تسويتها بالطرق السلمية لما نصّت عليه المادة ٢٣ من ميثاق الأمم المتحدة.

٢- توافق الأطراف من أجل تحقيق السلام فيما بينهم على التفاوض بإخلاص بهـدف توقـيع معاهـدة السلام بينهم خلال ثلاثة شهور من توقيع هذا الإطـار ، بيـنما تتم دعوة الأطراف الأخرى في النزاع للتقدم في الوقت نفســه للـتفاوض ، وإبـرام معاهدة سلام مماثلة وأن إطار إبرام معاهدة الســلام بـين مصر وإسرائيل سيحكم مفاوضات السلام بينهما ، وستتفق الأطـراف على التشكيلات و الجدول الزمني أو تنفيذ إلتزاماتهم في ظل المعاهدة.

٣- على الموقعين أن يقيموا فيما بينهم علاقات طبيعية كتلك القائمة بين الدول التـــي هي في حالة سلام ، ويجب أن تشتمل الخطوات التي تتخذ في هذا الشأن على :

أ - اعتراف شامل.

ب- إلغاء المقاطعات الاقتصادية .

٤- تنسحب القوات الإسرائيلية من سيناء على مراحل خلال ثلاث سنوات على أن تبقى مجردة من السلاح.

٥- وضع قوات دولية بين الطرفين على الجانب المصري.

الوثيقة الثانية :

فـــي ١٩٧٩/٣/٢٦ م وقع الرئيس المصري ، ومناحم بيجن و جيمي كارتر معاهــدة الســلام المصرية الإسرائيلية في البيت الأبيض ، وقد ألقى كل منهم كلمة بهــذه المناســبة وأسقط السادات الفقرات التي تتعلق بحقوق الشعب الفلسطيني من خطابه المعد مسبقاً بهذه المناسبة وأهم ما شملته المعاهدة : ـــ

١- تنتهي حالة الحرب بين الطرفين ويقام السلام بينهما عند تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة.

٢- تسحب إسرائيل قواتها المسلحة إلى ما وراء حدود مصر الدولية على مراحل.

٣- تتمركـــز قـــوات دولية في المناطق المحدودة ولا تنسحب إلا بقرار من مجلس الأمن أو موافقة الطرفين.

٤- إقامة العلاقات الطبيعية بينهما و يتضمن ذلك : الاعتراف الكامل ،و العلاقات الدبلوماســية والاقتصـــادية والثقافية ، وإنهاء المقاطعة الاقتصادية و الحواجز المفروضة على الأفراد والسلع.

٥- تتمـــتع الســـفن الإسرائيلية الشحنات المتجهة منها وإليها بحق المرور في قناة السويس و مداخلها.

٦- يعتبـــر الطـــرفان أن مضيق تيران و خليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكل الدول.

٧- يتعهد الطرفان بعدم الدخول في أي التزام يتعارض مع هذه الاتفاقية.

٨- يقرر الطرفان بأنه في حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأي من التزامها فإن الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة ونافذة.

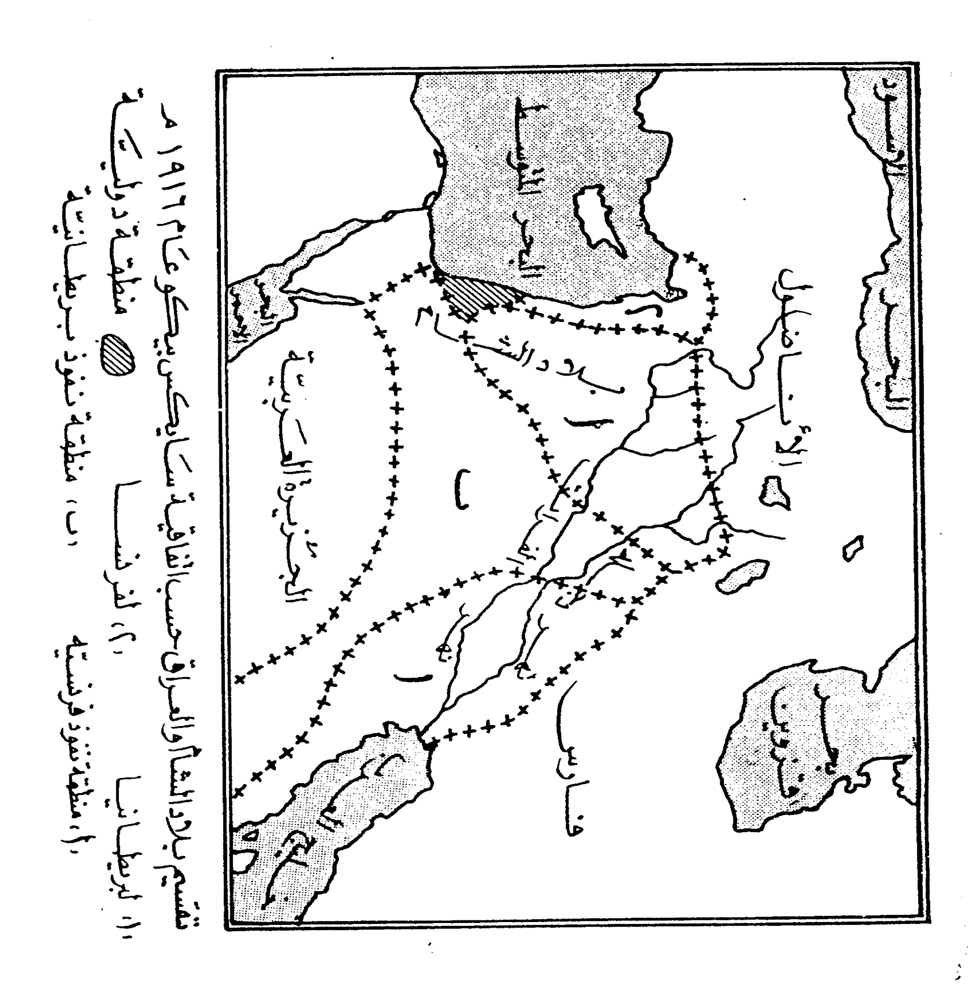
وعلى الرغم من تحقيق مصر لمكاسب عديدة في هذا الشأن فقد كان لإسرائيل ربـــح ، وحرية أكثر في التعامل حيث أطلقت أيديها تعبث بالمنطقة وبفلسطين دون رادع يردعها عن الظلم وبناء المستوطنات على الأراضي الفلسطينية[١] ، والبطش بأبـــناء البلاد الوطنيين ، ونفي من ترغب منهم للخارج ، إضافة إلى ازدياد نشاط التجســس الإســـرائيلي وتـــدخلهم في بعض نواحي الحياة عن طريق التطبيع الذي ســـاعدت علـــيه العديـــد مـــن المؤسسات الأمريكية ، ناهيك عن محاولات إدخال المخـــدرات لتدميـــر الاقتصـــاد والشباب العربي ، رغم الكره الجماهيري العربي للتعامل أو التطبيع مع الإسرائيليين.

ومما يؤسف له أن العالم العربي والإسلامي قد ترك شباب وأطفال الانتفاضة وحدهم أمام آلة الحرب الرهيبة التي يستخدمها الإسرائيليون يؤازرهم الأمريكان ، و الإنجليـــز ، و غيـــرهم بأحدث الأسلحة ليس هذا فحسب بل بالمواقف السياسية أيضاً، والله ناصر جنده ولو كره الكافرون.

****

---

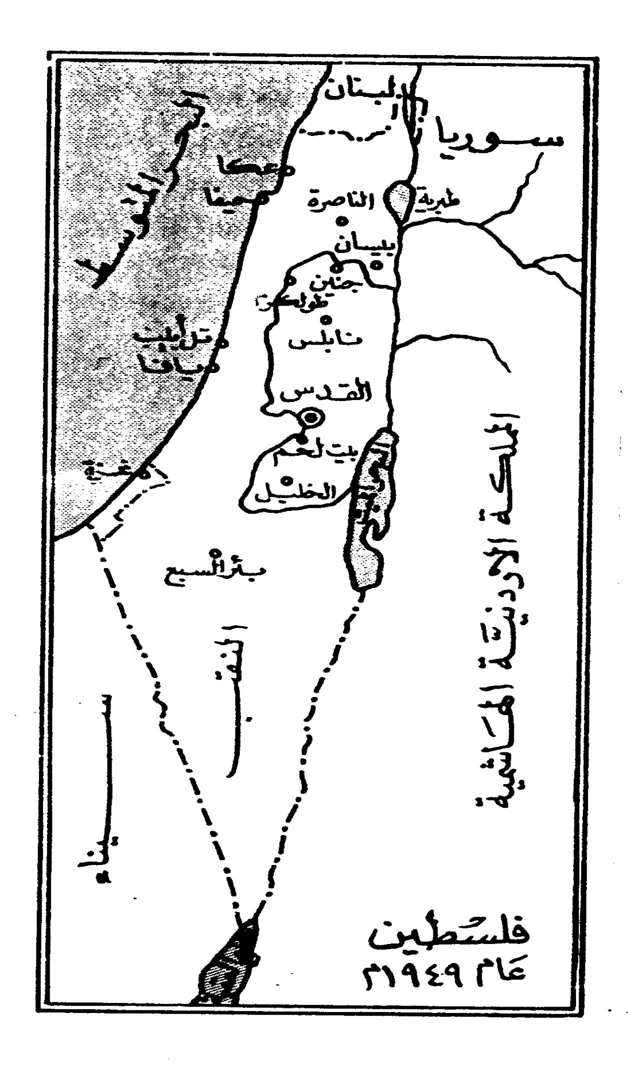
(١) هذه المستوطنات تبنيها إسرائيل لاستيعاب المهاجرين الجدد الذين تجلبهم من شتى أنحاء العالم حتى بلغ اليهود في فلسطين حسب إحصائية ١٩٩٢ م ما يزيد عن الخمسة ملايين يهودي ، في حين تمنع حق العودة لأصحاب البلاد الفلسطينيين.
انظر : جريدة المسلمون – العدد ٤٢٢ – ١٢ من رمضان سنة ١٤١٣ هـ / ٥ مارس سنة ١٩٩٣ م.



تقسيم بلاد الشام والعراق حسب اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦ م

(١) لبريطانيا (٢) لفرنسا منطقة دولية

(أ) منطقة نفوذ فرنسية (ب) منطقة نفوذ بريطانية


لبنان
سوريا
عكا
حيفا
الناصرة
طبرية
بيسان
جنين
طولكرم
نابلس
تل أبيب
يافا
القدس
بيت لحم
الخليل
غزة
بئر السبع
النقب
سيناء
المملكة الأردنية الهاشمية
فلسطين
عام ١٩٤٩م

ثانياً : قضية مسلمي الفليبين :

يشـكل المسلمون بالفليبين حسب إحصائية ١٩٨٤ م ما يربو على ثمن سكان الـبلاد إذ بلغ تعدادهم سبعة ملايين نسمة من أصل ٥٦ مليون هم تعداد الفليبين ، وفـي تعـداد آخر للمسلمين يزيد العدد فيبلغ **ثمانية ملايين بنسبة ٢٢%** ، وأهل الفليبين عامة يتحدثون بأكثر من ٧٨ لغة أكثرها ذيوعاً لغة التالوج التي تنتشر في مانيلا " العاصمة " وما حولها ، وأما المسلمون بخاصة فتنتشر بينهم لغتان يعرفان باسـم لغة مورو ، وعندهم الإنجليزية تليها اللغة العربية إلا أن اللغة الرسمية هي الإنجليزية.

وتـتكون الفليبـين مـن مجموعة جزر تبلغ ٧١٠٠ جزيرة منتشرة في مياه المحـيط الهـادي ، وتقـع في أقصى شرقي آسيا بين الجزر الإندونيسية والجزر اليابانية ، وتنقسم الجزر الفليبينية ثلاثة أقسام : ـ

الأولى : تمثل جزيرة لوزون وما حولها المنطقة الشمالية من البلاد ، وأشهر مدنها العاصمة : مانيلا ، ويعيش في هذه المنطقة النصارى بكثرة و الوثنيون.

الثانـية : جزيـرة مـندناو ومـا حولها وهي المنطقة الجنوبية التي يتركز فيها المسلمون

إضافة إلى جزر بالاون وصولو ، واليوم يطلق عليها اسم : " مورو الإسلامية ".

الثالثة : جزيرة فيساياس وما حولها ، وهي المنطقة الوسطى ، وأشهر مدنها سيبو.

وتبلغ مساحة البلاد (الجزر) حوالي ٣٠٠ ألف كم٢ **تشمل أرض المورو** الإسـلامية مـنها ٣٨% ، وهـي امتداد لجزر إندونيسيا في المنطقة التي تتعرض لهزات أرضية و ثورات بركانية.

أما الحرفة الرئيسية فهي الزراعة ، تليها تربية الدواجن و الحيوانات ثم صيد السمك حيث يُعد البحر مصدراً من مصادر الدخل للفليبين[1] .

وصول الإسلام إلى الفليبين :

يــبدو أن الإســلام قد انتشر بالبلاد في حدود القرن الثامن الهجري على يد الــتجار والــدعاة المسلمين ، إلا أن بدايته هناك ربما كانت مع القرن الثالث حيث اتخــذ طــريقه ببطء إلى بلاد و جزر الفليبين عن طريق العرب مباشرة و الهنود الذين أسلموا مبكراً وحملوا إسلامهم إلى المحيطين بهم في الملايو وسومطرة وجاوة وبورنيو و الفليبين (عذراء ماليزيا).

وفي القرن العاشر الهجري كان المسلمون قد تمكنوا من تكوين إمارات شملت أكثــر الجزر الفليبينية ، و من هذه الإمارات : إمارة الشريف أبي بكر في صولو ســنة ٨٥٤ هــ / ١٤٥٠ م وإمارة الشريف محمد بي علي الملقب بزين العابدين في مندناو سنة ٩٠٦ هــ ، التي سميت إمارة ماجيندناو ، وهناك أيضاً إمارة مانيلا ، وبالإضــافة إلــى عدة إمارات إسلامية صغيرة تابعة للسابقة ، وبعضها منفصل عنها.

إلا أن وصــول المستعمرين الأسبان والبرتغال إلى المحيط الهندي ، والهادي ابتداءً من القرن السادس عشر قد أدت إلى نتائج وخيمة بعد الكشوف التي ادعوها، وهــي عــبارة عــن محاولة التفاف حول العالم الإسلامي ، ولا سيما بعد وصول مــاجلان إلــى عذراء ماليزيا (جزر الفليبين) سنة ٩٢٣ هــ / ١٥٢١ م حيث اصطدم هناك بالمسلمين ، واضطر الأسبان إلى إرسال أربع حملات للسيطرة على البلاد إلا أن المسلمين قد أبادوهم عن آخرهم.

---

[1] لوثروب ستودارد – حاضر العالم الإسلامي – ص٣٥٩.

ومــع ذلك لم ييئس الأسبان فأرسلوا قوة كبيرة تمكنت في النهاية من احتلال مانيلا ، وبدأوا يبنون المستوطنات التي نافست المسلمين هناك ، وشيئاً فشيئاً تمكن الأســبان مــن إضــعاف قوة المسلمين في البلاد ، كما فعلوا الشيء نفسه في بلاد الأندلس بشبه الجزيرة الأيبيرية بعد حرب ضروس بين الجانبين على مسح أرض الفليبين استغرقت ٣٠٠ عام تقريباً.

وعلــى الرغم من أن الأوروبيين قد تمكنوا من عزل المسلمين في الجنوب ، إلا أنهم قد استقلوا بإمارتي صولو ، وماجندناو يحافظون علي عقيدتهم وحضارتهم الإســلامية ، وفــي عام ١٩٠٠ م / ١٣١٨ هـــ اضطرت أسبانيا إلى بيع الفليبين للأمــريكان نظير مبلغ ٢٠٠ مليون دولار (من لا يملك يبيع لمن لا يستحق) بعد هزيمة الأسبان أمام الأمريكان في المياه الفليبينية ، وبذلك سيطرت الولايات المتحدة الأمريكية على البلاد حيث أعلنت حرباً ضروساً على المسلمين استمرت ٣٨ عاماً دون أن ينالوا منهم فشن الأمريكان حرب الجرائم التي قــتل فيها آلاف المسلميــن (٢٠٠ ألف) حسب تقرير لجنة تافت.

وفــي السنوات الثلاث السابقة على استقلال الفليبين احتل اليابانيون المناطق الإســلامية مــن الفليبيــين سنة ١٩٤٣ فلم يكونوا أقل ضراوة من سابقيهم ، ولكن المقاومــة اســتمرت حتــى انــتهاء الحرب العالمية الثانية وحصول الفليبين على استقلالها سنة ١٩٤٦م ، على أن تسلم البلاد لحكومة نصرانية يرأسها أحد الكاثوليك المتشــددين ، ممــا اضطر المسلمين إلى مواصلة جهادهم مرة ثانية ولا سيما بعد صدور قرار ضم جنوب الفليبين الإسلامي إلى الحكومة الجديدة ، ومما يجدر ذكره أن المســلمــين كانــــوا يمــثلون نسبة ٥٥% قبل وصول الأسبان تناقص علي أيديهم إلى ٤٠% ، وتناقص علي يد الأمريكيين إلى ٣٢% ، وعلي أيدي اليابانيين إلى ما يقرب من ١٧%.

أما على صعيد العمل السياسي فقد كوَّن المسلمون جمعيات عديدة مثل :

١- جمعية المسلمين الفليبينية في مدينة مانيلا سنة ١٣١٥ هـ .

٢- جمعية إقامة الإسلام في مدينة ماداوي سنة ١٣٥٥ هـ .

٣- جمعية أنصار ، وتقدم الإسلام ، وهداية الإسلام ، وجمعية مسلمي صولو ، وغيرها.[١]

وعلى الرغم مما يعانيه المسلمون في الفليبين فقد نشطت المعاهد والمدارس الإسلامية التي رعاها الأزهر ، ورابطة العالم الإسلامي ، وبعض الجهات الخيرية التي أسهمت في تقديم المساعدات التعليمية المختلفة هناك لخدمة مئات المدارس الابتدائية و المتوسطة بالإضافة إلى عشر مدارس ثانوية ، وست كليات ضمن جامعة إسلامية تحاول الحكومة بكل قوتها أن تضمها حيث أنها تدار بجهود ذاتية ، ومن بين هذه المؤسسات التعليمية : —

١- معهد مندناو العربي الإسلامي الذي تتبعه ٣١٦ مدرسة.

٢- معهد ماداواي الإسلامي و تتبعه ٥٢ مدرسة.

٣- كلية فكاسم بمدينة مداراوي وهذه تتبعها مجموعة من المعاهد كما تقدم تعليماً لروادها باللغة العربية.

٤- جامعة الفليبين الإسلامية ، وكانت تسمى معهد كامل الإسلام. ولها فروع في العديد من المدن.

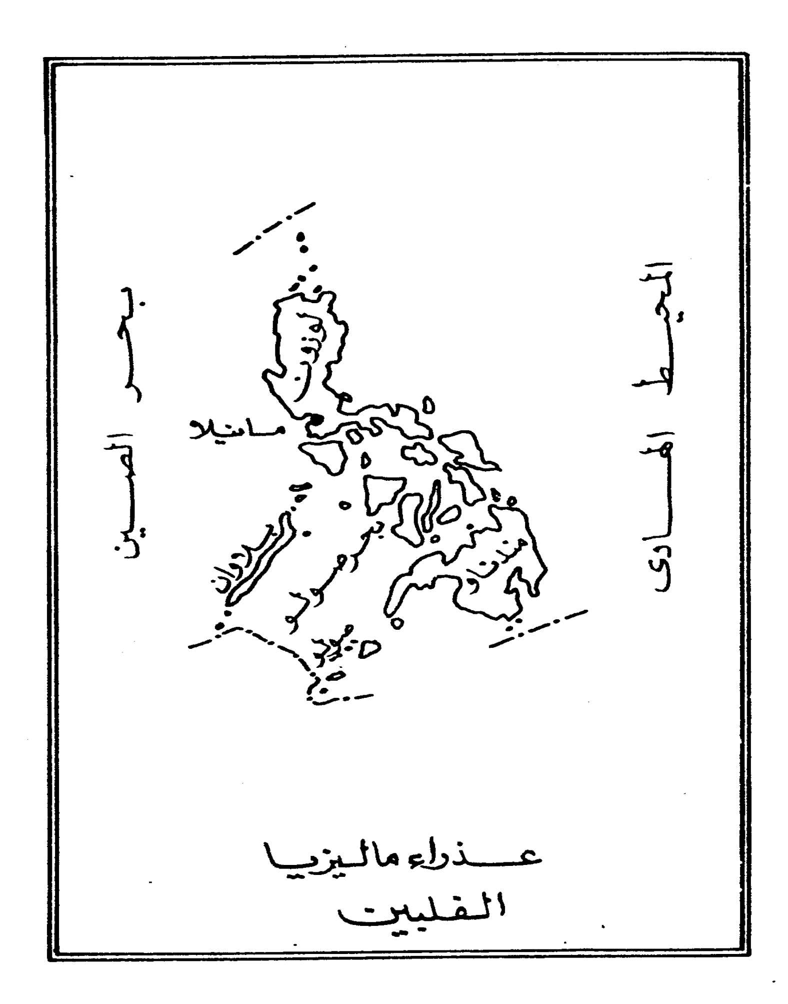
٥- مركز الملك فيصل للدراسات العربية والإسلامية ، وهو ضمن جامعة مندناو ، ويتبع مركز الملك فيصل مدرسة تجريبية لتعليم اللغة العربية.

أما عن عدد المساجد في الفليبين فيبلغ ٢٥٠٠ مسجداً ، وهناك استمرارية في التواصل مع العالم الإسلامي على الرغم من العقبات التي يثيرها الغرب وبعض السلطات الحكومية في طريق هذا التواصل. **والله المستعان.**

****

---

[١] د/ داود علي الفاعوري – حاضر العالم الإسلامي – دار الفكر – ط ١ – عمان الأردن – ١٩٨٩ م – ص٢٨٩ وما بعدها.
وانظر : د/جميل المصري – مرجع سابق – ص٣٥٩ وما بعدها.


بحر الصين
المحيط الهادي
لوزون
مانيلا
بلاوان
بحر صولو
منداناو
عذراء ماليزيا
الفلبين

ثالثاً : قضية المسلمين في الهند :

تمهيد تاريخي :

وصـــل الإســـلام مبكـــراً إلى الهند خاصة إلى كشمير التي هي واحدة من الأقالـــيم الإســـلامية الهامة افتتحها السلطان محمود بن سبكتكين سنة ١٠١٦ م[١] / ٤٠٧ هـــ ، وضمها إلى حوزة المسلمين ، كما ضم العديد من الممالك و المناطق الهندية خاصة في دهلي ، ولاهور والبنجاب وغيرها.

وقامـــت العديد من الدول المسلمة في الهند حتى بدا الإنجليز يتسللون إلى شبه القارة الهندية ابتداءاً من ١٠٠٩ هــ / ١٦٠٠ م عن طريق التجارة ، البعثات الحكومـــية التـــي تحمل رسائل إلى ملوك وأمراء الهند فقد وصل إلى البلاد التابعة للدولة المغولية الإسلامية بالهند ولـــيم هوكنز سنة ١٦٠٨ م حاملاً رسالة من الملك الإنجليزي جيمس الأول.

وقـــد ظل مندوب الملك الإنجليزي عامين يحاول مقابلة السلطان جهانكيز دون أن يصـــل إلى نتيجة رغم تضرعه بالحصول على رد فقط يحمله إلى إنجلترا فرد الوزير الأول لجهانكيز قائلاً : ــ " إنه مما لا يناسب قدر ملك مغولي مسلم أن يكـــتب كتاباً إلى سيد جزيرة[٢] صغيرة يسكنها صيادون " ، وبعد عدة سنوات أخذ تســـلل الإنجليز يزداد مع غفلة السلاطين والأمراء حتى جاءت شركة الهند الشرقية بأمـــوالها و رجالهـــا و مخططاتها الاستعمارية تنشئ المراكز ، وتقيم المصانع ، وتستغل الخلافات المحلية لصالحها على طريقة المستعمر " فرق تسد " .

---

(١) يذكر شكيب أرسلان أن محمود فتح كشمير سنة ١٠٢١ م ، ويُعد محمود بن سبكتكين هذا الفاتح الأعظم حيث حقق انتصارات عديدة فاضلة على أهل الهند وجاهد لينشر الإسلام في تلك البلاد مترامية الأطراف.
انظر التفاصيل – لوثروب – حاضر العالم الإسلامي – جـ ٤ – ص٢٨٨ ، ٢٨٩.

(٢) يقصد ملك إنجلترا.

وكان النصر الأكبر للإنجليز عندما مرض السلطان فروخ سيار فأشرف على علاجـــه طبيب إنجليزي يدعى **هاملتون** ، فكانت مكافأته إعفاء البضائع الإنجليزية مـــن التفتـــيش و الضرائب ، وإهداء الإنجليز ٣٨ قرية حول ميناء كلكتا ، فتحول الإنجليـــز فـــي حيـــنها من التجارة إلى السيطرة والهيمنة شيئاً فشيئاً متآمرين مع الهندوس والسيخ ضد المسلمين أسياد البلاد الهندية المسيطرين عليها.

وتوالت البعثات التنصيرية على بلدان الهند تحت حماية الإنجليز الذين كونوا جيوشـــاً هندية إنجليزية لمحاربة المسلمين ، والحصول على ما في أيديهم من جاه وسلطان و ممتلكات.

وظهرت محاولات وطنية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لإصلاح العلاقـــات بـــين الإنجليـــز والمسلمين في الهند لمصلحة الإنجليز **قادها أحمد خان** كسياســـي مسلم فأسس **جامعة عليكرة** بمساعدة الإنجليز ،وشاطره في نشاطه بعض المسلمين أمثال أغاخان عمد كلاهما إلى توجيه المسلمين إلى مجالات الثقافة والعلوم الحديـــثة ، وتعلم اللغات الأجنبية ، مع انحراف عن الجانب الديني في أحيان كثيرة بحـــس وطني فقط دون العناية بالجانب الإسلامي اللذان يمثلانه ، وظهرت بأفكار أحمد خان رؤى شخصية أشرنا لبعضها عن ثوابت العقيدة الإسلامية.

إلا أن ما استحدث في مجال السياسية الهندية المحلية هو مطالبتهما بانفصال الأمتـــين الهندوسية والإسلامية ، وأن ذلك أمر حتمي إن عاجلاً أو آجلا ، وبدأت الفكرة تتسع بين المفكرين المسلمين يساعدهم في ذلك آخرون من المفكرين الإنجليز أمـــثال **فويلفـــريد بلنت** الكاتب الإنجليزي الشهير الذي اقترح في كلكتا (بعد جولة واسعة بالهند) سنة ١٨٨٣ م / ١٣٠١ هـ أن توضع جميع البلدان الجنوبية الهندية تحـــت سيطرة الهندوس ، بينما تضم المناطق الشمالية كل المسلمين الذين يعيشون فـــي شبه القارة الهندية ، على أن تبقى سيطرة القوات الإنجليزية على كل الأقاليم الهندية.

وفـي نهايـة القرن التاسع عشر سنة ١٨٩٣ تم تأسيس " ندوة العلماء " التي أعلـنت دعوتها لكل الملتزمين المؤمنين بالانضمام للندوة التي بدأت تقيم مؤسسات تابعة لها مثل دار العلوم التي أنشئت سنة ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م ، وظهرت كذلك جمعيات إسلامية أخرى لمقاطعة مدارس الإرساليات التنصيرية ومعاهدها.

وممـن قادوا الأمة الإسلامية في الهند حينئذ أيضاً الشاعر محمد إقبال الذي بلـغ أقصى درجات الفهم والوعي لما يحاك ضد المسلمين هناك ، فبدأ يوقظ الناس مـن غفلتهم على الرغم من دراسته في المدارس الغربية حيث درس في كمبردج ، وحصـل علـى الدكتوراه ، ثم ترك لقلمه نشر دولوين عديدة بالفارسية و الأردية داعـياً إلـى الصحوة واليقظة في مواجهة المستعمرين ومن في خندقهم من أبناء البلاد.

وظهـر آخـرون أمـثال : أبـو الكلام أزاد ، وظفر الله خان ، ثم قفز إلى الزعامة الإسلامية محمد علي جناح سنة ١٩٣٦ م / ١٣٥٥ هـ الذي تربى تربية غـربية ، فاتخـذ وسـيلته الحفلات والمؤتمرات على الطريقة العصرية الغربية ، وطالب هو ومن انضم لفكره بتقسيم الهند : هند إسلامية وأخرى هندوسية حيث كان لـذلك صـدى واسع لأنه كان قد انتخب زعيماً للرابطة الإسلامية لعموم الهند سنة ١٩٣٨ م / ١٣٥٧ هـ .

وتـم صـياغة قرار بإنشاء الدولة الإسلامية (باكستان) في مؤتمر لاهور ١٩٤٠ م – ١٣٥٩ هـ واستمرت المجادلات بين مؤيدي التقسيم من جهة ، وبين المطالبين بهند موحدة. حتى تم التقسيم سنة ١٩٤٧ م / ١٣٦٧ هـ .

كـان قـرار التقسيم قد تم التلاعب فيه ، وأحكم الخناق فيه على المسلمين إذ تكـون الجانب الإسلامي من شقين تفصلهما مسافة شاسعة من أرض الهندوس تبلغ ٢٠٠٠كم^2 وليس بينهما اتصال سوى عن طريق البحر على مسافة ٤٨٠٠ كم^2

الشــــق الأول : شرقي وهو البنغال (بنجلاديش) عدد سكانه ٤٢ مليون نسمة ومساحته ١٤٢٧٧٦ كم٢ .

الشـق الثانــي : غربي يشمل ولايات الحدود الشمالية الغربية وبلوخستان والسند والبــنجاب الغربــي ، وكان عدد سكانه ٣٣ مليون نسمة على مساحة ٨٠٣ ألف كم٢ .

بيــنما يظل ما يقرب من خمسين مليوناً[1] من المسلمين في أرض هندوستان (الهند) ولا أود التعرض لمدى الغبن والقتل والتنكيل الذي أصاب المسلمين على يد الهــندوس فــي عملية الانفصال الذي حدث بين الجانبين لأنه كثير ولا جدوى منه الآن، وقد كتب فيه العديد من المؤرخين[2]

والــذي يهمنا في مجال الدراسة هو ما حدث في عملية التقسيم التي أفرزت مشكلة كشمير من بين المشكلات التي ما زالت عالقة بين الجانبين المسلم والهندوس في كل من باكستان و الهند.

فقــد وضع الإنجليز طريقة انضمام الولايات لأي من الجانبين الباكستاني أو الهــندي بخبث يؤدي إلى ظلم المسلمين والإضرار بهم أيما ضرر ، وتم تسوية أمر كــل الــولايات مــا عدا أربع منها هي : كبورتهلة ، وجوناكده ، وهما صغيرتان اســتخدمت الهــند معهما البطش والشدة حتى أرغمتهما على الانضمام للهند ، بينما كانــت الثالــثة : **حيدرأباد الدكن** عبارة عما يشبه دولة كبيرة بمساحة شاسعة ٢٢٠ ألــف كــم٢ ، وعدد سكانها ٢٠ مليون نسمة ، واختار أميرها المسلم الانضمام إلى باكســتان ، إلا أن الهند اقتحمتها بحجج واهية وضمتها بالقوة ، بينما بقيت كشمير القضية الشائكة دون حل ، ومصدر نزاع مستمر بين الجارتين الهند ، وباكستان.

---

(١) هذا العدد كان وقت التقسيم سنة ١٩٤٧ م ، بينما بلغ العدد في الوقت الحاضر حسب إحصائية سنة ١٩٩٧ م ما يزيد عن مائة مليون مسلم يقيمون بالهند الآن. ومع ذلك هناك من يذكر أن عدد المسلمين يصل إلى ١٤% من عدد سكان الهند البالغ مليار نسمة فيكون عدد المسلمين حوالي ١٤٠ مليون مسلم.
انظر : محمد عتريس – معجم بلدان العالم – ص ١٢٦ .

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر : د / جميل عبد الله المصري – حاضر العالم الإسلامي – ص ٣٩٢ وما بعدها.

رابعاً : قضية ومشكلة كشمير :

تقع مقاطعة كشمير على الحدود العديد من الدول الكبرى فهي متاخمة لخمس منها هي : الصين ، والهند ، وباكستان ، وأفغانستان ، ودول الاتحاد السوفيتي السابق ، وتبلغ مساحتها ٢١٨ ألف كم[٢] يسكنها عشرة ملايين نسمة أو يزيدون يتعدى نسبة المسلمين فيها ٨٠% ، والباقي من السيخ والهندوس والبوذيين.

تمتاز التضاريس فيها بأنها جبلية يتخللها سهلان أو واديان أحدهما وادي جامو ، والآخر وادي كشمير ، ومناخها بارد بها أنهار عديدة ومجموعة من الغابات ، وأكبر الأنهار بها : نهر السند ، جليم ، جناب تنساب هذه الأنهار في باكستان وتروي نسبة كبيرة من أراضيها ، كما تمتاز بجمال المناظر الطبيعية بها ، والفواكه والخضراوات المتنوعة ، كما أن بها ثروة طبيعية من الأخشاب ، ويعد الماعز الكشميري الذي يربى بكثرة هناك من أهم الأنواع عالمياً نظراً لصوفه الثمين المتميز.

وقد ظهر في كشمير مجموعة من القادة الأعلام الذين جاهدوا ضد المستعمر الإنجليزي ، والهندوسي على حد سواء كان من بين هؤلاء القادة الزعماء الشاعر الكشميري الدكتور / **محمد إقبال** الذي بعث روح الجهاد والإيمان في نفوس مواطنيه ، وآزره الشيخ / محمد عبد الله الملقب **بأسد كشمير** ، وغيرها.

وعندما أعلن قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ م / ١٣٦٧ هـ تلكأ حاكم مقاطعة كشمير **هري سنغ** في إعلان انضمامه لباكستان نظراً لهندوسيته ، وحقداً علي المسلمين ، وما لبث أن اتخذ مجموعة من الإجراءات بمساعدة الهند للسيطرة علي المنطقة التي ثارت ، ونشب النزاع بين الكشميريين وقوات حاكمهم التي يؤآزرها

الهـــنود ، إلا أن المســـلمين قد طردوا حاكمهم الذي فر من العاصمة سيرينكر إلى جمـــو ، ومـــنها أرسل بطلب النجدة من الهند معلناً انضمامه إليها فاهتبلت الأخيرة الفرصة وأرسلت قواتها للسيطرة علي المقاطعة الكشميرية.

وأمام النزاع بين الدولتين الهند وباكستان حاول المجتمع الدولي الضخم التدخل لحـــل المشـــكلة إلا أن الـــدول الكبرى كانت منحازة تماماً للهنود لإضعاف جانب باكستان، رغم اتخاذ قرار استفتاء الشعب الكشميري على رغبته في الانضمام ، إلا أن هذا الاستفتاء لم ير النور نظراً لتعنت الهنود.

وانتهى هذا الفصل الدرامي بظهور ما يسمى كشمير الحرة (آزاد كشمير)

علـــى مساحة تبلغ ٤٠% من المساحة الأصلية للمقاطعة ، وعاصمتها مظفر آبـــاد بجـــيش وحكومة محلية ماعدا أربع وزارات تتبع الحكومة الباكستانية إدارياً متمثلة في وزارة المالية والمواصلات والدفاع والخارجية ، بينما ظل ما يقرب من ٦٠% مـــن مساحة كشمير تحت حكم الاحتلال الهندي يعاني و تعاني معه باكستان من مشاكل عديدة.

وفـــي أول انـــتخابات حرة في تاريخ كشمير الإسلامية الحرة انتخب الشيخ **سردار عبد القيوم** في سنة ١٩٧٠ م رئيساً لها.

ونظراً لفكر **ذو الفقار علي بوتو** الاشتراكي فقد عمد عبد القيوم إلى أن ينأي ببلاده (آزاد كشمير) عن هذا الفكر فاتخذ الإجراءات التالية : ـــ

١ـــ أصدر فتوى بتكفير جماعة القاديانية – التي سبق الإشارة إليها.

٢ـــ تطبيق الحدود في مرتكبي الكبائر.

٣ـ إنشاء المدارس والمكتبات الإسلامية و المساجد.

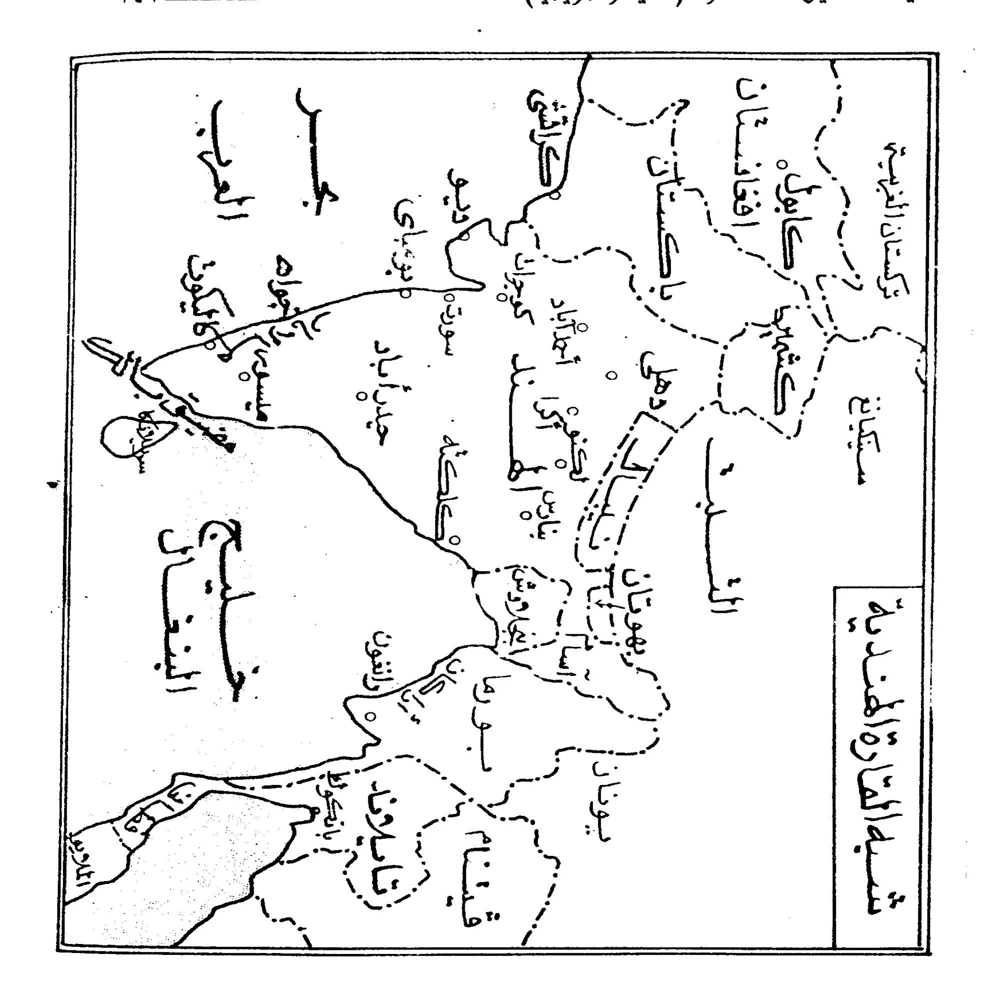
٤ـ إنشاء محطتين إذاعتين للبرامج الإسلامية المركزة[١] .

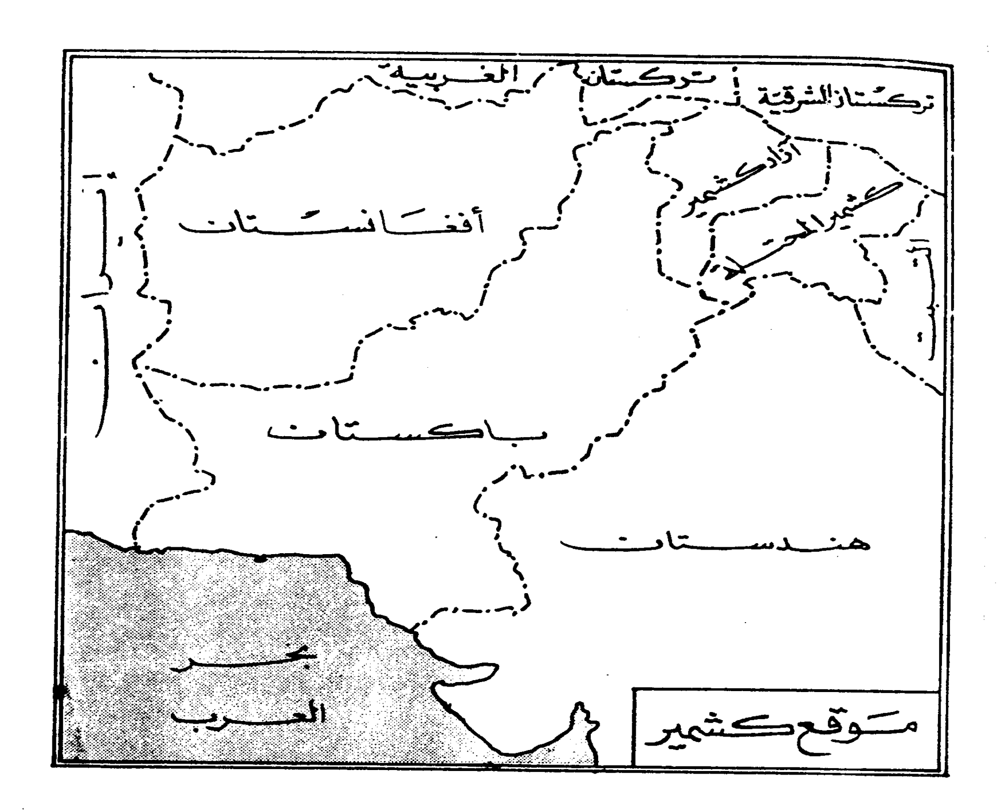
٥ـ تدريس اللغة العربية في كل المراحل التعليمية من الابتدائية إلى الجامعة.

وبين الحين والآخر تبرز إلى ساحة شبه القارة الهندية مواجهات بين الجارتين الهند وباكستان بسبب قضية كشمير على وجه الخصوص ، وما يقوم به الغرب من إشعال نار الفتنة بينهما ، وبما يقدمه هذا الغرب والأمريكان كذلك من تسليح للجانبين حتى يظل الاثنان معاً في سباق مستمر على التسلح فتضيع مصالح البلدين ، ولا تقوم لهما قائمة ، ولا سيما بعدما امتلك الجانبين الهندي والباكستاني الأسلحة النووية الموجهة ضد بعضهما البعض.

****

[١] د/ جميل المصري – مرجع سابق – ص ٤٠٧ وما بعدها.
وانظر د/ داود الفاعوري – مرجع سابق – ص ٢٠٨ ، ٢٠٩.


شبه القارة الهندية
تركستان الروسية
سنكيانغ
كابول
أفغانستان
باكستان
كشمير
كراتشي
دلهي
التبت
نيبال
بهوتان
بورما
سيام
كلكتة
حيدر أباد
بحر العرب
خليج البنغال
سيلان


تركستان الغربية
تركستان الشرقية
آزاد كشمير
أفغانستان
باكستان
هندستان
بحر العرب
موقع كشمير

خامساً : المسلمون في الصين :

يقطـــن مسلمو الصين في الوقت الحالي بالولايات الغربية والشمالية ، وكذلك فـــي ولاية يوننان التي تقع بالجنوب ، ويبلغ عددهم بالصين أكثر من سبعين مليوناً مـــن المســـلمين[١] الـــذين تتحسن أحوالهم ويتقدمون بل ويزدادون باطراد ، وتعد أحـــوالهم المعيشية والمادية إجمالاً حالة متوسطة ، إلا أن مستواهم العلمي بالنسبة لأهل الصين عموماً فهم في المقام الأول الممتاز.

ومن اللافت للنظر في الصين أن المسلمين هناك مستقلون في شؤونهم الدينية معتصـــمون بإســـلامهم ، وبالصـــلاة ، وبالصيام ، وزواجهم الإسلامي فيما بينهم وعـــبادتهم ،ومعاملتهم ، وكذلك تقاليدهم الإسلامية ، فهم لا يأكلون الخنزير ، ولا يشربون الخمر ، والنكاح محصور بالمسلمين والمسلمات.

كما أنهم يتعايشون مع غيرهم من الطوائف الأخرى في ود وألفة دون كراهية مـــن أحـــد لهـــم فهم وطنيون بكل معنى الكلمة ، ويعيشون مع الآخرين في وفاق واحترام متبادل.

أمـــا الجانب العلمي الديني فإن علماء الدين الصينيين المسلمين فهم يقرؤون القـــرآن بالعربية ، وكذلك العلوم الدينية من فقه وحديث وتفسير ...الخ ويفهمونها باللغة العربية دون إمكانية التحدث بها.

وقـــد أنشـــأ المسلمون بالصين مساجد كثيرة بما يجمعونه من أموال ، وبكل مســـجد مدرسة ابتدائية ، أما المدارس الثانوية والعالية فهي إلى حد ما تعد قليلة ، وفـــي بكـــين تـــوجد مدرسة المعلمين الإسلامية تتألف من ٦ صفوف ابتدائية و ٦ صفوف ثانوية ، وهم يتعلمون (بالإضافة إليها) في مدارس الحكومة العادية.

---

(١) ربما يتخطى عددهم الآن رقم المائة مليون مسلم فهم يشكلون نسبة ١٠% من السكان.

أما الصلاة فيقيمونها بواسطة الآذان غير أن مآذنهم غير مرتفعة ، ويتوضؤن بالماء الساخن ، مع ملاحظة عنايتهم الشديدة بالنظافة ، وأكثرهم يعملون في مجالين هما : التجارة والزراعة.

وهناك مجال آخر برع فيه المسلمون بسبب أنهم أهل نجدة وشجاعة ، وهم رجال حرب وقتال ، فقد التحق العديد منهم بالجيش ، وصار الكثير منهم **قواداً وجنرالات كبار** ، **وحكاماً للولايات** كذلك ، فقد كان (علي سبيل المثال) الجنرال / **عماد الدين ماحوي كوي** حاكماً لولاية **كانصو** ، وتحت إمرته جيش مؤلف من خمسين ألفاً من المسلمين الصينيين ، كما كان الجنرال / ماشن جن حاكم ولاية شنغاي – كوكونور – فان يقود جيشاً مؤلفاً من ثلاثين ألفاً من الجنود المسلمين ، والجنرال ماخوبين حاكم ولاية ننغشاي فإن جيشه كان يتألف من عشرة آلاف جندي مسلم صيني ، وغيرهم.

وليس في دستور الصين ما يمنع أن يكون الرئيس مسلماً ، أما الوزارات ففيها وزراء مسلمون حيث كان محمد ماتو شيان وزيراً لمنغوليا ، وكان وزير المعارف مسلماً كذلك واسمه ماجنغ وو[١]

---

[١] لوثروب ستوداود – حاضر العالم الإسلامي – م ٢ – ص ٢٨٣ وما بعدها. وهناك آخرون تقلدوا مناص قيادية ساعدتهم علي نشر الإسلام و تثبيته في بعض الولايات الصينية مثل : شمس الدين عمر (مسين يانغ) الذي اشتهر **بالسيد الأجل** ، فقد ولاه الإمبراطور الصيني أوغوناي (٦٢٨ –٦٤٠ هـ) (١٢٣٠ – ١٢٤٢) م ثلاث ولايات هي : فونغ وتسينغ و يون ناي ، وتولى بعدها منصباً كبيراً في بكين العاصمة ، ثم مديراً لست نظارات ، ثم تولى نظارة الاستخبارات ، وحصل على رتبة الوزارة ، وبعدها ولاية يونان التي كانت خراباً فأصلح شأنها ، وأصبحت بلاد خيرات كثيرة ونشر فيها الإسلام وجاء أحفاده علي النسق نفسه فحصل أحدهم سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م على اعتراف من الإمبراطور بأن **الإسلام هو الدين الحق الخالص** واحتفظ الإسلام هناك بهذا الوصف حتى قيام الشيوعية في الصين. ومن المسلمين القادة هناك كذلك القائد جين هو (تشنج هو) المسلم الصيني من ولاية يونان الذي كان قائداً لأساطيل الصين ، وأوفده إمبراطور الصين على رأس ٣٧ ألف بحار إلى جزر الهند الشرقية وسواحل الهند الجنوبية وكان ممن اعتنوا بنشر الإسلام ، وأسلم على يديه الكثيرون من أهل الصين.

وتبلغ نسبة المسلمين في الصين ما يقرب من ١٠% من السكان ينتشرون في منطقة التركستان الشرقية (موطن الترك الأصلي في وسط آسيا) ويطلق عليها الصينيون اسم سينكيا نغ أي المقاطعة الجديدة ، ومساحتها ١,٧١٠,٠٠٠كم٢ ، ويخترقها طريق الحرير التجاري القديم ، وتحتوي علي الفحم والبترول واليورانيوم والرصاص و غيره ، وموقعها تجاري هام.

أمـــا عن الاتصالات الإسلامية بالصين فيذكر أنها كانت مبكرة جداً ذلك في عهد عثمان بن عفان عندما أرسل إمبراطور الصين سفيراً له إلى الدولة الإسلامية، فاستقبله عــثمان استقبالاً طيباً ، وأوفد معه في عودته أحد القادة العرب لمرافقة السـفير فـي عودته سنة ٦٥١ هـ حيث استقبل الإمبراطور القائد العربي وأكرم وفادته.

وفــي عهـد الوليد بن عبد الملك (٧٠٥- ٧١٥) م (٨٦ – ٩٦) هـ نجح القائـد العربي الشهير / قتيبة بن مسلم الباهلي (الذي ولاه الخليفة على خراسان) فــي عــبور نهــر ســيحون ، وفي سلسلة حملات وفتوحات ناجحة في بخاري و سـمرقند، ومضـــى بعدها إلى الحدود الشرقية للامبراطورية الصينية ، كما أرسل قتيــبة رسلاً إلى الامبراطور الصيني سنة ٧١٣ م فصرفهم بعد أن حملهم بالهدايا الثمينة(١)

وعــندما فتح قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٩٦ هـ / ٧١٤ م مناطق الحدود ، ومــنها قــام بمراسلة ملك الصين ، فصارت جزءاً عزيزاً من ديار المسلمين حيث كانت حاضرتها **كاشغر** من المراكز الهامة التي أنجبت علماء مشاهير مثل / سديد الدين كاشغري ، ومحمود كاشغري في عصر الدولة العباسية بعد أن انتشرت فيها اللغة العربية.

---

(١) ارنولد – سير توماس – الدعوة إلى الإسلام – ٣٣٢.

وانتشـــر المسلمون كذلك في كانسو التي يبلغ عدد سكانها ١٣ مليون نسمة ، ٨٠٪ منهم مسلمون ، وهم من الأويجور المغول حفدة جنكيز خان ، ويطلق عليهم الصينيون اسم : هواي هو ، إلا أنهم يفضلون اسم كياومن الذي يعني : أهل الدين.

كمـــا يـــوجد المســـلمون بالصـــين في عدة أماكن أخرى مثل : نينج هيا ، وستشـــوان، ويونان ، وشي ، وشانسي ، وغيرها ، إلا أنهم يتواجدون في غير ما تقدم بنسب أقل وأعداد قليلة.

وتصل أعداد المساجد في الصين إلى أكثر من ٤٠ ألف مسجد حسب إحصاء سنة ١٣٥٤ هـــ / ١٩٣٥ م بالإضافة إلى مساجد أخرى كثيرة بالتركستان الشرقية.

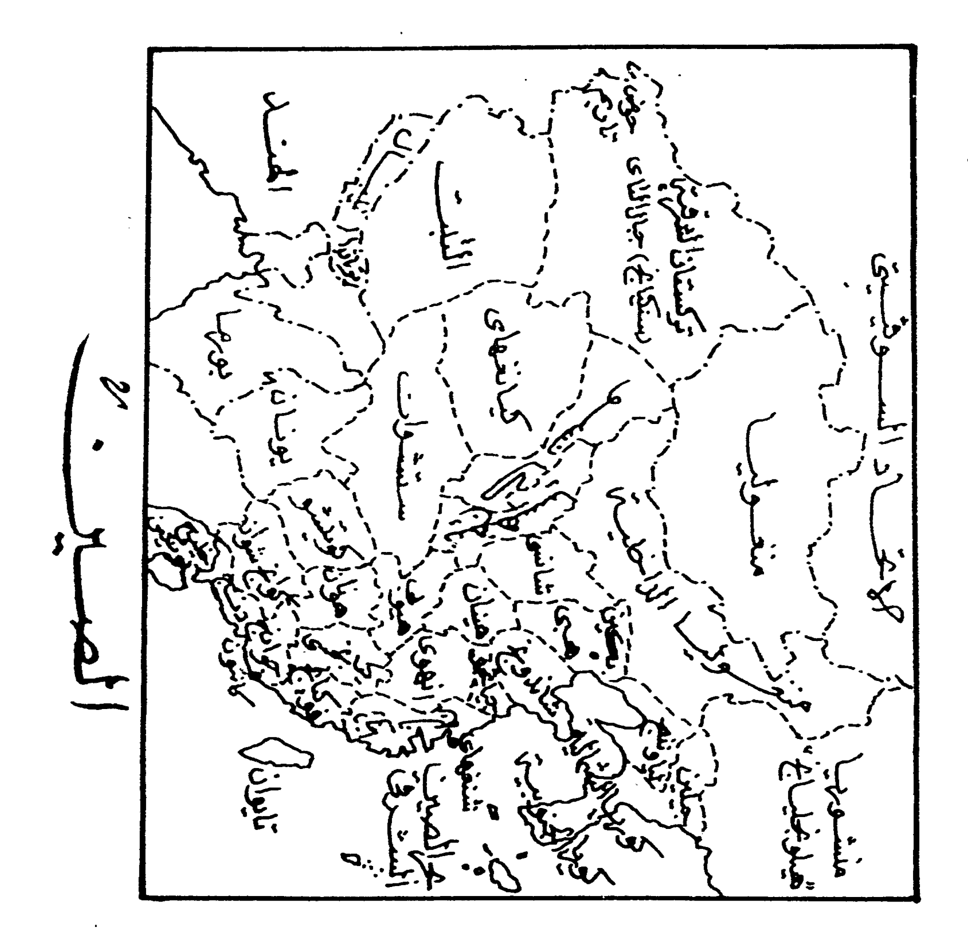
ومنذ وفاة ماو ، وحدوث صراع على السلطة انتهى بسحق ما سمى بعصابة الأربعة بدأ المسلمون عهداً جديداً بعد مرحلة عصيبة عانوا منها كثيراً ٠ خاصة في العهد الشيوعي) ، وبدأت الحكومات الصينية تتقرب للمسلمين بعودة فتح المساجد ، وإقامـــة العـــبادات والمؤتمـــرات الإسلامية ، وفتح باب الحج ، وممارسة الشعائر الإسلامية بشكل أفضل من ذي قبل.

كما حاولت الحكومة ابتداءاً من سنة ١٩٨٧ م كسب ود المسلمين فأعفتهم من قوانين تحديد النسل فسمحت لهم بحرية الإنجاب تلبية لرغباتهم في تركستان ، وفي غضـــون ســـت ســـنوات تمكن المسلمون من إنشاء ستة آلاف مسجد في تركستان وحدها ، وانتشرت مدارس تعليم القرآن الكريم[١] و الله متم نوره.

****

---

(١) د/ جميل المصري – مرجع سابق – ص ٥٥٧ وما بعدها.



سادساً : المسلمون في الحبشة وإريتريا :

تعد منطقة القرن الأفريقي[١] من المناطق الاستراتيجية الهامة حيث المكان الذي يلتقي عنده **البحر الأحمر بالمحيط الهندي** لأنه يشبه الرأس ، ويشكل البر عنده مثلثاً متكاملاً.

وقد وصل الإسلام إلى المنطقة مبكراً في عهد النبي (ص) في الهجرتين الأولى والثانية ،ولا يعقل أن يمر بالطريق ذهاباً و عودة ، وإقامة بالحبشة مجموعة كبيرة من الصحابة الكرام دون أن يتأثر بهم أبناء الحبشة وما حولها ، فقد آمن نجاشي الحبشة ، وآثر أن يكتم إسلامه لظروف بلاده ، ويُذكر أن عشرين نفراً من أهالي الحبشة قد ذهبوا إلى المدينة لإعلان إسلامهم في أواخر عهد **النبي صلى الله عليه وسلم** ، وبالتأكيد كان خلفهم أعداد أخرى منعتهم ظروفهم من الذهاب إلى الأراضي الحجازية.

وقد انتشر الإسلام في البلاد بعد ذلك عن طريق الدعوة المباشرة بواسطة الدعاة ، والتجار ، وهجرة العرب المسلمين ، وما نجم عن ذلك من تزاوج واختلاط بالسكان المحليين.

ويزيد عدد سكان أثيوبيا عن خمسين مليوناً من البشر[٢] الذين ينتسب بعضهم إلى العرب المهاجرين إليها ، والبعض الآخر إلى الجنس الزنجي الذين جاءوا إليها من وسط أفريقيا ، وقد أضيف إلى أثيوبيا بعض المناطق الإسلامية مثل : إريتريا (قبل استقلالها) ، وهرر ، وبالي ، وسيدامو.

---

(١) تشمل منطقة القرن الأفريقي جيبوتي ، والصومال ، وكينيا ، وأثيوبيا ، إريتريا.

(٢) يذكر أن عدد سكان أثيوبيا بلغ في سنة ٢٠٠٠ م ما يقرب من ستين مليوناً ، ويذكر كذلك أن عدد المسلمين فيها ٤٨ % بينما عدد الأرثوذكس ٣٧% . انظر : د/ محمد عتريس - معجم بلدان العالم -ص ١١ .

والحقـيقة التـي ربمـا لا يعرفها الكثيرون **أن بلاد أثيوبيا في حقيقتها بلاد إسـلامية يسـيطر عليها أقلية نصرانية** متشددة متعصبة ساعد عليها الصليبيون الأوروبيون ، فالمسلمون في أثيوبيا **يمثلون ما يقرب من ٦٠%** من عدد سكانها إلا أنهـم يعانـون من أسوء تمييز عنصري في الحقوق العامة مثل التعليم و الوظائف وغيرها .

ولغـة أثيوبيا هي الأمهرية ، وعاصمتها الآن أديس أبابا ، وأما كلمة أثيوبيا فهي تعني في اللغة اليونانية : الوجه المحروق ، أو صاحب الوجه الأسود.

وتعـد مدينة هرر إحدى أهم المدن الإسلامية التي ضمتهـا أثيوبيا (سنة ١٨٩٦م) حيث كانت قصبة إقليم إسلامي يشع علماً ويحوي المآثر والمساجد أنشاها التجار العرب المسلمون في القرن الهجري الأول ، تعاقب عليها ممالك وحاضرات إسـلامية عديـدة ، إلا أن إلحاقهـا بأثيوبـيا قد حول مسارها الإسلامي في عهد **هيلاسي لاسي** الذي حول جامعها إلى كنيسة بإيعاز من الأوروبيين ، ولكن الإقليم قـد شـهد ثورات وجهاد إسلامي شأنه شأن العديد من المناطق الأخرى ، وهناك العديد من القضايا الإسلامية في أثيوبيا نتعرض لإحداها وهي : منطقة إريتريا التي اسـتقلت مـنذ فترة وجيزة ، وتكرار الصراع بينها وبين أثيوبيا مرات عديدة بعد الجهاد وإصرار على الاستقلال عقود طويلة : ــ

إريتـريا : – كانـت تعـرف عند المسلمين ببلاد **الطراز الإسلامي** ، وبلاد الـزيلع، وبـلاد الجبـرته ، وعدل ، إريتريا الاسم الذي اطلقه الإيطاليون ، وبلاد البوغوص ... الخ وتمتاز منطقة إريتريا بموقع استراتيجي في شرق أفريقيا تمتد

علـــى ساحل البحر الأحمر بمسافة ١٠٠٠ كم[١] ، حيث يفصلها هذا البحر عن شبه الجزيـــرة العـــربية ، وتمتلك جزراً عديدة متناثرة قبالتها تصل إلى ١٢٦ جزيرة ، وعـــدداً من الخلجان ، وعاصمتها أسمرة التي تقع بمديرية حماسين على الهضبة ، ويقـــل عدد سكان إريتريا عن خمسة ملايين نسمة ، ويبلغ المسلمون فيها أكثر من ٨٠ % ، والأقلـــية الباقية من النصارى الأقباط الذين يحكمون البلاد بفعل التدخل الاستعماري الأوروبي.

أمـــا عن اللغات فتمثل **اللغة العربية** ، والتجرينية اللغتان الرسميتان للبلاد ، وتمتاز العربية هناك بأنها لغة الثقافة والعلم منذ زمن بعيد.

وقـــد ظهر في بلاد إريتريا وما حولها مجموعة من الزعماء المسلمين قادوا بلادهم نحو مقاومة البرتغاليين ، والأحباش على حد سواء كان من أبرزهم : الشيخ أبـــو عـــبد الله الزيلعي ، وجمال الدين عبد الله بن يوسف وغيرهما إلا أن أشهرهم على الإطلاق هو الإمام / أحمد بن إبراهيم (أمير عدل) المعروف بـــ : أحمد بن جرين أو قرين والمعروف كذلك **بالأشول**[٢].

---

(١) تبلغ مساحة الأراضي الإريترية ما يقرب من ٤٠ ألف ميل مربع ، وربما يزيد قليلاً عن هذه المساحة.
انظر : س ـف ـ نايدل ـ التركيب السكاني في إريتريا ـ ترجمة / جوزيف صغير ـ ط ١٩٤٤ ـ ص ١٠ .

(٢) الإمام أحمد بن جرين ينسب إلى أبوين صوماليين حيث ولد في مدينة هرر سنة ١٤٩٢ م ، وفي وقت كانت فيه هذه المدينة إحدى المراكز الإسلامية التي تشع نورها الإسلامي على وسط أفريقيا ، ولكن ظروفها تغيرت بعد أن حرقها البرتغاليين ، فاتجه إلى زيلع وتعلم فنون الحرب والفروسية فيها ثم قاد المنطقة في جهاده ضد المستعمرين والأحباش.
انظر : أحمد برخت ماخ ـ وثائق عن الصومال الحبشة إريتريا ـ شركة الطوبجي للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٧٢ م ـص ٩٨ وما بعدها.

فقــد تولـــى بن جرين مسؤولية الدفاع عن المنطقة ونشر الإسلام فيها وفيما حــولها إلـــى داخــل الحبشة ، وبعد أن ضعفت مملكة إيفات التي كانت من أقوى ممالـــك الطــراز الإســـلامي الســبع ، وكانت كذلك تدافع عن ممتلكات ومصالح المســلمين ضد النصرانية الأمهرية في الحبشة وما حولها حتى قضي على مملكة إيفات الإمبراطور : عمد صهيون سنة ٧٢٩ هـــ فحملت إمارة عدل وزعيمها أحمد بن جرين مهمة الدفاع والهجوم ونشر الإسلام.

وكان العثمانيون قد بدأوا يواجهون البرتغاليين في البحار الشرقية عندما حملوا عبء الدفاع عن المشرق ، إلا أنهم فشلوا في البداية فاتجهوا نحو مؤازرة الزعماء المحليين ، كان من بينهم أحمد بن جرين الذي كان قد بدأ صراعاً عنيفاً في مواجهة الأحباش الذين أمدهم البرتغاليون بحملة بعسكرية تحمل أسلحة نارية لم تكن معروفة حينئذ ، وكان يقودها ابن المكتشف البرتغالي فاسكوداجاما (كريستوفرداجاما)، فلبي العثمانـــيون نداء أمير عدل ، وأرسلوا له نجدة تحمل مدافع و بنادق ساعدته كثيراً علي الوقوف في مواجهة البرتغاليين والأحباش .

وقـــد تمكـــن الإمـــام / أحمد من اكتساح أغلب بلدان الحبشة والسيطرة على الأجـــزاء الشـــرقية حتى وصل إلى شاطئ النيل الأزرق بعد أن هزم الامبراطور لبنادنقل هزائم متتالية أعقبها بهزيمة نكراء فاصلة في موقعة شمبري كوري حتى أن الامبراطور قد مات وهو يرى بلاده ممزقة يسيطر على أغلبها المسلمون .

لـــيس هذا فحسب بل تمكن المسلمون بزعامة الإمام أحمد من إلحاق الهزيمة بالبرتغاليين وقتل قائدهم كرستوفرداجاما[١].

وبسبب توالي الإمدادات البرتغالية انقلبت موازيين القوى لصالح الأحباش مما أدى إلـــى إصـــابة الإمـــام أحمد ، واستشهاده في سنة ٩٤٩ هـــ / ١٥٤٣ م متأثراً بجراحه بعد نشر دينه الإسلامي في أو هاد وربوع وبلدان أثيوبيا ، ومن بعده استمر أتباعه في مواصلة حركة الجهاد يقودها الوزير عباس ، ثم نور بن مجاهد.

وقـــد اضـــطر العثمانـــيون إلـــى إلحاق منطقة عصب ومصوع وما حولهما (إريتـــريا) بولاية جدة مضافة إليها سواكن وما حولها حيث شكلت فيما بعدما أطلق عليه ولاية الحبش لأن المنطقة الأولى تعد مخارج البلاد الحبشية.

إلا أن الإيطاليـــين قد أرادوا أن يجدوا لبلادهم مكاناً تحت الشمس ، ومسايرة مـــوجة الاســـتعمار الغربية ، فاتجهوا نحو عصب ومصوع في تسلل ساعد عليه المنصرون ، وبعض الجهات الاستعمارية ، وتم لهم الاستيلاء فيه في الربع الأخير مـــن القـــرن التاسع عشر ، في الوقت الذي كانت فيه المنطقة تابعة لمصر ، إلا أن وجـــود الاســـتعمار (الاحـــتلال الإنجليزي) فيها قد كبّل أيديها عن الحركة ، فتم للإيطاليين السيطرة على مخارج الجيش ، وأطلقوا عليها اسم إريتريا.

وقـــد ظـــل نهج الإيطاليين في مستعمرتهم الجديدة (إريتريا) هو الاستغلال واســـتثمارها لصالحهم ، ومع محاولات مستميتة للقضاء على انتشار الإسلام واللغة العربية ، إلا انهم فشلوا في ذلك إلى حد كبير.

---

[١] د/ سعد بدير الحلواني – التاريخ الأفريقي الحديث – ط ٢ – ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م – ص ٤٦ ، ٤٧ .

وجاء من بعدهم الاحتلال الإنجليزي ابتداءاً من سنة ١٩٤١م إلى سنة ١٩٥٢م حـيث سـيطر الإنجليـز على أثيوبيا ، وضم إليها إريتريا بالقوة الغاشمة متعمدين إلحاقها بالإمبراطور هيلاسي لاسي الذي تحالف معهم في ضرب المسلمين هناك ، وعمـد المسـلمون إلى مقاومة الاثنين معاً بالطرق الدبلوماسية والسياسية ، وإنشاء الأحـزاب ، ثـم رفعت القضية برمتها إلى الأمم المتحدة ، فظهر مشروع أمريكي باتحاد أثيوبيا و إريتريا للتاج الأثيوبي مع بعض الامتيازات والحقوق للإريتريين.

واشـتعلت الثورة الإريترية أمام تعنت أثيوبيا في معاملتهم ، وظهرت جهات إريترية عديدة بمشارب وأهداف مختلفة أو متفقة فيما بينها ، إلا أنها كانت تنقسم في بعض الأحيان علي نفسها ، وتتفق في أحيان أخرى ،إلا أن المساعدات التي قدمتها بعـض الـدول العربية قد ساعدت علي نجاح الثورة في مطلع الستينات من القرن العشرين حيث تكونت جبهة واحدة أطلق عليها :- المجلس الثوري بدلاً من المجلس الأعلـى للجـبهة ، وقوات التحرير الشعبية ، وقوات التحرر الإريترية ، والجبهة الشـعبية ، وهذه الأخيرة هي مجموعة أسياسي أفورقي التي يشكل النصارى أغلب أعضائها بما فيها زعيمها ، وهم يحملون بعض الأفكار الماركسية اللينينية.

إلا أن الجهـود التـي بـذلت من جانب الدول الإسلامية قد أدت إلى تجميع الصـفوف في جبهة التحرير الإريترية (التنظيم الموحد) ، وانتخب عثمان صالح سـبي رئيسـاً للجـنة التنفـيذية لها ليستمر الصـراع ، والمطـالـبة باستقـلال إريتـــريا عـن التاج الأثيوبي ، حتى تم لها الاستقلال لتدخل الأصابع الغربية في تولـية أفورقي زعامة البلاد الإريترية فور استقلالها ، ومازال النزاع يفتر ويقوى بـين الـبلدين (الـندين) بفعل الخلافات وصراعات الجوار، والدسائس الصهيونية والغربية بينهما.


المملكة العربية السعودية
اليمن
اليمن الجنوبي
خليج عدن
مصوع
اغوردات
اسمرة
تيجري
مكلى
أمهرة
"بجهدور"
جوندار
بحيرة تانا
الولا
جوجام
ماركوس
دبراه
دلشي
وليجا
لكيمتو
شوا
أديس أبابا
هرر
هرر
الوبابور
عروسي
كيفا
جوبا
عربامنت
بحيرة جاما
جوفا
بالي
سيدامو
بحيرة رودلف
كينيا
الصومال
السودان

اثيوبيا



الفصل السادس

قضايا المسلمين المعاصرة
(أوربا وأمريكا)

أولاً : المسلمون في الاتحاد السوفيتي (السابق).

ثانياً : المسلمون في أوربا.

ثالثاً : المسلمون في الولايات المتحدة الأمريكية .

أولاً : المسلمون في الاتحاد السوفيتي (السابق) :

انتشر الإسلام في روسيا[١] على فترات متباعدة بدأت مع القرن الأول الهجري – فيما يذكره المؤرخون – عندما شملت الفتوح الإسلامية منطقة **داغستان** شمال القوقاز في عهد عمر بن الخطاب (رضي) سنة ٢٢ هـ.

وتعد هذه بداية ليست بالتي يُعتد بها حيث أن الانتشار قد ظهر بعد ذلك على عدة مراحل – كما سيظهر لنا من خلال الدراسة التالية :–

فقد تكَون الاتحاد السوفيتي (السابق) من خمس غشرة جمهورية شكّل المسلمون أغلبية سكان ست منها وهي :

روسيا ، وبلاد حوض الفولجا ، و سيبيريا ، وشبه جزيرة القرم ، بلاد القفقاس ، وتركستان الغربية.

أ) روسيا الأوربية وحوض الفولجا :

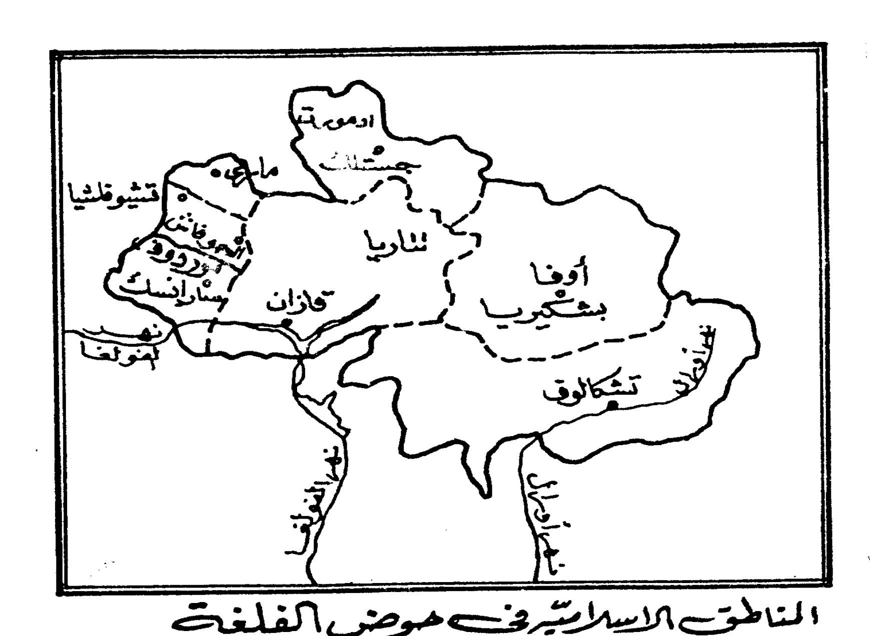
وقد انتشر الإسلام فيهما علي فترتين :

١– في القرن الرابع الهجري علي يد البلغاريين الذين اعتنقوا الإسلام بمساعدة الدعاة ، والتجار الذين يأتون بالفراء ، وبعض السلع الأخرى من البلدان الشمالية ، وكان للخليفة العباسي(المقتدر ٢٩٥ – ٣٢٠ هـ) دور بارز في ذلك حيث أرسل إليهم أحد قواده هو أحمد بن عباس المشهور **بابن فضلان** لتعليمهم مبادئ و شعائر الإسلام.

٢– بمساعدة التتاربين عامي ٦٥٤ ، ٦٦٥ هـ حيث قامت **القبيلة الذهبية التي** كونّها جوجي بن جنكيز خان بدور عظيم في هذا المجال ، فبعد أن أسلم أميرها بركة خان تحول حوض الفولجا بأكمله إلى الإسلام ، وأصبحت حاضرته : **مدينة السرا** على ضفاف الفولجا مركزاً من المراكز الإسلامية الهامة.

---

(١) اكتسبت الأراضي التي انتشر فيها الروس السلاف في القرون الأولى للميلاد اسم روسيا نسبة إليهم، وشملت مناطق : موسكو ، والجنوب الغربي ، والغرب حيث يقيم الروس في أرض شاسعة مساحتها ما يقرب من ٢ مليون كم^2 .
انظر د / داود الفاعوري – حاضر العالم الإسلامي – ص ٣٣٦.



المناطق الإسلامية في حوض الفلغة

ومـــن القبيلة الذهبية ظهر **محمد أوزبك ٧١٣ – ٧٤١ هــ** الذي كان له دور حماسي بالغ الأهمية في **نشر الإسلام** ، واتسعت إمارته من شمال بحر الآرال إلى مصـــب الفولجا حتى بلاد القرم ، واشتهر بتسامحه اللامحدود مع نصارى المنطقة وما حولها حتى أن ابن بطوطة اعتبره أحد أعظم ملوك الدنيا السبع وقتئذ[١] ويقال أنــه قد وضع خطة لنشر الإسلام في كافة أرجاء البلاد الروسية ،ولكنها لم تكتمل نظراً لتسامحه الشديد[٢].

وفي الفترات التالية أصبحت مناطق الروس تدين بثلاث عقائد هي :

الإسلام : ويعتنقه التتار الذين يحكمون البلاد ويعملون علي نشر دينهم في الأماكن المحيطة بهم.

النصـــرانية : التي يدين بها الصقالبة الروس ، وهم يحكمون إماراتان : موسكو ، وكييف ، إلا أنهم كانوا يدفعون الجزية للتتار المسلمين.

الوثنية : التي تحملها بعض قبائل الروس ، وقبائل أخرى متناثرة.

ثـــم تداخلت عوامل عديدة أدت إلى تجزئة دولة التتار ، وانفكت عرى القبيلة الذهبـــية سنة ٨١٣ هـــ ، وظهر على أنقاضها بروسيا ثلاث دويلات هي : خانات القـــرم ، والقازان ، والاستراخان ، ونتج عن ذلك أن تمردت موسكو وأسست دولة قـــوية بزعامة إيفان الثالث (٨٦٧ – ٩١١) هـــ ، وتوقفت عن دفع الجزية التي ظلت تدفعها لتتار المسلمين ما يقرب من ٢٤٠ عاماً.

---

(١) ابن بطوطة (محمد بن إبراهيم اللواتي) - تحفة النظار (رحلة ابن بطوطة)- دار صادر - بيروت - ص ٣٣١

(٢) أرنولد سير توماس - الدعوة إلى الإسلام - ترجمة د / حسن إبراهيم حسن وآخران- مكتبة النهضة المصرية - ط ٣ - ١٩٧٠ - القاهرة - ص ٢٧١ ، ٢٧٢.

ورغم ما حدث بعد ذلك للمناطق والجمهوريات التابعة لروسيا الأصلية (موسكو وما يرتبط بها) فقد ظلت آثار الماضي الإسلامي ماثلة في العديد من الجمهوريات التي حصلت علي استقلال ذاتي وهي :

١- جمهورية باشكيريا : وتقع في جنوب جبال الأورال ، وأهلها من الشعوب التركية وصلها الإسلام مبكراً في العصر العباسي الأول ، عدد سكانها ٤ ملايين نسمة ، ٦٠% منهم مسلمون (إحصاء ١٤٠٢ هـ) ، وظلت عاصمتهم أوفا مركزاً لمسلمي روسيا ومسلمي سيبيريا منذ سنة ١٩٤٣ م.

٢- جمهورية تتاريا : في حوض الفولجا شرقي روسيا الأوربية ، عدد سكانها ٤ ملايين نسمة يزيد المسلمون فيها عن ٦٥% ، نقلوا الإسلام إلى شمال أوربا وفنلندا وبولندا وشبه جزيرة اسكندنافية بشكل عام ، وكانت عاصمتهم قازان إحدى أكبر المراكز الإسلامية بجامعتها ذات السبعة آلاف طالب، (بداية القرن العشرين) ومدارسها ، ومكتباتها العامرة ودعاتها الذين انتشروا في البلدان المحيطة لنشر الإسلام وتثبيته رغم الحكم الشيوعي الغاشم ، ويعد النفط من أهم مواردها.

٣- جمهورية الجوفاش (تشوفانيا) : في حوض الفولجا غرب تتاريا ، وعدد سكانها ١,٥مليون نسمة نسبة المسلمين فيها ما يقرب من ٦٠ % .

٤- جمهورية إدمورث : بالسفوح الغربية لجبال الأورال ، ويصل المسلمون فيها إلى ٦٠ % من السكان.

٥- جمهورية موردوف : في الجنوب الغربي من الجوفاش في الفولجا سكانها يزيدون عن المليون نسمة ونسبة المسلمين ٥٥% منهم.

٦- جمهــورية ماري : وهي أيضاً من جمهوريات حوض الفولجا ، ولا يتعدى عدد سكانها المليون نسمة ، ٦٠% منهم مسلمون ، احتلها الروس سنة ٩٦٠ هـــ / ١٥٥٣ م وأعلنت جمهوريتهم في العصر الشيوعي سنة ١٣٥٥ هـــ / ١٩٦٣ م.

٧- شـــبه جزيرة القرم : وهي تمتد من البر الأوربي إلى البحر الأسود شرقي أوربا ، وتحيط بها مياه البحر الأسود من الجنوب والغرب ، وصلها الإسلام عن طريق القبيلة الذهبية ، وبعدما انحلت دولة المغول تمكنت أسرة كيراي من تكوين دولة حكمتهامنذ سنة ٨٣٦ هـــ / ١٤٢٧ م ، وازدادت قوتها حتى دفعت لها موسكو الجزية السنوية في عهد السلطان محمد كيراي في النصف الأول من القرن العاشر الهجرى.

وبضـــعف العثمانيـــين تمكـــن الروس من غزو القرم والاستيلاء عليها سنة ١٧٨٣ م / ١١٩٢ هـــ رغم إعلان قانون حرية العقيدة في روسيا سنة ١٣٢٣ هـــ / ١٩٠٥ م ، ثـــم اســـتقلال القرم في العصر الشيوعي ، إلا أن أهلها المسلمين قد عانوا كثيراً في العصور الحديثة والمعاصرة ، وانتهى الأمر إلى ضم بلادهم (بعد إلغاء جمهوريتهم) إلى جمهورية أوكرانيا السوفيتية[1].

ب) المسلمون في سيبيريا :

ســـيبيريا : هي الأراضي التي تقع بين أوربا في الغرب والمحيط الهادي في الشـــرق ، وبـــين الصين والتركستان في الجنوب ، والمحيط المتجمد الشمالي في الشـــمال ، ومساحتها شاسعة تبلغ ١٢ مليون كم^{٢} ، وتصل درجة البرودة فيها إلى ٥٠ درجـــة تحت الصفر ، وفيها البترول والغاز الطبيعي ، والفحم ، وعدد سكانها ٢٥ مليون منهم ٢,٥ مليون مسلم ، ومع ذلك فهي تعد إقليما يتبع جمهورية روسيا الاتحادية.

---

[1] د / جميل المصري – حاضر العالم الإسلامي – ص ٤٩٦ وما بعدها.

وكانت سيبيريا في السابق جزءاً من الدولة المغولية التي أسسها باطوبين جنكيز خان حيث وصلها الإسلام عن طريق الدعاة ، وكذلك عن طريق **أهل بخاري الذين نشروا فيها الإسلام هم وأهل قازان** ، فباتت سيبيريا إمارة إسلامية عاصمتها **سيبير** (وهو تحريف لكلمة صابري) ، وكان أحد أمراء القبيلة الذهبية المسلمة يتولى أمرها حيث بذل جهوداً مشكورة في نشر الإسلام بها ، إلا أن القياصرة قد قاموا بعد ذلك بدور مضاد في معاداة المسلمين ، واتخذوا من سيبيريا منفى للمعارضين ، وللمسلمين الذين تم نفيهم إليها بكثرة كاثرة.

جـ) المسلمون في بلاد القفقاس :

تقع بلاد القفقاس بين البحر الأسود ، وبحر الجزر ، ويدخل ضمن حدودها جبال القوقاز وسفوحها الشمالية الجنوبية ، والمنطقة الأخيرة هي الحد الفاصل بين الجانب الروسي في آسيا ، والجانب الروسي في أوربا.

وعلى جبال القوقاز أقيمت حكومات وكيانات محلية منها : حكومة القوشحة وسط المرتفعات أطلق عليها حكومة اللان ، وفي داغستان دولة تأسست في السفوح الشرقية للجبال عرفها المسلمون باسم حكومة السرير ، وللجبال أسماء عديدة : القبق ، والقبج ، والقبوج ، والقفجاق منذ العصور الأولى الإسلامية.

ويسكن ققفاسيا ١٥ مليون نسمة على مساحة ٣١٤ ألف كم[٢] يسكنها مجموعة قبلية أهمها : الشاشان ، والجراكسة والقوشحة ، والداغستان والكرج والأرمن والكرد ، وكلها بلاد إسلامية وصلها الإسلام في القرن الأول الهجري على يد **عياض بن غنم** سنة ١٨ هـ ، **وسراقة بن عمرو** الذي فتح **أذربيجان** وعلى مقدمة جيشه كان **عبد الرحمن بي ربيعة** ، **أما الجيش الذي توغل نحو الداخل فكان بقيادة**

حبيب ابن مسلمة الفهري[1] ، أواخر سنة ٢٢ هـ ، وأول من اعتنق الإسلام هناك قـوم يطلـق علـيهم القوموق ، وشارك في هذا الفتح كل من محمد بن مروان ، ومسلمة بن عبد الملك.

وقد عانى المسلمون فى هذه البلاد (بعد ضعف الدولتين العثمانية والفارسية) من روسيا التي توسعت في تلك البلاد رغم جهاد أهلها المرير ، وقسمها الشيوعيون إلـى أربعة عشر قسماً منها : ولايات ذات حكم ذاتي وتشمل الأديغا ، وقارتشاي ، وأوستينا ، وقره باخ التي تتبع أذربيجان ، وهناك جمهوريات ذات حكم ذاتي وهي : داغسـتان ، وشاشـان ، وقابـرديا ، وأوسـتينيا الشمالية ، وابخاريا وآجاريا ، وناختيشـفيان ، وهـناك جمهوريات اتحادية في جنوب القوقاز وهي : أذربيجان ، وجورجيا ، وأرمينية

ولأهمية بلاد شاشان نفرد لها هذه السطور :-

شاشان أنجوشيا (الشيشان) :

تقـع البلاد الشيشان في القسم الشمالي الشرقي من جبال القوقاز ، وعاصمتها هـي جروزنـي التـي تشتهر بالصناعات النفطية ، وتبلغ مساحتها ما يقرب من ١٩,٣٠٠ كم٢ ، ويصل سكانها إلى ٢ مليون نسمة أغلبهم مسلمون علي الرغم من التشـتيت الذي أحدثه الروس في صفوفهم بالإضافة إلى نفي أعداد كبيرة منهم إلى قازاخستان وغيرها ، كما هاجرت أعداد كبيرة منهم إلى تركيا بلغ عددهم ما يقرب من ٤٠٠ ألف شيشاني.

---

[1] وقد تولى بعد حبيب ولاية أذربيجان وأرمينية **المغيرة بن شعبة** ولاه إياها **عثمان بن عفان** (رضي) ثم عزله وولى القاسم بن ربيعة بن أمية بن أبي الصلت الثقفي ، ويقال ولاها عمرو بن معاوية بن المنتفق العقيلي ، أما الأشعث بن قيس فقد وليها من قبل علي بن أبي طالب كرم الله وجه.
انظر : البلاذري (أحمد بن يحي) – فتوح البلدان – مؤسسة المعارف – تحقيق / عبد الله وعمر الطباع – بيروت – ١٩٨٧ م . ص ٢٨٨.

وقــد وصل الإسلام إلى الشيشان مؤخراً (قبل قرنين من الزمان) ، إلا أن أهل الشيشان والأنجوش تمسكوا بدينهم ودافعوا عن استقلالهم خاصة في الفترة من ١٢٥٦ هــــ إلى ١٢٦٧ هــ ، مما جعل الروس ينقلون أعداداً كبيرة من معاقلهم الجبلية في جبال القوقاز إلى مناطق أخرى.

وعــندما استولي السوفييت على البلاد تم فصل الإقليم عن جيرانه مع جعله بحكــم ذاتــي ، واتهمهم السوفييت بأنهم ساعدوا الألمان في الحرب العالمية الثانية أثــناء غــزوهم للاتحاد السوفيتي ، فألغيت جمهوريتهم ، وفي سنة ١٣٧٧ هــ / ١٩٥٧ م تــم تبرئتهم من تهمة التعاون مع الألمان فعاد معظم الشيشان إلى بلادهم مرة أخرى.

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي ، وانفصال العديد من أقاليمه وجمهورياته حاول الشيشـــان الخـــلاص من الحكم الروسي ، والاستقلال ببلادهم ، إلا أن الروس قد أحاطـــوا بهم ، ودارت معارك عنيفة بين الجانبين ، وارتكب فيها الروس فظائع – نضرب الصفح عن ذكرها –على الرغم من المقاومة الشديدة التي أبداها المجاهدون الشيشان ، ومازالوا يدافعون عن أرضهم ودينهم حتى يوم الله هذا.

د) المسلمون في التركستان الغربية :

تشــمل بلاد التركستان الغربية منطقة ما وراء النهر التي تقع في حوض نهر أمـــوداريا (جــيحون) ، وسيرداريا (سيحون) بأواسط آسيا ، وتبلغ مساحتها ما يقــرب من ٤ مليون كم^{2} ، يقطنها أكثر من ٥٠ مليون أغلبهم من القبائل التركية : القـــازاق الطادجـــيك ، التركمان ، والأوزبك ، والقيرغيز ، بالإضافة إلى موجات روســـية مستعمرة دخلت البلاد لحكمها بعصا حديدية لاستنزاف خيراتها ، ولتشديد القبضة الحكومية عليها وعلى سكانها.

هـــذا فـــي الـــوقت الذي يبلغ فيه السكان المسلمون اكثر من ٩٠% من عدد السـكان ، وهم من أهل السنة في الغالب ، مع وجود اكثر من ثلاثة ملايين شيعي أغلـــبهم يقـــيم في طادجيكستان ، مع وجود حوالي مائة ألف إسماعيلي يقيمون في هضبة بامير أتباع آغاخان ، وهم على اتصال دائم بالهند.

وكان الإسلام قد دخل المنطقة عن طريق الفتح والجهاد ، حيث غزا **عبد الله بن عامر** (والي البصرة) خراسان سنة ٣٠ هـــ ، وأرسل **الأحنف بن قيس** الذي نجـــح في فتح طخارستان وهي من أرض طادجكستان الحالية ، ثم نجح كذلك في فتح الطالقان والفارياب ، كما صالح أهل مدينة بلخ.

وبعـــد أن تولـــى **قتيـــبة بن مسلم الباهلي** أمر خراسان سنة ٨٨ هـــ اتجه المسلمون إلى تثبيت رايتهم في طخارستان ، وبخاري ، وحوض جيحون والصفد، وولايات سيحون ، وسمرقند وطشقند ، وتم بناء أول مسجد في بخاري سنة ٩٤هـــ وتعد منارته من الآثار الإسلامية في العصر الحديث وهو باق حتى الآن.

وظهـــرت فـــي هـــذه البلاد مجموعة من الأعلام الكبار أمثال : البخاري و النســـائي والتـــرمذي ، والبيهقي ، وكذلك الإمام الطبري والزمخشري والنسفي من أعلام التفسير ، وفي البلاغة والإعجاز القرآني ظهر عبد القاهر الجرجاني ، وسعد الدين التفتازاني ، ويوسف السكاكي ، أما الفلاسفة فكان منهم الفارابي ، وابن سينا ، وفي الرياضات والفلك خالد بن عبد الملك / مدير مرصد المأمون ، وفي الجغرافيا أبـــو زيـــد البلخي ، وفي الجبر والهندسة والحساب / أبو الريحان البيروني ، وأبو منصـــور الماتريدي ، وأبو بكر الخوارزمي ، وشمس الدين السرخسي ، وغيرهم من مشاهير العلماء.

وتشمل منطقة التركستان الغربية الجمهوريات التالية :-

١- **جمهورية أوزبكستان** : وتضم جزءاً من إمارة بخاري،وإمارة سمرقند ، وجزءاً من خانية خوارزم ، وكاراكلباك وغيرها أما عاصمتها فهي سمرقند ، ثم نقلت إلى طشقند.

٢- **جمهورية طادجكستان** : وهي أصغر الجمهوريات في آسيا الوسطى ، وعاصمتها دوشاني.

٣- **جمهورية تركمانيا** : وشملت إقليم عبر قزوين ، وولاية بخاري وجزء من ولاية خيفا ، وعدد سكانها المسلمين خمسة ملايين يشكلون ٨٣% من عدد السكان ، وتشغل صحراء قره قورم أربعة أخماسها ، وأهم مدنها : عشق آباد ، ومرو المدينة الإسلامية الشهيرة.

٤- **جمهورية قازاخستان** : كان سكانها مسلمون بنسبة ١٠٠% وتناقصت هذه النسبة لتصل إلى ٦٨% بسبب سياسية التهجير التي اتبعها الروس ، ويبلغ عدد السكان فيها ما يقرب من ١٥ مليون نسمة ، وعاصمتها المآأضا (أبو التفاح) ، وهي سلة غذاء لغزارة إنتاجها الزراعي ، وثروتها الحيوانية العظيمة ، وكذلك ثروتها المعدنية ، وفيها محطة إطلاق سفن الفضاء.

٥- **جمهورية قيرغيزيا** : وتقع في الجزء الشرقي من آسيا الوسطى على حدود تركستان الشرقية ، وعاصمتها فرونزي ، وتحولت في العهد الشيوعي إلى جمهورية اتحادية سنة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م.

أثر انهيار الاتحاد السوفيتي على المسلمين :

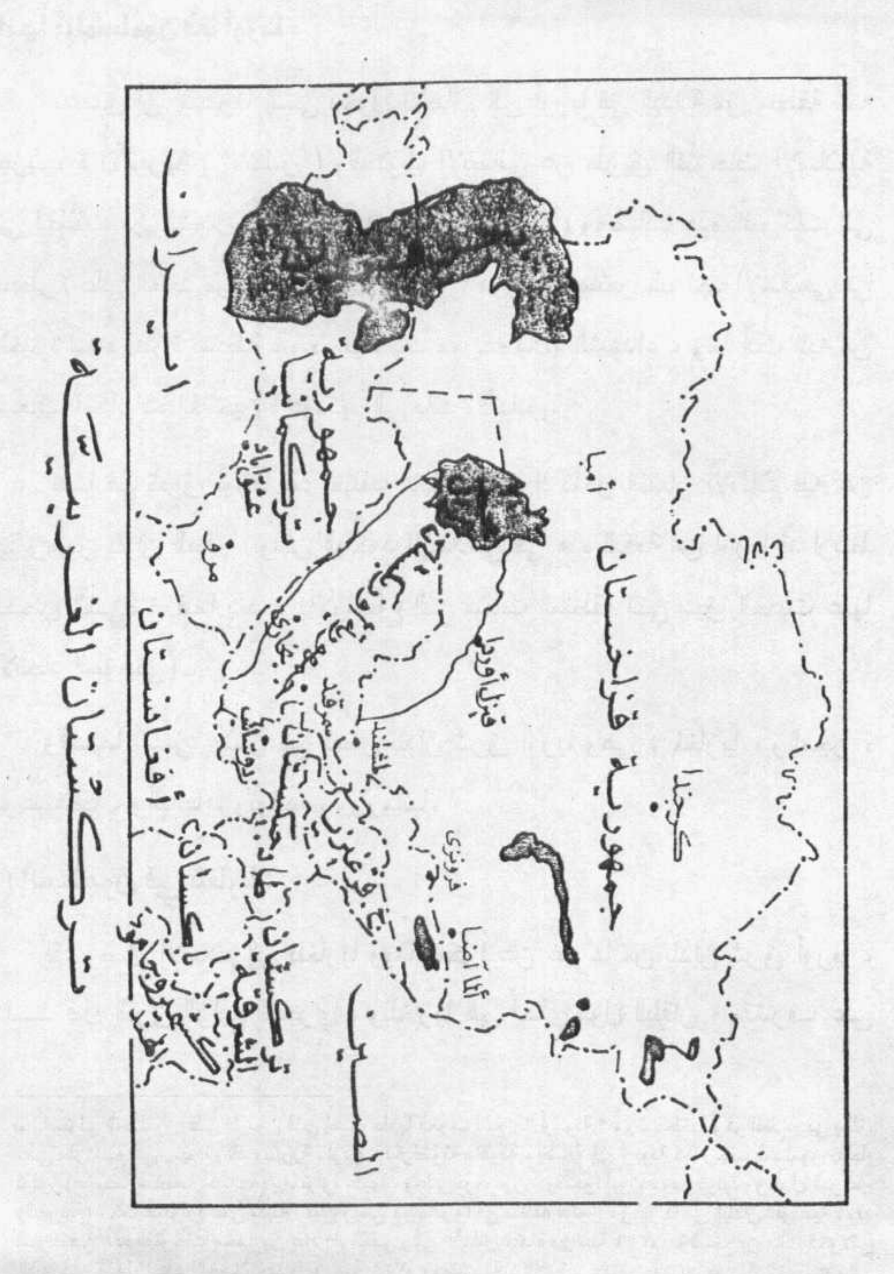
تجمعــت عــوامل عديــدة كـــان من بينها : فشل غزو أفغانستان ، وتدخل الأمـــريكان وتغلغلهـــم في السياسية والاقتصاد الروسي الأمر الذى أدى إلى انهيار الاتحـــاد السوفيتي في سنة ١٩٩١م ، وفوجئ العالم بظهور رابطة الدول المستقلة (الكومـــنولث) حينـــئذ اتجهـــت المجموعات الإسلامية في التركستان الغربية إلى الاســـتقلال ، والانفصال عن السيطرة الشيوعية البغيضة ، وهذه المجموعات هي جمهوريات : أذربيجان ، وأوزبكستان ، وطاجكستان ،وتركمنستان ،وكازاخستان ، وقرغيزستا ، وقرغيزستان.

ومـــن يومها بدأ المسلمون يستعيدون هويتهم الإسلامية ، ويتنفسون الصعداء من زوال الكابوس الشيوعي ، وبدأ المتطوعون ينشطون لإعادة بذر بذور الإسلام مـــن جديد هناك ،إلا أنها خطي ثقيلة لأن الخطوب عديدة فلا زال الروس يعرقلون خُطـــاهم ، والدعاية المغرضة ، وما زال الأتراك يحاولون – بأوامر الأمريكان – جـــذب هـــذه الجمهوريات إلى العلمانية التي تتمسك بها القيادة العسكرية في تركيا لإبعادهـــا عـــن الحظ الإسلامي الذي عادت إليه ، كما أن اليهود والروس وغيرهم يحاولون اللعب بقذارة في الميدان.

أمـــا إيـــران فقد مدت جسور التعاون وأنشأت السفارات في البلدان المستقلة حديـــثاً ، إلا أن اتصال إيران بهذه الدول ربما لنشر المذهب الشيعي على الطريقة الإيرانية.

وبعـــد ذلك يظهر التقصير من الجانب العربي في فتح خطوط التعاون وجذب هذا العالم الإسلامي نحو العقيدة الصحيحة ، ولا نغفل بعض الأدوار التي لا ترقى إلـــى الدرجـــة المطلوبة إلا أنها خطوات مبدئية على الطريق الصحيح مثل بعض النشـــاط من جمعة الأزهر في مصر ، وبعض الجمعيات الإسلامية ، وجهود ربما فـــردية أو حكومية من جانب المملكة العربية السعودية تحمد هي الأخرى في هذا السبيل ، ونتمنى لها أن تزداد على مر الأيام وكلما سنحت الفرصة لذلك.

****



ثانياً : المسلمون في أوربا :

سبق أن أشرنا إلى دخول الإسلام إلى أوربا في البداية من منطقة شبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس) والجنوب الإيطالي عن طريق الفتوحات الإسلامية التي انطلقت من الشمال الأفريقي (المغرب العربي) ، ووصلت هذه الفتوحات إلى السيطرة على العديد من بلدان فرنسا الحالية[1] دون أن يستمر التواجد الإسلامي في الأخيرة سوى فترة بسيطة ، ولا سيما بعد معركة **بلاط الشهداء** ، وما أدت إليه من إضعاف إمكانيات الفاتحين وعودتهم إلى بلاد الأندلس.

أما في شرق أوربا فقد اختلف الحال كثيراً إذ تأخر انتشار الإسلام فيه عن غيره من بلدان العالم ، ولكن الوجود الإسلامي في هذه البقعة من أوَربا قد ارتبط بعض الشيء – فيما بعد – بالأوضاع التي سادت المنطقة التي سبق الحديث عنها (الاتحاد السوفيتي).

وفيما يلي نشير إلى بعض بلدان شرق أوربا وهي : بلغاريا ، والمجر ، ويوغسلافيا ، وألبانيا ، وبولندا ، ورومانيا.

أ) المسلمون في بلغاريا :

فقد وصل الإسلام إلى بلغاريا ربما مبكراً عن غيرها من بلدان شرق أوربا ، وذلك قبل القرن الرابع الهجري ، وبلغاريا هي إحدى دول البلقان ، وتشرف على

---

[1] فقد استولى المسلمون على ناربون التي يُطلق عليها العرب اسم : " أربونة " ، والسبعتانية وهو لفظ عربي يطلق على مدن سبع هي : نيم ، واقد ، بثيرية ، لرديف ، قرقشونة ماقلونة ، إضافة إلى أربونة كما زحف المسلمون باتجاه تولوز (عاصمة مقاطعة أكيتانية) واستولوا عليها ، وعلى كركسون ، وفتحوا ليون ، وبرغونيا ، وجبال البرانس (البيرنية) ، كما استولوا على مدينة : سان ريمي ، وانتشروا في منطقة أفينون ، وغيرها من البلدان الفرنسية ، وقد شارك في هذه الفتوحات محمد بن عبد الله الثقفي والي الأندلس ابتداءً من سنة ٧١٦م ، والسمح بن مالك الخولاني الذي كان قائداً لإحدى الحملات بدءاً من سنة ٧٢١م ، ومنذ سنة ٧٣١م قاد عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي (والي الأندلس) الجيوش لفتح العديد من بلدان فرنسا.
انظر مصطفى دسوقي كسبه - المسلمون في فرنسا – مجلة الأزهر – عدد صفر ١٤١٨هـ - ص ١٢٧ ، ١٢٨.

البحـــر الأســـود مـــن الناحـــية الشرقية ، وكان سكان المنطقة يسمون في القرون الإسلامية الأولي قبائل البلغار ، وعليهم كان الملك المسلم : **ألماس خان** الذي طلب مـــن الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥ – ٣٢٠هــ) أن يرسل لبلاده مجموعة من الفقهـــاء والعلمـــاء ، وكذلك المهندسين للنهوض بالبلاد البلغارية ، وبالفعل وصلت البعـــثة يتقدمها الوزير العباسي : **ابن فضلان البغدادي** إلى بلغار الفولجا في محرم ٣١٠هــ / ٩٢٢م ونجحت البعثة في نشر الإسلام واللغة العربية حتى ظهر علماء أجـــلاَّء مـــن الـــبلاد نفســـها أمـــثال الشيخ أحمد البلغاري (أستاذ السلطان محمود الغـــزنوي)، والشـــيخ برهان الدين يوسف البلغاري ، والقاضي يعقوب بن نعمان البلغاري ، وغيرهم.

ودخلـــت الـــبلاد تحـــت الحكم العثماني الذي استمر فيها نحو خمسة قرون ، فانتشـــر فيها الإسلام انتشاراً عظيماً كذلك ، ولكن الدسائس الأوربية ساعدت على إثـــارة النعـــرات المحلية فقامت بها مملكة عمل الأوربيون على مدها بالنصارى ، والتضييق علي المسلمين فيها ابتداءً من ١٩٠٨م / ١٣٢٦هـــ.

وفـــي الحـــرب العالمـــية الأولى انضمت بلغاريا لألمانيا ، وكذلك فعلت في الحـــرب العالمية الثانية ، وتأثرت بالهزيمة فتقلصت ممتلكاتها بسبب غزو الروس الشيوعيين لها وسيطرتهم عليها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وكان عدد سكان بلغاريا ، قد تعدى العشرة مليون نسمة ، ٦٠% منهم مسلمون ، و٢٥% من البلغار، و١٥% مـــن الغجـــر ، أما العاصمة فهي : صوفيا ، وقد أصاب بلغاريا ما أصاب الدول التي وقعت تحت براثن الشيوعيين من اضطهاد للدين ولأصحابه ، والتشديد والتضييق علي المسلمين بشتى السبل ، ولذلك فقد تناقص عدد المسلمين في بلغاريا كثيراً حتى بلغ مستويات عددية متدنية في السنوات الخمسين الأخيرة[1].

---

[1] د / جميل المصري – مرجع سابق – ص ٦٢٣ وما بعدها.



جمهوريات الاتحاد السوفيتي الاوروبية

ب) المسلمون في يوغسلافيا السابقة :

تعود علاقة الصرب ببلاد المسلمين إلى عهد السلطان أورخان (ثاني سلاطين الدولة العثمانية) الذي أرسل إليه ملك الروم بالقسطنطينية سنة ١٣٥٥م وفداً يطلب المساعدة ضد دوشان ملك الصرب الذي استولى علي بلغاريا وزحف بقواته على القسطنطينية ، وعرض ملك الروم على السلطان أورخان في مقابل مساعدته أن يزوجه ابنته ، ولكن دوشان عاجلته المنية في ٢٠ديسمبر سنة ١٣٥٥م، وتشتت مملكته بعد وفاته حتى أجهز عليها العثمانيون سنة ١٣٨٩م في واقعة قوص أوه (كوسوفا) في عهد السلطان مراد الأول.

فقد فتح مراد العديد من البلدان في بداية حكمه صارت بعدها ممتلكات العثمانيين متاخمة لإمارات الصرب والبلغار وألبانيا ، ولذلك فقد استعان ملك الصرب أوراك الخامس بأمراء البوسنة وبعض المجر وغيرهم لمهاجمة عاصمة العثمانيين (حينئذ) أدرنة ، ففاجأهم العثمانيون على شاطئ نهر ماريتزا ، وشتتوا شملهم في سنة ٨٦٦هـ / ١٣٦٣م ، وبعد سنة ١٣٧٩م اضطر ملك الصرب (لازار جربلينانوفتش) وحليفه ملك البلغار سيسمان إلى إبرام الصلح مع مراد على أن يزوجه الثاني ابنته بينما وافق الملكان علي دفع الخراج السنوي للسلطان مراد العثماني ، وعندما تأخر الاثنان في دفع الخراج هاجمهم السلطان مراد ، واستولى على عاصمة البلغار (صوفيا) بعد حصار دام ثلاث سنين (١٣٨١ – ١٣٨٣م) وعدة مدن كان منها مدينة سالونيك الشهيرة (من بلاد مقدونيا).

وفي سنة ١٣٨٨م استطاعت الجيوش العثمانية الانفراد بجيوش البلغار التي يقودها سيسمان (قبل اتحادها بالصرب) وهزموهم،واستولوا على نصف بلادهم، وتسامح مراد مع سيسمان فولاه حكم النصف الآخر ، أما لازار ملك الصرب فقد

حــاول الاتحاد مع أمراء ألبانيا (الارنؤد) ، إلا أن مراد لم يمكنه من ذلك ولحقه في سهل قوص أوه (كوسوفا) سنة ١٣٨٩م ، ودارت معركة رهيبة بين الجانبين فــرّ خلالها صهر لازار ملتحقاً بجيش المسلمين فدارت الدائرة على الصرب ، وتم اســر لازار حــيث قــتل وفقدت بلاد الصرب استقلالها بعد أن وقعت تحت الحكم العثماني الإسلامي.

وبعد نهاية معركة قوص أوه (كوسوفا) ، تفقد السلطان مراد قتلى المعركة فقــام جــندي صربي من بين الجرحى اسمه (ميلوك كوبلوفتش) فطعن السلطان طعــنة أودت بحــياته ، وتولــى الســلطان بايزيد (ابنه) فلم يشأن أن يحكم بلاد الصــرب مباشــرة ، ولكــنه ترك حكمها لابن لازار (اسطفن) ، وتزوج أخته (اوليفيــرا) علــى أن يدفــع اسطفن الخراج ، ويقدم عدداً محدداً من الجنود وقت الحــرب، وبالفعــل قدم اسطفن عدداً كبيراً قادهم بنفسه في صفوف العثمانيين عند تحالــف الأوروبيين عليهم بقيادة البابا والفرنسيين ، وتمكن العثمانيون من هزيمة الأوروبيين وأسر أعداد كبيرة من أشرافهم.

كما شارك الصرب مع العثمانيين في واقعة أنقرة ضد المغول التي هزم فيها العثمانيون ونتج عن ذلك انسلاخ الصرب والبلغار والفلاخ عنهم ، وأعادها السلطان مراد التالي في حوالي سنة ١٤٢٩م ، وحتى فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م على يد محمــد الثانــي (الفاتح) ظلت منطقة (بلاد البوشناق) البوسنة والهرسك مستقلة علــى الــرغم من وقوع بلاد الصرب تحت السيادة العثمانية عدة مرات إلى أن تم فتحها نهائياً سنة ١٤٦٠م – كما أشرنا.

أمـــا وقوع بلاد البوسنة (البوشناق) تحت الحكم العثماني فقد حدث ذلك في حوالي سنة ١٤٦٢م ، عندما حاربها السلطان محمد الفاتح بعد أن امتنع أميرها عن دفـــع الجـــزية حيث هزمه وأسره ، ودانت له جميع بلدان وأهالي البوسنة حينئذ ، وأصـــبحت تلك البلاد ولاية عثمانية ، وانخرط أكثر من ثلاثين ألفاً من رجالها في جـــيش الانكشـــارية العثمانـــي ، كما أعلن اغلب أشرافها الإسلام ، وظلت الدولة العثمانـــية فـــي صـــراع مع الدول الأوروبية في محاولات مستميتة للتمسك بتلك البلدان. (في البلقان) ، ولا سيما صراعها مع روسيا وحروبها الطويلة على مضايق البوسفور والدرنيل ، حتى استقلت بلاد الصرب سنة ١٨٢٤م ، والجبل الأسود سنة ١٨٧٨م ، واحتلت النمسا منطقة البوسنة والهرسك رغم سيادة العثمانيين عليها بعد معاهدة برلين سنة ١٨٧٨م.

أما مقدونيا فقد منحتها معاهدة برلين حكماً ذاتياً لم ينفذه السلطان عبد الحميد العثماني ، فقامت الحركات الوطنية فيها وانتهت بثورة عارمة سنة ١٩٠٣م.

وعلـــى الرغم من حكم العثمانيين لمنطقة كوسوفا ما يقرب من خمسة قرون ابتداءاً من هزيمة الصرب في موقعة قوص أوه (كوسوفا) سنة ١٣٨٩م ، إلا أن الصـــرب لـــم ينســـوا الهزيمة ، واهتبلوا فرصة تفكك الدولة العثمانية أوائل القرن العشـــرين ، وقاموا بغزو كوسوفا بمساعدة البلغار واليونان سنة ١٩١٢م ، وحققوا ســـيطرتهم علـــى الإقليم الذي أقاموا فيه المذابح للألبان (الذين كانوا عماد الجيش العثماني) .

ومن يومها بدأت عملية تفريغ الإقليم من سكانه المسلمين الألبان ، وفي العام التالي سنة ١٩١٣م كان العديد من المدن الكوسفية مثل فريزاي ، جيلان، وجياكوفا وغيرها ، قد ذبح معظم سكانها وباتت المدن والقرى تحت احتلال الصرب مما دفع الألبان إلي تنظيم حركة مقاومة أطلق عليهم اسم (كاتشاك) .

وفي عام ١٩١٨م (بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى) أعلن قيام دولة الصرب والكــروات والسلوفيين بهيمنة وسيطرة صربية تولى حكمها الأمير الكسندر ، وفي ســنة ١٩٢٩م سميت الدولة " يوجوسلافيا "وتم إدماج كوسوفا ضمن الدولة الجديدة مــع معاملــة أهلهــا كمواطنين من الدرجة الثانية ، فأهمل فيهم التعليم والخدمات، ومحاولة تجريدهم من عناصر القوة كالتملك والاستقرار...الخ.

وفي الحرب العالمية الثانية في الأربعينات من القرن العشرين ظهر مصطلح : " التطهيــر العرقي " الذي ابتدعه أحد مستشاري الجيش اليوجوسلافي واسمه : " دراجــا ميهايلوفيــتش " الــذي كوّن منظمة تدعى " شتنك " بهدف مقاومة احتلال النازيين ليوجوسلافيا ، وكان الهدف من التطهير العرقي طرد المسلمين من البوسنة والهرسك ، وكوسوفا إلي ألبانيا وتركيا.

وعــندما تمــت هــزيمة ألمانيا (النازية) في الحرب انسحبت جيوشهم من يوجوســلافيا ، وقامت فيها الجمهورية ، وانتخب تيتو رئيساً لها ، حيث كان قائداً لحــركة المقاومــة الــنازية إبان الحرب وهو كرواتي الأصل ، وفي البداية انفرج الوضــع عــدة سنوات لمسلمي كوسوفا حيث تسلم الشيوعيون السلطة في كل من ألبانــيا ويوجوسلافيا ، وصارت العلاقات بينهما طيبة فامتدت الجسور الاجتماعية بين كوسوفا وألبانيا ، واجتمعت الأسر التي توزعت بين الجانبين من قبل.

ولكن الخلاف بين ستالين في موسكو ، وتيتو في بلجراد ، انضمام ألبانيا إلى موســكو ، قد جاء بنتائج وخيمة على كوسوفا ، حيث سيطر على مقاليد الحكم في بلجــراد جــناح متشــدد بقيادة الكسندر رانكفيتش الذي طبق سياسية أطلق عليها " القبضــة القــوية " أخضــعت البلاد كلها لحكم استبدادي قمعي لحق بالمسلمين منه نصيب أوفر ، واستمرت الفترة هذه من سنة ١٩٤٨ إلى سنة ١٩٦٨م.

وابـتداءاً مــن سنة ١٩٦٨ إلي ١٩٨٩م تبدل الحال إلى الأحسن بعد زيارة الـرئيس تيتو لكوسوفا ، وما لمسه من تدهور الحال في المنطقة الأمر الذي جعله ينظر إلي الإقليم بشيء من الاهتمام ظهر من خلال التعديلات الدستورية التي أقامها سنتي ١٩٧١ ، ١٩٧٤م وبموجبها مارست كوسوفا شيئاً من الحكم الذاتي ، ونالت حقــوقاً متســاوية مــع الجمهوريات الأخرى داخل الاتحاد اليوجوسلافي بما فيها صربيا.

وأصــبحت لكوســوفا مــنذ هذه التعديلات حكومة محلية ومجلس تشريعي ، وإذاعــة ، وتلفــزيون ، وصــحافة ناطقة بالألبانية التي أصبحت لغة التدريس في الجامعات والمدارس ، وسمح للمسلمين أن يعلنوا عن إسلامهم في الأوراق الرسمية ومباشرة عبادتهم وخصوصيتهم الدينية.

ولكن الفرحة لم تطل كثيراً بعد موت الزعيم تيتو سنة ١٩٨٠م ،ولا سيما بعد أن أخــذ الاتحاد السوفيتي ينهار واستقلت دول الكتلة الشرقية عنه ، وانفرط كذلك عقــد الاتحــاد اليوجوسلافي ، وصعد نجم القوميين الصرب " الذين كبح جماحهم الـرئيس تيــتو من قبل " وبرز من بينهم سلوبودان ميلوسوفيتش (الرئيس الحالي لصــربيا) بوحشــيته ، وقاد انقلاباً دستورياً ألغي بموجبه الحكم الذاتي لكوسوفا ، وجعلهــا مقاطعة ضمن جمهورية صربيا ، وأغلق وألغى كل المكاسب التي حققها أهلها في عهد تيتو عامداً طمس هويتهم الألبانية.

ورد علــيه أعضــاء بــرلمان الإقليم بالعمل علي استكمال إجراءات إعلان جمهورية كوسوفا في السابع من سبتمبر سنة ١٩٩٠م في بلدة كتشانيك ، وفي سنة ١٩٩٢م وبعد انتخابات سرية في الإقليم اختار الأهالي ممثليهم في مجلس تشريعي، وأعضــاء للحكــومة ، وتــم انتخاب إبراهيم روجوفا (الكاتب الفيلسوف) رئيساً للجمهــورية الــذي أعلن انحيازه للحل السلمي السياسي لقضية الشعب الألباني في

كوســوفا ، ولكــن الرد الصربي علي ذلك جاء عنيفاً فعمد الصرب إلى إجراءات قمعــية عنــيفة راح ضحيتها عدد كبير من القيادات البارزة والعناصر النشطة في كوســوفا ، ولما تيقن المسلمون من عدم جدوى الحل السلمي برز على الساحة في الإقليم " جيش تحرير كوسوفا " الذي تأسس في صيف ١٩٩٧م.

وتــوالت أحــداث القمع والتصفية العرقية ، والتطهير ، والطرد ، والمجازر الدائــرة هذه الأيام[١] حتى تدخلت الجيوش الأمريكية وحلف الناتو لأهداف أخرى ربما أكثر خطورة تظهر مع الأيام المقبلة.

****

ج) المسلمون في بولندا :

يــبلغ عــدد السكان في بولندا ما يربو على الأربعين مليوناً[٢] ، وعاصمتها وارســو ، ومساحتها تزيد عن ٣١٨ ألف كم٢ ، وهي إحدى دول وسط أوربا وقد اتصــل المسلمون بهذه المنطقة (بولندا) في القرن السابع الهجري / الثالث عشر المــيلادي عــندما استعان البولنديون بالتتار المسلمين لصد هجمات الألمان مرات عديدة ، وبدأت تظهر الجاليات الإسلامية منذ القرن التاسع الهجري / السادس عشر الميلادي ، كما تكونت فرق من الخيالة خاصة بالمسلمين انضموا للجيش البولندي ، وظهــر مــن بينهم قادة مثل الجنرال (بيالاق) في القرن الثامن عشر الميلادي ، وتمــتعت الجالــية الإسلامية هناك باحترام ملوك بولندا فبنيت المساجد والمدارس الإســلامية ، ولا سيما في مدينة لوبلان التي تقع شرق بولندا ، كما كانوا يرسلون أولادهم لطلب العلم في الأزهر الشريف.

---

(١) د. سعد بدير الحلواني – مقال بعنوان كوسوفا بين التاريخ و الآلام – جريدة عكاظ السعودية – العدد ١١٩٤١- بتاريخ ٢١ من محرم سنة ١٤٢٠هـ / ٧ من مايو ١٩٩٩م.

(٢) يذكر محمد عتريس أن عدد السكان ٣٧,٨ مليون نسمة في تعداد سنة ٢٠٠٠م. انظر : معجم بلدان العالم – ص ١٩٧

وفي فترة سابقة (من القرن السابع الهجري إلى العاشر الميلادي) كانت بلاد بولندا تتبع دولة الإسلامية حكمت روسيا وشرق أوربا هي دولة : التون أورده ، إلا أنهـا ضعفت بعد ذلك على إثر حروب دامية مع روسيا فانتقل المسلمون إلى البلاد المجاورة الأوربية مثل : أوكرانيا ، والقرم ، والمجر ، وبولندا الكبرى ، ولتوانيا.

وقسمت البلاد بين الألمان والنمسا وبين الروس في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي (الثاني عشر الهجري) فكان نصيب المسلمين انضمامهم للروس القياصرة ، وبعد الحرب العالمية الأولى عادت بولندا إلى الوجود حيث كان بها ١٥٠ ألف مسلم عاشوا فيها فترة خاصة في مدينة ولنيوس شمال شرق البلاد ، وفيها مركز المفتى ، ومقر الجمعية الإسلامية ببولندا ، إلا أنها انضمت بعد ذلك إلى الاتحاد السوفيتي ، وعاصمتها أصبحت لتوانيا. وبالطبع قل عدد المسلمين كثيراً عن ذي قبل[1].

****

د) المسلمون في المجر (هنغاريا):

انتشر الإسلام في بلاد المجر على أثر انتقال قبائل البلغار التي عاشت في حوض نهر الفولجا في أواخر القرن الرابع الهجري / أواخر القرن العاشر الميلادي) إلى جزيرة البلقان ، واستقرت في البلاد الهنغارية حيث كان من بين هؤلاء دعاة عملوا على انتشار الإسلام هناك.

إلا أن المسلمين قد أصابهم نكبة كبيرة عندما أرغم الملك المجري شارل رويرت في سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م كل رعاياه غير النصارى على اعتناق النصرانية أو مغادرة البلاد.

---

(١) د / داود القاعوري – مرجع سابق – ص ٣٣٤ ، ٣٣٥.
وانظر : د/ جميل المصري – مرجع سابق – ص ٦٣٧ ، ٦٣٨ .

وبعد فتح العثمانيين بلاد المجر سنة ٩٩٤هـ/١٥٨٦م[1] دخل بعض السكان فـي الإسلام ، وانتقل بعض الأتراك العثمانيين للعيش هناك ، واستقروا فيها حتى خروج العثمانيين من بودابست (العاصمة) سنة ١٠٩٨هـ/١٦٨٧م ، وبد أن كان بالـبلاد عدد من المساجد والمدارس والمكتبات الإسلامية لم يبق فيها سوى مسجد واحد.

أما عدد المسلمين في الوقت الحاضر فهو يزيد قليلاً عن خمسة آلاف نسمة ، ربما يقيم منهم ما يقرب من الألف بالعاصمة بودابست[2].

****

هـ) المسلمون في رومانيا :

تقع رومانيا شمال شبه جزيرة البلقان ، وهي إحدى الجمهوريات الاشتراكية فـي أوربا الشرقية ، ويبلغ سكانها ٢٣ مليون نسمة (بداية الثمانينات) من القرن العشرين ، وعاصمتها بوخارست.

وقد انتشر فيها الإسلام عن طريق الدعاة الذين كان أغلبهم من الأتراك ابتداءً من منتصف القرن السابع الهجري ، كما هاجر إلى رومانيا مجموعات من الأتراك المسلمين فاختلطوا بسكانها ، وعاشوا بينهم.

---

(1) لم يكن دخول العثمانيين في هذا التاريخ هو بداية علاقتهم بالمجريين بل هناك ما يؤكد مشاركة المجريين المسلمين للعثمانيين (قبل ذلك بـ ١٤٣ عام) في فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م وذلك من حديث : ليوناردو أوف سيكو رئيس أساقفة ميتليني الذي شهد سقوط القسطنطينية عن أعداء المرتدين من النصرانية إلى الإسلام فيقول : " من الذي أحاط بالمدينة ، ومن الذي علم الأتراك النظام ، غير النصارى الأوغاد ؟ إنني شاهد على أن الإغريق واللاتين والألمان والمجر ، وكل نوع من النصارى الذين اختلطوا بالترك تعلموا عملهم وعقيدتهم ، والذين نسوا عقيدتهم النصرانية اخضعوا المدينة بالقوة ...."
انظر أرنولد – الدعوة إلى الإسلام – ص ١٨٦.

(2) د/ داود الفاعوري – مرجع سابق – ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

كمـــا دخلهـــا العثمانـــيون سنة ١٤١٦م/٨١٤هـــ ، ونجحوا في نشر الإسلام بصـــورة أوسع نظراً لما لاقاه الناس هناك من سماحة الإسلام ، والمعاملة الحسنة التي فوجئوا بها من قبل العثمانيون[1].

وفـــي أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وعلى إثر هزيمة الأتراك فيها تعرض المسلمون للكثير من الاضطهاد ، فاضطر الآلاف منهم للهجرة إلى تركيا ، وأخذت أعـــدادهم تقل حتى بلغت ٢٢٠ ألف نسمة سنة ١٩٢٧م/١٣٤٦هـــ زادت أعدادهم إلـــى ٢٦٠ ألف قبيل الحرب العالمية الثانية ، وبعد استيلاء الشيوعيين على البلاد أخذت أعدادهم في نقصان حتى وصل ٩٠ ألف نسمة فقط سنة ١٣٩١هـــ/١٩٧١م.

ويتركز أغلب المسلمين الآن في شرقي رومانيا بمنطقة دوبروجة على ساحل البحـــر الأســـود في مقاطعتي قنسطانطة ، وتولسيه ، وكذلك في مدينة بوخارست (العاصمة)[2].

****

---

(١) فقد كان الناس يقارنون بين سماحة العثمانيين وبين ما فعله البولنديون الكاثوليك من سفك لدماء أتباع الكنيسة الشرقية الأرثونكسية ، وفي ذلك يقول : مكاريوس بطريرك أنطاكيا : بعد قذف البولنديين : " أدام الله بقاء دولة الترك خالدة إلى الأبد فهم يأخذون ما فرضوه من جزية ولا شأن لهم بالأديان سواء أكان رعاياهم مسيحيين أم ناصريين ، يهوداً أو سامرة ويذكر أرنولد سير توماس : " حتى إيطاليا كان فيها قوم يتطلعون بشوق عظيم إلى الترك لعلهم يحظون كما حظي رعاياهم (أي رعايا العثمانيين) من قبل بالحرية والتسامح للذين ينسوا من التمتع بهما في ظل أية حكومة نصرانية ، ويذكر أرنولد كذلك : " وحول سنة ١٥٧٧م كتب أوبرتوس فوليتا Ubertus Folieta (أحد أشراف جنوه الإيطالية) يقول : " وطالما تساءلت وكيف يحدث أن عددا كبيراً جدا من رجالنا يأوي إليهم أي إلى العثمانيين المسلمين – باستمرار – ، ويتنكر للديانة النصرانية ، وينضوي تحت لواء الشريعة الإسلامية ".
انظر : أرنولد (سير توماس) – الدعوة إلى الإسلام – ص ١٨٣ . ونقول هذه هي سماحة الإسلام ، والحق ما شهد به الآخر.

(٢) د / جميل المصري – مرجع سابق – ص ٦٣٦ ، ٦٣٧.

و) المسلمون في ألبانيا :

تقـع ألبانـيا بـين اليونان ويوغسلافيا في جنوب شرقي أوربا بشبه جزيرة الـبلقان، وتطل على البحر الأدرياتيكي بساحلها الغربي ، أما عاصمتها فهي مدينة تيـرانا ، وأغلـب بلدان ألبانيا عبارة عن مناطق جبلية فهي جزء من جبال الألب الديـنارية ، وتـتخلل هـذه الجـبال بعض الأحواض المنخفضة التي تشتمل على المستنقعات ، وتغطيها الغابات التي تعد مصدراً هاماً للأخشاب في البلاد.

ويـزيد عـدد السكان فيها عن مليوني نسمة(*) وهم الذين يسميهم الأتراك : أرنـاؤوط يعيشـون فـي تجمعات قبلية إضافة إلى بعض عناصر من الرومان ، والصرب ، والبلغار ، واليونان ، والأتراك ، وقليل من الغجر واليهود.

أمـا عن المسلمين فهم أغلبية عظيمة إذ يتعدى نسبتهم ٨٠ % من السكان ، وهـم أهـل سـنة مـن الغج والتوسك ، وبقية السكان هم من النصارى الكاثوليك والأرثوذكس.

وكانت محاولات العثمانيين لفتح هذه البلاد فد بدأت في سنة ٧٨٩هـ في عهد السـلطان مـراد الأول ، إلا أن ذلـك استغرق وقتاً طويلاً على ما يبدو حتى أتم العثمانـيون فـتح البلاد جميعها في القرن العاشر الهجري ، وأسلم أهلها ، وباتت فرقتهم من أهم فرق الجيش العثماني (فرقة الأرناؤوط) ، ومنهم كان محمد علي باشا (مؤسس مصر الحديثة).

وقـد اسـتقلت ألبانيا سنة ١٩١٢م/١٣٣١هـ لكنها لم تهنأ بالاستقلال حيث تنازعتها الدول الاستعمارية بأطماعها ، وسعت لتقسيمها ، إلا أن إيطاليا أعلنت من جانـبها منفـردة استقلال ألبانيا سنة ١٩١٧م/١٣٤٧هـ ، وإعلان الجمهورية فيها حيث تولى الأمير أحمد زوغو رئاستها ، ثم أعلن نفسه ملكاً عليها حتى سنة ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩م عـندما اضـطر للهرب إلى إنجلترا بسبب احتلال إيطاليا لبلاده ،

(*) يذكر محمد عتريس إن عدد الألبان بلغ في عام ٢٠٠٠م ٣,٣ مليون نسمة وإن ٧٠% منهم مسلمون. انظر : معجم بلدان العالم ــ ص ٥٤

وانضـــمت ألبانيا مندمجة مع يوغوسلافيا بزعامة تيتو في الحرب العالمية الثانية ، إلا أن الحكومة الانتقالية التي أعقبت الحرب قد تركت البلاد تحت تأثير الشيوعية ، وأفـــرزت الانتخابات التي وقعت تحت براثنهم عن فوز الشيوعيين[1] الذين أعلنوا قـــيام الجمهـــورية سنة ١٩٤٦م وظل المسلمون يعانون تحت حكمهم حتى انهيار الاتحاد السوفيتي.

****

ز) المسلمون في اليونان ، وكريت ، ورودس ، ومالطة ، وصقلية :

١) المسلمون في جزيرة كريت (إقريطش) :

تقـــع جزيرة كريت في مدخل بحر ايجه من الجنوب ربما تكاد تسد البحر ، ويبلغ أقصى طول للجزيرة ٢٥٥ كم٢ ، أقصى عرض لها هو ٥٠ كم٢ ، بينما تبلغ مساحتها ٨,٥٠٠ كم٢ ، ويصل عدد سكانها إلى ما يقرب من مليون نسمة.

وتعـــد جزيـــرة كريت من المناطق الأوربية التي وصلها المسلمون مبكراً ، وتطلـــق عليها المصادر العربية اسم : إقريطش حيث كانت هناك محاولات لفتحها فـــي منتصـــف القرن الأول الهجري ، ثم توالت المحاولات في عهد الوليد بن عبد الملك عندما غزاها جَنَادَة بن أبي أمية ، وتمكن من فتح بعضها والاستيلاء عليه ، إلا أنه رحل عنها دون أن يكمل الفتح ربما لظروف ألمت به.

وفـــي خلافة الرشيد أعاد حُمَيْد ابن مَعْيُوق الهمداني فتحها فتمكن من بعضها دون أن يكمل ، ثم أعاد فتحها مرة ثانية في خلافة المأمون.

وكـــان لكتمال أمر الفتح لجزيرة كريت على يد أبو حفص / عمر بن عيسى الأندلسي الذي لحقته نسبة الاقريطشي حيث تمكن من الاستيلاء على أحد حصونها المنيعة و مازال يفتح شيئا فشيئا حتى سيطر عليه كاملاً وهدم حصونها في حوالي ســـنة ٢١٠هـــــ بعد أن وصلها عن طريق الإسكندرية ، واعتنى بنشر الإسلام في الجزيرة حتى شملها.

---

[1] د / جميل المصري – مرجع سابق – ص ٦٣٩ – ٦٤١.

وفي منتصف القرن الرابع ضعف أمر المسلمين فيما بعد أن تمكن الروم من العودة إليها ، وأخذوا ينقلون إليها نصارى أوربا لإضعاف المسلمين هناك حتى كان القــرن السابع الهجري – الثالث عشر الميلادي – اشترى البنادقة الجزيرة فزادت مضايقتهم للمسلمين فيها مما اضطرهم للهجرة إلى تركيا ومصر.

وفي القرن السابع عشر الميلادي كانت الأساطيل العثمانية تصول وتجول في المنطقة مما جعل المسلمين يستنجدون بالعثمانيين الذين لبوا النداء وفتحوا إقريطش ســنة ١٦٦٩م / ١٠٨٠هـ ، وضموها لنفوذهم فظهر عز الإسلام فيها بعد اعتناق العديــد مــن أهلها لدين الهداية والسلام ، وفي غضون سنوات قليلة أصبح نصف السكان من المسلمين.

إلا أن الضــعف الذي لحق بالعثمانيين في أواخر القرن التاسع عشر قد شجع نصــارى أوربــا علي تغذية الثورات والتمردات على الحكم العثماني الذي اضطر لتــرك الجزيــرة ســنة ١٨٩٨م / ١٣١٦هـ فعانى المسلمون من الاضطهاد مما اضطرهم للهجرة إلى الإسكندرية وأزمير وبرقة وغيرها وبعدها استولت اليونان علــى الجزيــرة في سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م ، مما زاد العبء والاضطهاد على المسلمين فتناقص عددهم كثيراً في الجزيرة[1].

٢) **المسلمون في اليونان :**

ظلت اليونان قروناً عديدة تابعة للدولة العثمانية ، وعاش بها الأتراك بجانب اليونانيين الذين دخلت أعداد كبيرة منهم في الدين الإسلامي طواعية ، ولكن أوربا النصرانية ألبتهم على حكامهم العثمانيين فثاروا وتمردوا حتى باتوا شوكة في جبين الدولة ، وحاولت إخماد ثورتهم إلا أنها فشلت في ذلك فشلاً ذريعاً حتى نهاية العقد الثانــي مــن القرن التاسع عشر ، فاستعانت بمحمد علي باشا (الوالي المصري) الــذي أرسل ولده إبراهيم باشا (القائد المغوار) فتمكن من البلاد اليونانية وإخماد ثورة أهلها لبضع سنين.

---

(1) البلاذري (احمد بن يحيى) – فتوح البلدان – ص ٣٣٠.
انظر : الفاعوري – مرجع سابق – ص ٣٢٩ ، ٣٣٠

وبنشـــوب اليونانية التركية سنة ١٣٤٠هـــ / ١٩٢١م اضطرت أعداد كبيرة مـــن الأتراك للهجرة من اليونان ، وبدأ العدد يتناقص بعد أن كانوا قد شيدوا هناك أكثـــر من ثلاثمائة مسجد ، وعلى الرغم من ذلك فقد ظل فيها أكثر من مائتي ألف مســـلم أغلـــبهم يعيشون في تراقيا الغربية في أكثر من مائتي قرية ، كما يوجد في جزر بحر إيجه التابعة لليونان أكثر من عشرين ألف مسلم.

٣) **المسلمون في رودس :**

هـــي جزيرة صغيرة لا تتعدى مساحتها ١٢٥٠كم٢ ، وتقع بالقرب من تركيا علـــى بعد ثماني كيلومترات منها ، وقد وصلها الإسلام مبكراً جداً في حوالي سنة ٣٤هـــ في محاولة فتحها ، ولم ينجحوا في ذلك إلا في سنة ٥٢هـــ عندما فتحها جـــنادة بـــن أبي أمية (ت سنة ٨٠هـــ) بأمر من معاوية بن أبي سفيان الذي أمره أيضـــاً بأن ينقل إليها بعض المسلمين لسكانها ففعل ، وهي من البلاد الخصبة التي تكثر بها أشجار الزيتون ، والكروم ، والثمار ، وكذلك المياه العذبة ، ويزيد طولها قليلا عن ستين ميلاً.

ودخلهـــا العثمانـــيون سنة ٩٢٩هـــ / ١٥٢٢م ظلوا فيها أربعة قرون تقريباً حـــيث نعمـــت جزيـــرة رودس بالهدوء حتى بدأ الأوربيون يحرضون أهلها على الثورة فتم تقسيم جزر بحر إيجه سنة ١٣٣١ / ١٩١٣م بين اليونانيين والإيطاليين فتعـــرض المسلمون فيها للتهجير ، وبعد الحرب العالمية الثانية حيث لقيت إيطاليا الهزيمة انفردت اليونان بجزيرة رودس وألحقتها بها[١]

---

(١) البلاذري – فتوح البلدان – ص ٣٣٠.
وانظر : القاعوري – مرجع سابق – ص ٣٣٠ .

٤) **المسلمون في مالطة :**

تقـــع جزيـــرة مالطة على بعد ٨٠ كم من صقلية ، وعلى بعد ٢٩٠ كم من تـــونس في جنوب جزيرة صقلية على البحر المتوسط ، ومساحتها صغيرة لا تزيد عن ٣١٥ كم٢ ، حكمها البيزنطيون حتى قامت دولة الأغالبة في تونس فأرسلت إلى مالطـــة حملـــة بحرية سنة ٢٠٩هـــ ولم يتموا فتحها إلا في سنة ٢٥٦ ، ثم خلفهم الفاطمـــيون إبتداءاً من ٢٩٧ هـــ، ولكنها خرجت من بين أيديهم في سنة ٤٨٣هـــ عندما تمكن النورمان من صقلية، ومنها تمكنوا من السيطرة على مالطة.

وكانـــت للعثمانيين جهود مشكورة في نشر الإسلام بالجزيرة ابتداءً من مطلع القـــرن العاشر الهجري ، وحكمها فرسان القديس يوحنا فترة من الزمن ثم تحولوا عنها.

وعـــدد سكان الجزيرة لا يتجاوز الأربعمائة ألف نسمة ، يعيش بينهم حوالي خمسين ألفاً من المسلمين أي بنسبة ١١% كبقايا للمسلمين الذين ظلوا بها ، أما عن اللغـــة فيـــتحدث أهلهـــا اللغة المالطية التي هي عبارة عن خليط من ألفاظ عربية وإنجليزية و إيطالية ، ولكنها تكتب بحروف لاتينية[١].

٥) **المسلمون في سردانية :**

وهـــي إحدى جزر إيطاليا الكبيرة إذ تعد ثاني أكبر الجزر في البحر الأبيض المتوسط من حيث الحجم ، وفي القديم لم تكن سواحلها صالحة لأنها قليلة التعاريج، وبشـــواطئها مســـتنقعات وهـــي مرتع خصب للأمراض ولا سيما الملاريا ، وكان الرومان يستخدمونها كمنفى للمغضوب عليهم.

---

[١] د/ الفاعوري – مرجع سابق – ص ٣٣١. وانظر : محمد عتريس – معجم بلدان العالم – ص ٣٩٤.

وقد أرسل عليها المسلمون حملات عديدة لفتحها منذ نهاية القرن الأول الهجري، ففي سنة ٨٦هـ / ٧٠٤م بعث موسى بن نصير بحملة قادها ولده عبد الله للاستيلاء على البليار ، وصقلية ، وسردينية ، وفي سنة ٧١٠م / ٩٢هـ أعاد الكرة ثانية بعد إتمامه فتح الأندلس ، وتكررت المحاولة سنة ٩٨هـ، ثم غزاها عبد الله بن الحبحاب (الذي كان والياً على مصر) مرتين الأولى : سنة ١١٧هـ ، والثانية : سنة ١١٨هـ وقد غنم المسلمون كنوزاً كثيرة كان نصارى البلاد قد أخفوها.

وفي سنة ١٣٥هـ قام عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيده الفهري بغزو سردانية ، وفرض الجزية على أهل الجزيرة.

وابتداءً من سنة ٢٢٧هـ / ٨٤٩م اخذ المسلمون في توحيد شملهم ، واتخذوا من جزيرة سردانية نقطة انطلاق أو راس جسر للهجوم على روما ، إلا أن هذه الخطة الهجومية قد كبدتهم خسائر فادحة فصرفوا عنها نظرهم ، وبعد مرور مائة عام تقريباً في سنة ٣٢٣هـ قاد يعقوب بن اسحق (بأمر من الخليفة الفاطمي إسماعيل المنصور) حملة مجهزة بثلاثين سفينة حربية هاجمت كلاً من سردانية و جنوا.

ويبدوا أن المساعدات التي كان يتلقاها أهل سردانية من فرنسا ، ومن الجمهوريات البحرية مثل جنوا وبيزا وغيرها بالإضافة إلى البابوية قد جعلت سردانية صعبة المنال.

إلا أن مجاهد العامري حاكم ولاية دانية في الأندلس قد استعد بحملة عظيمة قوامها ١٢٠ مركباً ، وألف حصان لمحاصرة الجزيرة والاستيلاء عليها ، وبالفعل تمكن من السيطرة عليها وإقامة الحصون بها حتى ينطلق منها كرأس جسر يفتح منه بقية بلاد إيطاليا ، وربما العديد من بلدان أوربا[١]

---

[١] كاليليا سار تاللي تشركوا – مجاهد العامري قائد الأسطول العربي في غربي البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري – لجنة البيان العربي – ط ١ – ١٩٦١ – ص ١٩٣ وما بعدها.

وفـــي ذلك يقول المؤرخ الإيطالي بيستا إنريكو Besta Enrico : **إن مجاهد العامـــري كـــان يهـــدف إلى فكرة جريئة هي جعل البحر الأبيض المتوسط بحراً إسلامياً ، ولهذا الهدف أعد وقاد حملات متكررة**[١]

٦) <u>المسلمون في صقلية :</u>

يذكـــرها بعض المؤرخين العرب بالسين سقلية ، وهي بالإيطالية تترجم حرفياً إلى سشيليا ، وتعد صقلية من مناطق الجنوب الإيطالي الذي قدر لها أن تنعم بدخول الإســـلام إلـــيها مبكـــراً – في عهد معاوية بن أبي سفيان (منتصف القرن الأول الهجري) الذي أمر أحد قواده وهو معاوية بن حُدَيْج الكِنْدي بغزو صقلية فكان أول من غزاها، ثم تكررت الغزوات بعد ذلك على المنطقة نفسها.

ومـــن هذه الغزوات ما قام به عبد الله بن قيس بن مَخْلَد الدِزَقي الذي استولى علـــى صـــقلية ، وجلب منها العديد من التماثيل الذهبية والفضية المكللة بالجواهر الثميـــنة ، وبعـــث بها إلى معاوية بن أبي سفيان ، فأمر بها لتحمل إلى البصرة ، ومنها إلى الهند لتباع فيها ، ويؤتى بثمنها بضائع أخرى تنفع المسلمين.

وفـــي عصر دولة الأغالبة بالمغرب العربي كان الفتح الأكثر استقراراً عندما فتح صقلية آل الأغلب بن سالم الأفريقي منها نيفاً وعشرين مدينة ، وفتح أحمد بن محمد بن الأغلب منها قصريانة ، وحصن غليانة في خلافة أمير المؤمنين/ المتوكل على الله[٢]. واستمر المسلمون يحكمون صقلية قرنين من الزمان ، وامتدت السيطرة الإســـلامية إلـــى بالـــرمو ، ومســـيني، وسرقوسة ، وباري حيث أصبحت مراكز للحضارة الإسلامية حتى جاء النورمان فحافظوا على الوجود الإسلامي هناك.

---

(1) Besta Enrico : La Sardegna Medioevale .. Palermo . 1908 . vol .IP. 57

(٢) احمد بن محمد طاحون - حضارة الإسلام وأوربا – ص ٣٦.

وقــد زار الــرحالة المسلم ابن جبير صقلية سنة ٥٨٥هـــ ، ووصفها بوجود مدينة مسينة في رأس الجزيرة (صقلية) ، وهي كثيرة المدن والعمائر والضياع ، وحدد طولها بمسيرة سبعة أيام ، وعرضها بمسيرة خمسة أيام ، وبها جبل البركان، وهــي مــنطقة خصــبة كثيــرة الأرزاق ، مملوءة بالفواكه ، ويذكر ابن جبير ان المســلمين يعيشــون بين النصارى في رغد من العيش لأن النصارى يقدرونهم ، ويقدرون حسن سيرتهم ، وهم يكثرون في عاصمة صقلية التي يسميها المسلمون : المديــنة بيــنما يطلق عليها النصارى : **بلارمة** (بالرمو) وللمسلمين فيها مساجد وأسواق خاصة بهم .

ويتعجب ابن جبير من أن ملكهم النصراني غليام كان يثق بالمسلمين أكثر من غيرهم ، ويأتمنهم على أهم أعماله وأشغاله ، وله منهم وزراء وحجاب حتى ناظر مطــبخه مســلم كــذلك ، وهــذا الملــك يكتب ويقرأ اللغة العربية رغم أعجميته ونصــرانيته، وعلــم ابــن جبيــر مــن مصادر موثوقة أن الجواري الأوربيات النصــرانيات كانت تدخل قصر الملك ، وما تلبث إلا قليلاً حتى تعتنق الإسلام سراً مــن تأثيــر المســلمات داخل القصر[٢] ومازال أثر المسلمين موجوداً في الجنوب الإيطالــي إلي يوم الله هذا إذ لاحظتُ أثناء إقامتي في العديد من المدن الإيطالية أن من ينسبون إلي هذا الجنوب يحملون عادات وتقاليد شرقية بل وفكر شرقي إسلامي أحــياناً رغــم نصرانيتهم. بالإضافة إلي سلوكيات عادات وتقاليد بعضها إسلامي صرف.

****

[٢] ابن جبير (محمد أحمد الأندلس البلنسي – رحلة ابن جبير – الهيئة العامة لقصور الثقافة – ط ٢ – ١٩٩٨م – ص ٢٦٨ – ٢٧٠.

ثالثاً : المسلمون في الولايات المتحدة الأمريكية :

يذكر البعض رواية الإدريسي في كتابه : " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " أن المســـلمين هم أول من وصلوا إلى أمريكا قبل الأوربيين حيث ركب المسلمون البحـــر من لشبونة حتى وصلوا إلى بعض السواحل الأمريكية، وهذه الرواية ربما تحتاج إلى دراسة ليس المجال متسع لها ، ولا يمكن أن ننفيها أو نؤكدها.

وقد عثرتُ على دراسة قيِّمة للدكتور / فهمي مقبل أورد فيها العديد من الأدلة التي يؤكد بها أن العرب المسلمين قد تجاوزوا بلاد الهند والصين ، والهند الصينية فوصـــلوا إلي كوريا حيث نزلوا إلى جزائر الواق واق التي عُرفت بأرض الذهب وأطلق عليها ماركوبولو تسيبانجو في العصور الحديثة اسم اليابان (ارض الشمس المشرقة) ، كما وصلوا إلى فنلندا ، وبريطانيا ، وأيسلندا.

ويـــنقل لنا د/ مقبل ما قام به ابن خرداذبة (٢٠٥ – ٣٠١هـــ) الذي وضع دلـــيلاً للمســـافرين يصـــف الطريق البحري من دجلة في الخليج العربي حتى بلاد الصـــين ، ثـــم حـــديث المسعودي عن المحاولات العربية الأندلسية لعبور المحيط الأطلسي في اتجاه الأرض الجديدة (الأمريكتين) قام بها فتى عربي أندلس يُدعى خُشـــخاش فـــي القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ومحاولات أخرى للكشف الجغرافـــي فـــي العالم الجديد في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي يرويها الإدريسي كذلك قام بها ثمانية رجال عرب مسلمون كلهم أبناء عمومة حيث أبحروا في بحر الظلمات The Darkness Sea (الأطلسي) ، ووصلوا إلى نهايته.

وتــؤكد دراسات غربية حديثة أن عرب الأندلس ، وعرب أفريقيا قد وصلوا إلى الشواطئ الكندية ، والمكسيكية ، والكوبية ، والبرازيلية منذ أكثر من ألف عام (أي قبل الاكتشافات الأوربية بخمسمائة عام تقريباً) ، وفي مكتبة الأزهر الشريف اكتشــفت مجمــوعة وثائــق علمية تؤكد أسبقية العرب في كشف الأمريكتين حيث وصــلهما الإسلام في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، أكدها ما عثر عليه مــن آثــار إســلامية مكتوبة على الصخر في تسعين موقعاً بالأمريكيتين الوسطى والجنوبية ، وعملات عربية إسلامية ترجع إلى سنة ٨٨هـ / ٧٠٦م ، وهناك ادلة عديدة أخرى في هذا السياق تحتاج إلى متابعة وتدقيق[1]

وقد هاجر بعض المسلمين في فترات متتالية إلى مناطق مختلفة من العالم كان من بينها الولايات المتحدة فتكاثروا فيها إضافة إلى من دخل الإسلام من اهلها على أيديهم.

وفــي العصــر الحــديث هربت أعداد متتالية من بداية القرن العشرين من المــناطق الإسلامية في شرق بولندا ، وغرب روسيا من الروس الذين اضطهدوهم إلي بعض المدن الأمريكية ، إلا أن أغلبهم اتجه نحو مدينة نيويورك ، وتجمعوا في حي بوركلين.

وجــاء مغتــربون آخــرون من بلاد الشام فأقاموا في مدينة ديترويت على البحيرات العظمى ، ورغم أن أغلبهم كانوا من النصارى ، إلا أن بعض المسلمين قــد رافقــوهم ، وعاشــوا فــي ولاية أيوا غربي نهر المسيسبي على أحد روافده الصغيرة ، وفي مدينة سيدار رابيرز فأقاموا لهم مسجداً سنة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م.

---

[1] انظر : د/ فهمي توفيق مقبل – دور العرب في لكتشاف العالم الجديد – دار الثقافة – القاهرة – ١٩٩٤م - ص٥٦ / ٥٩، ويذكر في ص٥٩ أن العلماء قد عثروا على ابنية عربية الطراز مثل ابنية الأزتك وأن لفظ الأزتك محرف من اسم قبيلة الأزد العربية اليمنية ، وأن ظاهرة انتشار الثقافة العربية والإسلام بين السود الأمريكيين هي عودة إلى جذورهم ومنابعهم الثقافية الأولى.

وتـــتابعت الهجـــرات مـــن اليمن ومصر وغيرها من البلاد العربية حتى من البحارة الذين أهملوا سفنهم واستقروا في العديد من البلدان الأمريكية.

ولـــم يقتصــــر الأمـــر علــــي العـــرب بل تعداه إلي أتراك وإيرانيين وهنود وإندونيســـيين هؤلاء الذين جاءوا من آسيا قد عمدوا إلي الإقامة في غرب الولايات المتحدة الأمريكية ، إضافة إلي الكثيرين ممن اضطهدوا من مسلمي يوغسلافي علي يـــد الشيوعيين ، وهؤلاء قد أقاموا في شيكاغو ،وأسسوا لهم جمعية أطلقوا عليهم : "التعريف الدولي بالإسلام " ، كما كان لطلبة العلم من البلاد الإسلامية الذين آثروا الـــبقاء هـــناك ، وحققوا نجاحاً ومركزاً مرموقاً في العديد من الجامعات والمحافل العلمية المتعددة .

ومن البديهي أن يحدث اتصال الأمريكيين بهؤلاء المهاجرين المسلمين الأمر الـــذي أدى إلـــي اعتناق الكثيرين للدين الإسلامي ، وبدأت الجمعيات الإسلامية ، والتجمعات التي أخذت توحد صفوفها في نشر الإسلام بين مختلف الطوائف والملل هناك .

أما عن الإسلام بين سود أمريكا فقد وصلهم عن طريقين :-

١) التهجيـــر مـــن الشمال الأفريقي (فترات تجارة الرقيق) : للعمل في العـــالم الجديـــد (الأمريكيين) وهؤلاء قد تناسلوا ونشروا إسلامهم بين مواطنيهم .

٢) طريق الدعاة : ممن هاجروا ، وممن أعلنوا إسلامهم هناك ومن هؤلاء : صـــوفي عبد الحميد الذي كان من سكان حي هارلم في نيويورك ، وقد

اعتــنق الإسلام سنة ١٣٥٠ هــ / ١٩٣١ م ، ثم صار داعية منذ ذلك الوقت ، وحقق نجاحاً عظيماً حتى انه قد أسلم علي يديه في سنة ١٣٥٥ هــــ / ١٩٣٦ م مـــا يقرب من ٢٤٠ رجلاً ، وساعده في مهمته رجل مصري يُدعي حافظ مندلي .

وهـــناك مـــثال آخر هو : ر.د.فارد الذي حمل اسم محمد بعد إعلان إسلامه وازدادت صـــلته بتاجـــر كان يُدعي : اليجابول أسلم هو الآخر وحمل اسم إلياس ، واشترك الاثنان معاً في تكوين حركة : المسلمين السود في أمريكا التي لقيت نجاحاً ملحـــوظاً فـــي إيجاد كيان اقتصادي مستقل وخاص بالمسلمين هناك ، وكذلك فتح مـــدارس إسلامية ، وكان إلياس هذا قد ولد في مدينة ساندرافيل بمقاطعة جورجيا ســـنة ١٣١٥ هــ/ ١٨٩٧ م ، وورثه في نشاطه ولده وارث الدين (والاس) الذي أصـــبحت جماعـــته تعرف **بالبلاليين** نسبة إلي بلال الحبشي (رضي) ، واتخذت شـــعاراً لهـــا هـــو الهلال والنجمة وأصبح الاثنان معاً علامة مميزة علي فنادقهم ومطـــاعمهم وأماكـــنهم الخاصة ، إلا أن الابن : وارث الدين كان أكثر اعتدالاً من والده ، واقترب في معتقده من مذهب أهل السنه والجماعة.

ويزيد عدد البلاليين في الولايات المتحدة عن ٣/٤ مليون مسلم وهم في تزايد مســـتمر يعيشـــون في العديد من المدن والولايات إلا أن أكبر تجمع لهم يتركز في مدينة شيكاغو ، ولوس أنجلوس ، ونيويورك ، ولهم أكثر من سبعين مسجداً .

وهـــناك مـــنظمات إســـلامية عديـــدة تحاول أن تجد لها مكاناً في المجتمع الأمريكـــي وتحافظ علي إسلامها من خلال الاتحاد ، والتجمع للزود عن مصالحها وفكرها الإسلامي[1].

---

[1] د/ الفاعوري- مرجع سابق – ص ٣٥٢ وما بعدها

ومن أكبر وأقوي التجمعات الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية :

حـــركة "أمـــة الإسلام " التي يقودها زعيم واع قوي الشخصية هو : **لويس فـــرقان** الـــذي ظهـــر لـــه نشاط غير عادي في بلاده لنشر الإسلام من ناحية بين مواطنـــيه[(١)] ، ولمســـاندة القضايا العربية الإسلامية ، فقد تمكن من كسر الحصار المفـــروض علي بعض الدول الإسلامية كالعراق ، وسوريا وليبيا وإيران ، وتمكن من تحدي بلاده التي لم تجرؤ علي منعه عندما زار العراق سنه ١٩٩٦ م ، وعندما وصل دمشق مؤدياً صلاة الجمعة في مسجدها ، وأعلن فرقان أن قرآننا يعطينا حقاً دائماً في مؤازرة المسلمين في كل مكان دون إذن من الأمم المتحدة أو من سواها ، وكان رده على منتقديه في داخل بلاده وخارجها قوياً للغاية .

وكـــان عملـــه العظيم في قيادة مظاهرة المليون مسلم في مدينة واشنطن من مظاهر القوة والتأثير لهذا القائد الإسلامي الذي يجمع حوله أتباعاً يُعدون بالملايين مســـتغلاً مساحة الديمقراطية التي تتاح له ، وفضح كثيراً من تدخلات وممارسات اللوبي الصهيوني في السياسة الأمريكية ، والله غالب على أمره .

---

(١) كانت هناك جهود سابقة قام بها زعيم المسلمين : أليجا محمد منذ منتصف القرن العشرين ، وعلي مدي ما يقرب من عقدين تمكن فيهما هذا الرجل من نشر الإسلام بين تجمعات أمريكية واسعة أثمرت عن إعلان عائلات أمريكية بأكملها إسلامها ، واصبح المسلمون بهذا الحجم والعدد الكبير الذي يمكنه أن يؤثر كثيراً في السياسة والاقتصاد الأمريكي وتوجيهه نحو العدل المطلوب للقضايا الإسلامية .



الفصل السابع والأخير

بشائر الصحوة الإسلامية المعاصرة

لاشك أن هناك وسط الغيوم وظلام الليل الدامس ، وتلاطم الأمواج وتصارع الخطوب ، وتسابقها ، وتعددها .هناك **شعاع** . هناك بصيص ، هناك **أمل بعمل** . هـناك نـور **خافت يبرق** أحيانا يضيء نهاراً ، ويتراجع أمام ظلمات الليل الحالك السواد ، ويعود مع إشراقة كل شمس ليُظهر المعدن النفيس الذي عليه المسلمون ، يحاولـون ، يـتحاورون ، يجـتهدون يُقلبون الماضي لفهم الحاضر ويصححوه ، ويعملـون علـى تنقيـته من الشوائب ، ومن العراقيل ، ومن جهل السادة ، ومن بطشـهم، ومـن جُبـنهم ، من أنانيتهم ومن حبهم للدنيا ، وفرط ترفهم ودِعتهم ، ورفاهيـتهم ، ومـن ثـم يتجه المسلمون نحو مستقبل أكثر عزة وكرامة يكثر فيه العمـل، يقل فيه القول واللغط ، يزيد فيه الفهم ، نستثمر فيه ما يفيد وينفع ، نهتبل الفـرص ، وننظر للأمام نتمسك بأهداب ديننا ولا نفرط فيه ، ولا في تعاليمه فهو مصدر عزنا و نجاتنا.

ولـذلك ففـي حاضـرنا المعاصر نلمح ، ونلمس **قبس من نور** هنا وهناك وهـنالك يحتاج إلى رعاية وإلى جدية واعتدال ووسطية تجمع ولا تفرق فقط نأخذ بأيـدي المخلصين العاملين ، لا بأيدي من يقتنصون المنافع ، والمناصب ، والمال والجـاه بغير وجه حق ، وبغير أن يؤدوا ما عليهم من ضريبة وواجب ومستحق، فهـولاء لابـد أن يتراجعوا ، ويتركوا المجال للعلماء العاملين للمخلصين الذين لا يخشونّ إلا خالقهم .

وهذا القبس يتمثل فــــي :

أولاً : الهداية :

التـــي انطلقت تغزو قلوب الآلاف من الأوربيين ، والأمريكان ، ولاسيما في فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة ، فها هو الكاتب الفرنسي : **ديبا سكييه** الذي ينشر على الملأ الغربي بأن **الإسلام هو المنقذ للبشرية** فيقول:

" إن الغـــرب لم يعرف الإسلام.... ولا شك أن الإسلام هو الوحدانية التي يحـــتاج إليها العالم المعاصر ليتخلص من متاهات الحضارة المادية المعاصرة التي لابد إن استمرت أن تنتهي بتدمير الإنسان ".

ويـــرى الفيلســـوف الفرنسي **جارودي** : أن الحضارة الغربية تقود العالم إلى الانتحار.

ويرى هوفمان الألماني أن : الإسلام هو البديل للغرب النصراني كله ويعلن ذلك في مؤلفاته – كما قدمنا في بداية هذه الدراسة.

ولـــذلك فقـــد أســـلم العديد من الفلاسفة والعلماء والسياسيين كذلك كان على رأســـهـــم ألفـــريد هوفمان هذا وروجيه جـــارودي الذي أسلم سنة ١٩٨٢ م عن إيمـــان قـــوي بالعقيدة بعد أن قضى حياته في ظـــلال الشيوعية والإلحاد ، ولذلك ظهـــرت له أفكار سياسية خطيرة ربما تحتاج إلى نظر بسبب الجدل الذي ثار حول أفكاره وآرائه.

وهــناك أيضــاً : عــبد الله أليسون العالم الإنجليزي الذي كان رئيساً لقسم الهندســة الإلكتــرونية بجامعــة لندن ، وشاء الله له أن يعلن إسلامه أثناء انعقاد المؤتمــر الدولي للإعجار العلمي والطبي في القــرآن الكريم بالقاهرة في ١١ من محــرم ١٤٠٦هــ، ويذكر أليسون فيما يجب على المسلمين فعــله :- " إن العالم المــادي اليوم في مأزق خطير وما يقولونه أو يرونه لا يفسر الحقيقة تماماً ، وأنهم يبحــثون عــن العــودة إلى الدين والبيان الصحيح الشامل ، وهنا العبء يقع على المسلمين ، وهذا هو واجبهم، وواجب مفكريهم في التقدم إلى البشرية الحائرة التائهة بالحــلول الإسلامية السليمة ".[1]

وهــذه الحلول موجودة بالفعل ، ولكنها تحتاج إلي نشر وانتشار وتحتاج إلي مخلصــين وعلماء وعاملين كما رأينا في القرون الأولي ممن نشروها في الصين وأواسط آسيا ، وغيرها .

ويذكــر جوســتاف لوبون في كتابه : عن الحضارة العربية الإسلامية : أن الطبقة الأولى من علماء الغرب الأوربي البارزين لم يكونوا سوى تلاميذ للمسلمين عاشــوا علــى دراسة الكتب العربية حتى القرن الخامس عشر ، ولم يبتكروا شيئاً جديداً ،وإليك النص الذي ذكره لوبون : " إننا مهما قلبنا النظر لا نستطيع أن نذكر قــبل القــرن الخامس عشر من الميلاد عالماً أوربياً ابتكر شيئاً غير استنتاج كتب العرب ، فروجر بيكون ، وليونارد ، وأرنولد ، وريموند ، ألبرت الكبير ، وغيرهم مــن أســاتذة القرون الوسطى لم يكونوا أكثر من مجرد تلاميذ للعــرب أو ناقلين عنهم ".

---

[1] د / جميل المصري – مرجع سابق – ص ٢٦٥ ، ٢٦٦.

ويقـــول مســـيو ليبري الفرنسي : " **إنـه إن لم يظهر المسلمون على مسرح التاريخ لتأخرت نـهضة أوربا الثقافية عدة قرون**[١] ".

كمـــا تذكر المستشرقة الألمانية : " **زيغريد هونكه** " : **لولا ظهور الإسلام في القـــرن الســـابع لتأخر وصول الأوربيين إلى سطح القمر مائتي عام** " ، وليس في ذلك سوى الاعتراف بالفضل لثمرات عقول العلماء والمفكرين المسلمين الذين كانوا سبباً في نقل الأوربيين إلى طور الحضارة والتقدم والمدنية.

واقـــرأ معي ما قالته هذه المستشرقة بالحرف الواحد : " لقد حول المسلمون الأندلس في فترة قصيرة من بلد جدب فقير مستعبد إلى بلد عظيم مثقف مهذب يحب العلم والفن والأدب ، وقدم لأوربا سبل الحضارة ، وقادها في طريق النور[٢] ".

والمستشرق **الفرنسي رينان** نراه يتمنى عودة العقل الإسلامي المبتكر للإبداع فيقول : " ما يدرينا بأن يعود العقل الإسلامي الولود – المبتكر – والكثير المواهب إلـــى إبـــداع مدنـــية أروع من زميلتها ، بل ما يدرينا ما عساه أن يصبح بعد قليل مصـــير المدنـــية الأوربـــية الحالـــية التـــي هي وليدة التمدن الإسلامي القديم في خصائصها العليا[٣] ".

وهـــناك كلمـــة أنقلهـــا للعلمانيين عن كاتب أوربي هو : " سومر ست موم " يقـــول: " أن أوربا نسيت ربها ، واتخذت معبوداً جديداً هو العلم ، ولكن العلم كائن متقلب ، فهو يثبت اليوم ما نفاه بالأمس ، وهو ينفي غداً ما يثبته اليوم ، لذلك تجد

---

[١] وربما تأخرت إلى ما لا نهاية.

[٢] في كتابها : " شمس العرب تشرق على الغرب " ، وقد اشتهرت المستشرقة الألمانية في النصف الثاني من القرن العشرين بسبب كتابها هذا الذي ترجم مرتين إلى اللغة العربية.
انظر : أحمد بن محمد طاحون – حضارة الإسلام وأوربا – ص – ٣٩ ، ٥٢.

[٣] طاحون – حضارة الإسلام وأوربا – ص ١٠ .

عُـبـّـادَه في قلق دائم ، لا يستقرون .... " ، وانظر معي ما يعترف به مستشرق آخــر هـــو بريفولت في كتابه " بناء الإنسانية " إذ يقول :- " لقد كان العلم أهم ما جـــاءت الحضـــارة الإسلامية على العالم الحديث بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوربية[١] ".

فالحضـــارة الإسلامية حضارة دينية تجمع بين عبادة الرب ، والأخذ بأسباب العلـــم من واقع المنهج الإسلامي الواقعي فلا فصل ، ولا تقصير في أيهما ، ولذلك كان العلماء المسلمين في المجالات كلها حتى التجريبية منها يبرعون أولاً في العلوم الدينـــية ، وحفظ القرآن ، وفهم السنة ثم الإبداع في مجالات شتى مع استمراريتهم في المجال الأول.

وتكملة للهداية

- مازالـــت الجامعـــات تمتلـــئ بدعوات الالتزام والعودة السلفية إلى الدين الصحيح ، والتمسك بأهدابه وتعاليمه والتحصن بها.
- ارتفاع هامات الجامعات الإسلامية على الجامعات العلمانية وهاهي جامعة الأزهر مازالت منابرها وصوتها يدوي برجالها ونسائها وعلومها في كل أنحـــاء العالم حتى علماء الطب فيها تجد صوتهم وعلمهم في رقي وتقدم عـــن غيـــرهم . وكذلك الجامعة الإسلامية بالسعودية ، وجامعة الإمام ، وغيرهم .

---

[١] المرجع السابق – ص ٥٢ .

- ضـــعف الهجــوم على لغة القرآن (اللغة العربية) ، وأصبحت منذ سنة ١٩٧٤ م هـــي اللغـــة الرســـمية السادســـة للمنظمة الدولية (هيئة الأمم المتحدة).

- علت منابر الدعوة للإسلام في الفضائيات ، وفي الإنترنت ، واتسع الفكر الإســـلامي بمفكـــريه الذين يعرضون الحلول ، وحتى الكتاب الإسلامي أصبح هو الأكثر مبيعاً ، وتداولاً ، واستعارة عن غيره ، وكثرت الردود على أعداء الإسلام بكل الوسائل.

- باتـــت مكة والمدينة هما المقصد للشباب والشيوخ على حد سواء وزادت العـــناية بـــزيارتهما حجاً وعمرة وزيارة ، وطمعاً في المجاورة بدلاً من السياحة التي لا تجدي نفعاً في أوربا وغيرها .

- أصـــبح الفكـــر الإسلامي والشخصية الإسلامية هي الأكثر عناية وجذباً لأطـــراف الحـــديث ولوسطه ، فالجميع يتحدثون عن ابن باز والعثيميين وعبد العزيز آل الشيخ وعبدالله الجبرين وعبدالله الغديان وكذلك الفوزان واللحـــيدان ، وغيرهم في السعودية كثيرين ، وعن عمرو خالد ، ومحمد هدايـــة ، ومن قبلهم كان الشيخ الشعراوي والدكتور مصطفى محمود في مصر ، والحبيب علي الجفري في اليمن ... وآخرون.

وتأســـس **المركـــز الدولـــي للســـنة النبوية** لمواجهة من أساء إلى السنة من **المستشـــرقين** والمســـتغربين ، وكـــان رئيس المركز هو أ.د/ محمد الطيب النجار **الرئيس الأسبق** لجامعة الأزهر الشريف ، ومن بعده علماء كرام كذلك .

وتأسســـت العديـــد مـــن المراكز العلمية : طبية وهندسية وعلوم الأرض ، وغيرها حيث وجدواهم وغيرهم معيناً لا ينضب من الإعجاز العلمي .

- العـناية بالمظاهر الإسلامية مثل العقيقة ، وعدم الاختلاط ، والأضحية ، وإعراض الرجال عن لبس خواتم ودبل الذهب وخلافه ، وتحري الحلال في الطعام والشراب ، وحرص العديد من الأسر الإسلامية على مقاطعة أعداء الأمة ، والبعد عن الربا ومظانه ، وكل أشكال المحرمات .
- انحسار المظاهر الصوفية بأباطيلها ، وترهاتها ، واصبح الناس ينظرون إلى طقوس الصوفية الحديثة نظرة ازدراء ، وزادت المناداة بتطبيق شرع الله في كل أمور الدنيا.
- اتفاق المسلمين على أن ألد أعدائهم هم : الصهيونية العالمية ، والاستعمار بكـل أشكاله ، والرأسمالية الاحتكارية ، والشيوعية هذا عن الأعداء في الخـارج ، أمـا عـن أعداء الداخل فيتمثل ذلك في : التخلف ، والفقر ، والجهـل ، والمـرض ، والـتواكل ، ومن يستغلون المناصب في نهب الثروات الفردية ونهب بيوت مال المسلمين ، ويهربون بها إلي أعدائنا .
- ارتفاع المآذن والمنابر الإسلامية في كل أنحاء أوربا وأمريكا كذلك وكان آخـرها في هذا الشهر (يوليو ٢٠٠٣ م) افتتاح **مسجد غرناطة بجنوب أسـبانيا** ساهمت في نفقات بنائه كل من : بروناي والمغرب ، وليبيا ، والإمارات ، وهو تحفة معمارية عظيمة لعله يكون منارة إسلامية بعد أن توقـف الأثـر الإسلامي هناك منذ سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢ م (آخر معاقل المسلمين في الأندلس).

وبقي على المسلمين التخطيط بوعي وإدراك وجدية وفهم للمشروع الإسلامي الحضـاري الجديد الذي يجب أن يبدأ ويشمل كل نواحي الحياة في إبداع وابتكار ، وإطلاق للمواهب بدلاً من وأدها في مهدها بحجج الجبناء.

ثانياً : ظهور التكتلات الإسلامية الإقليمية والقومية :

التي يجب أن تكون كلها إسلامية مثل :

١- **الحلف المركزي** : الذي ضم تركيا ، وإيران ، وباكستان.

٢- **الجامعة العربية** : التي ضمت كل الدول العربية بلا استثناء.

٣- **دول عدم الانحياز** : وأغلبها إسلامية من آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية.

٤- **منظمة الوحدة الأفريقية** : وهي خاصة بالدول الأفريقية ، وللمسلمين فيها مركز مرموق ، وكلمة نافذة ، وأغلبية مطلقة .

٥- **مجلس التعاون الخليجي** : ويشمل الدول المطلة على الخليج العربي ، وقد نجح في العديد من المشروعات التنظيمية المشتركة ، والمأمول منه أن يأتي بنتائج إيجابية عديدة .

٦- **منظمة المؤتمر الإسلامي** : التي بدأت فكرتها مع أول اجتماع عقد بمكة المكرمة سنة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦ م ودعا إليه الملك / **عبد العزيز آل سعود** طيب الله ثراه ، ثم عقد مؤتمر آخر بالقدس سنة ١٣٥٠هـ / ١٩٣١ م ، وآخر في كراتشي سنة ١٩٤٩ م ، ١٩٥١ م ، وبغداد سنة ١٩٦٢ م ، ومقديشيو سنة ١٩٦٤ م ، ولكن إنشاء المنظمة كان في القمة الإسلامية بالرباط سنة ١٩٦٩ م وتقرر ميثاقها في سنة ١٩٧٢ م

٧- **رابطة العالم الإسلامي** : هي عبارة عن منظمة عالمية إسلامية تشارك وتمثل فيها جميع شعوب العالم الإسلامي ، ومقرها الرئيسي مكة المكرمة، وقد أنشئت بناء على قرار المؤتمر الإسلامي الذي عقد في ١٤ من ذي الحجة سنة ١٢٨٢هـ / ١٩٦٢ م بأم القرى.

وقد تكونت المنظمة بحيث يكون لها مجلس تأسيسي من كبار العلماء ورجال الفكـــر في العالم الإسلامي ، وساعد على تأسيسها ونجاحها ما حظيت به من عناية واهتمام المملكة العربية السعودية ، وتظهر اهتمامات المنظمة وأهدافها فيما يلي :-

أ - شرح مبادئ الإسلام ونشرها ، وتبليغ الدعوة لكل الدنيا ، مع دحض كل الشـــبهات التـــي تـــثار أحياناً حول تعاليم الإسلام ، والتصدي للتيارات والأفكـــار الهدامة التي يحاول المغرضون وأعداء الأمة بثها في البلدان والمجتمعات الإسلامية.

ب- العـــناية بالقضـــايا الإســـلامية الكبرى والدفاع عنها ، وحل ما يعترض البلدان الإسلامية من مشكلات دولية ومحلية.

ج- نشر لغة القرآن بين الشعوب الإسلامية الغير العربية ، والمحافظة عليها في البلدان العربية من المؤثرات الخارجية السلبية.

د - تشـــجيع العلماء وطلاب العلم ودعمهم بالمصادر الأصلية ، ونشر الفكر الصحيح.

وقـــد تكون المجلس التأسيسي من ٥٦ عضواً ، وله أمانة عامة للرابطة وهي الســـلطة التنفيذية للرابطة ، ومقرها الدائم مكة المكرمة ، هذا بالإضافة إلى الجهاز المالي والإداري الذي يتولى مهمة متابعة أعمال الرابطة وقراراتها وتنفيذها ، ورفع التقارير للمجلس التأسيسي، وللرابطة مكاتب فرعية تصل إلى ٢٥ مكتباً في مختلف أنحـــاء المعمـــورة ، ويتبعها ما يقرب من ٩٣٦ داعية منتشرين في أفريقيا وآسيا وأوربـــا وأمـــريكا ، وقد أنشأت الرابطة مؤسسات ومصالح ترتبط بالعمل الخدمي والثقافي للمسلمين بعامة ، ومن هذه الأنشطة الفاعلة :-

هيئة الإغاثة الإسلامية :

وهـــي بجـــدة ، ومهمـــتها تقديم المساعدات العينية والمالية للمتضررين و اللاجئـــين، والمصابين بكوارث طبيعية .... الخ ، وأقامت الهيئة عدة مراكز طبية وإسعافية في الصومال ، والنيجر وبنجلاديش والسودان ، وباكستان.

مطبعة الرابطة :

تـــم تزويدها بأحدث الآلات والمعدات لطبع المصاحف ومعاني القرآن الكريم بمعظم اللغات ، وتوزيع المصاحف والمطبوعات مجاناً.

المجلات والجرائد :

تُصـــدر الـــرابطة مجلتـــين شهرتين واحدة باللغة العربية ، والأخرى باللغة الانجليزية ، وتصدر كذلك جريدة أخبار العالم الإسلامي الأسبوعية ، ومجلة رسالة المسجد الفصلية ، وكتاب شهري هو : " دعوة الحق ".

المجلس الأعلى للمساجد :

ومهمـــته تكـــوين رأي عـــام إســـلامي فـــي مختلف القضايا والموضوعات الإســـلامية، ومحاربة الغزو الفكري ، وبناء الشخصية المسلمة مع حماية المساجد مـــن أي اعـــتداء علـــيها ، والحفاظ على الأوقاف الإسلامية ، والدفاع عن حقوق الأقليات الإسلامية في جميع أنحاء العالم.

المجمع الفقهي الإسلامي :

ويضـــم جماعـــة مـــن العلماء والفقهاء لدراسة واقع الأمة الإسلامية وإيجاد الحلول للمشكلات التي تتعرض لها.

منظمة التربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) :

وهي مستقلة فى شؤونها التنظيمية والمالية ، ومقرها الرباط بالمغرب ، ولها مكتب تنفيذي من ٩ دول ، وثلاث شخصيات إسلامية ، وإدارة عامة.

الجمعية الأوربية للدراسات الإسلامية

وهي مازالت تحت التأسيس (أثناء مثول كتابنا هذا للطبع)، وفي الأيام المقبلة بمشيئة الله ستقوم رابطة الجامعات الإسلامية [١]بالإجراءات التنفيذية ، بعد أن اتخذ القرار في اجتماع الرابطة بالأردن .

وتنشد فكرة إنشاء الجمعية الأوربية إلى رصد ما ينشر عن الإسلام في البلدان الغربية، وتحليل مضمونه ، ثم تصحيح ما يرد فيه من أخطاء، وتهدف الفكرة كذلك دراســـة أوضـــاع الأقليات المسلمة في أوربا لدعم الوجود الإسلامي لهذه الأقليات وتفعيلها في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والدينية والاجتماعية، ومساندة أوضاع المسلمين من الجانب القانوني في البلدان الأوربية (وهو ما بدأ الاهتمام به متأخراً كثيراً عن المأمول)

وكـــذلك الارتقاء بأحوال المسلمين وأوضاعهم في شتى المجالات ، مع عقد اتفاقـــيات ثقافية بين الدول الإسلامية ، والدول الأوربية بما يخدم أوضاع المسلمين الأوربيـــين، وعقـــد الندوات باستمرار لدراسة ما يعترض أحوالهم من مشكلات ، ومحاولة إيجاد الحلول لها[٢].

---

(١) التي يرأسها الدكتور / عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، وهو في الوقت نفسه الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي.
(٢) جريدة الأهرام – السنة ١٢٧ – العدد ٤٢٥٩٢ – الجمعة ١٨ يوليو سنة ٢٠٠٣ م – صـ ٢٦.

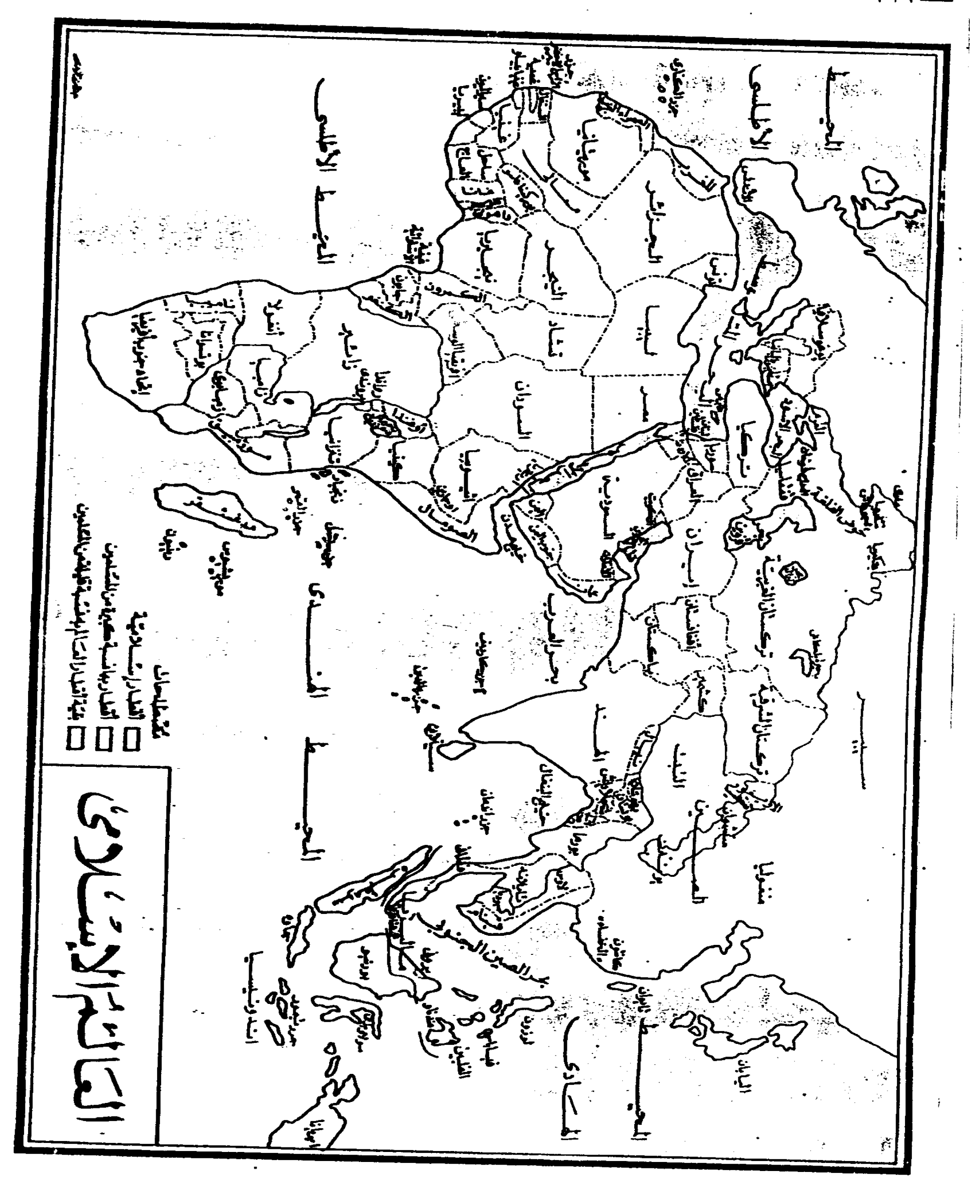
ثالثاً : الإذاعات والفضائيات الإسلامية :

فقد عنيت بعض الدول الإسلامية ، وعلى رأسها : السعودية ، ومصر في بث إذاعات وفضائيات دينية تعني بقضايا المسلمين ، وتنشر تعاليم الإسلام الصحيحة ، ومن هذه الإذاعات إذاعة دينية قرآنية تبثها السعودية من مكة المكرمة (إذاعة نداء الإسـلام)، كمـا تـبث مصر إذاعة القرآن الكريم ، وكلاهما يغطيان معظم أنحاء المعمـورة كمـا تقدم بعض الدول فضائيات تعني بالتركيز على القضايا الإسلامية السياسية والفقهية، وتنظم لقاءات تثقيفية لإتاحة الفرصة للمجتمعات الإسلامية لتنهل أصالة الإسلام من علماء الدين ومثقفيه وتلقي الإجابات مباشرة منهم عبر الأثير – مثل القناة الثانية السعودية، وقناة إقرأ وقناة الشارقة والمنار وغيرها.

وقـد كـنتُ أول من نادى بإعداد قناة فضائية إسلامية تبث باللغات العالمية كالانجليزية والفرنسية برامجها ، وعرضتُ الفكرة على المؤتمر العالمي الإسلامي الـذي تقـيمه وزارة الأوقـاف المصرية سنوياً بفندق ماريوت بالقاهرة في سـنة ١٩٩٥ م ، ولاقـت الفكـرة (بعد ذلك بعام) رواجاً لدى الأوساط الإسلامية فتبنى الفكـرة مفتي مصر السابق د/ نصر فريد واصل ، وبدأت المشاركات المالية تقدم لهذا الغرض ، ومازلنا في انتظار انطلاقة هذه القناة الفضائية، لتكون منارة علمية إسلامية تخدم الغير ناطقين بالعربية في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، ولنشر تعالـيم الـدين الصحيحة بعيداً عن التشويه المتعمد من قبل بعض الجهات المعادية للإسـلام والمسـلمين خاصـة الجهات الصهيونية المنتشرة في العديد من البلدان الغربية.

تم بحمد الله




العالم الإسلامي

فهرست

الموضوع	الصفحة
إهداء	٣
المقدمة	٤
التمهيد	٧
■ مفهوم العالم الإسلامي	٨
■ موقف غير المسلمين من انتشار الإسلام عبر التاريخ	٨
■ جغرافية العالم الإسلامي في الوقت الحاضر	١٣
■ أعداد ونسب المسلمين في دول الأغلبيات المسلمة في آسيا	١٤
■ المسلمون في دول آسيا الوسطى الإسلامية	١٥
■ المسلمون في دول الأقليات الإسلامية الأسيوية	١٥
■ المسلمون في الأمريكتين واستراليا	١٦
■ توزيع المسلمين في دول الأقليات الإسلامية في أفريقيا	١٦
■ المسلمون في دول الأقليات الإفريقية	١٧
■ أعداد المسلمين في دول أوربا الغربية	١٩
■ المسلمون في دول شرق أوربا	١٩
■ إمكانات العالم الإسلامي وأهميته .	٢٠
الفصل الأول: الاستعمار وإضعاف العالم الإسلامي "من الداخل"	٢٦
أولاً : حركة أحمد خان	٢٨
ثانياً : القاديانية	٢٩
ثالثاً : البابية	٣٣
رابعاً : البهائية	٣٤
خامساً : النزعات القومية والعنصرية	٣٧

سادساً: تقسيم العالم الإسلامي إلى دويلات بحدود مصطنعة	٤٠
١- منطقة الشام	٤٠
٢- سوريا وتركيا	٤٠
٣- جنوب السودان	٤١
٤- المشكلة الكردية	٤١
سابعاً : دور المستعمرين في سقوط الخلافة العثمانية	٤٢
الفصل الثاني : الاستعمار وإضعاف العالم الإسلامي " من الخارج "	٤٦
أولاً : الاستشراق	٤٧
ثانياً : الاستشراق الإسرائيلي	٥٣
ثالثاً : البعثات التنصيرية	٥٤
رابعاً : أهداف المنصرين ووسائلهم	٥٦
خامساً : الغزو الفكري	٥٨
الفصل الثالث : اليقظة الإسلامية في العصر الحديث	٦٠
أولاً : الحركة السلفية في نجد	٦١
ثانياً : الحركة السنوسية ودورها في ليبيا	٦٦
ثالثاً : المهدية في السودان	٧٦
رابعاً : جمال الدين الأفغاني – محمد عبده بمصر وغيرها	٨٥
الجامعة الإسلامية	٨٧
الشيخ / محمد عبده	٩٠
خامساً : دور الأزهر والقرويين والزيتونة .	٩٤
الفصل الرابع : المشكلات السياسية والاقتصادية والحلول المقترحة لها	١٠١
أولاً : المشكلات السياسية وكيفية كبح جماحها	١٠٢
ثانياً : المشكلات الاقتصادية وكيفية علاجها	١٠٩

الفصل الخامس : قضايا المسلمين المعاصرة "آسيا وأفريقيا"	١١٦
القضايا الإسلامية المعاصرة	١١٧
أولاً : قضية فلسطين	١١٧
ثانياً : قضية مسلمي الفليبين	١٣٥
ثالثاً : قضية المسلمين في الهند	١٤٠
رابعاً : قضية ومشكلة كشمير	١٤٤
خامساً : المسلمون في الصين	١٤٩
سادساً: المسلمون في الحبشة وإريتريا	١٥٤
الفصل السادس : قضايا المسلمين المعاصرة "أوربا وأمريكا"	١٦١
أولاً : المسلمون في الاتحاد السوفيتي (السابق)	١٦٢
ثانياً : المسلمون في أوربا	١٧٤
ثالثاً : المسلمون في الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٤
الفصل السابع والأخير : بشائر الصحوة الإسلامية المعاصرة	١٩٩
أولاً : الهداية	٢٠١
ثانياً : ظهور التكتلات الإسلامية الإقليمية والقومية	٢٠٧
ثالثاً : الإذاعات والفضائيات الإسلامية	٢١١
فهرست	٢١٣